سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٢٥٢)

الفطرة

تعريف واستدلال

من مصنفات ابن تيمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ص -٤٤- الإثم والبر في صدور الخلق له تردد وجولان؛ فكيف حال من الله سمعه وبصره وهو في قلبه . وقد قال ابن مسعود : الإثم حواز القلوب وقد قدمنا أن الكذب ريبة والصدق طمأنينة فالحديث الصدق تطمئن إليه النفس ويطمئن إليه القلب . وأيضا فإن الله فطر عباده على الحق؛ فإذا لم **تستحل الفطرة** : شاهدت الأشياء على ما هي عليه؛ فأنكرت منكرها وعرفت معروفها . قال عمر : الحق أبلج لا يخفى على فطن . فإذا **كانت الفطرة مستقيمة** على الحقيقة منورة بنور القرآن . تجلت لها الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا وانتفت عنها ظلمات الجهالات فرأت الأمور عيانا مع غيبها عن غيرها . وفي السنن والمسند وغيره عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما؛ وعلى جنبتي الصراط سوران؛ وفي السورين أبواب مفتحة؛ وعلى الأبواب ستور مرخاة؛ وداع يدعو على رأس الصراط . وداع يدعو من فوق الصراط؛ والصراط المستقيم هو الإسلام؛ والستور المرخاة حدود الله؛ والأبواب المفتحة محارم الله فإذا أراد العبد أن يفتح بابا من تلك الأبواب ناداه المنادي : يا عبد الله لا تفتحه؛ فإنك إن فتحته تلجه . والداعي على." (١)

"ص -٣٠٦- والترفه بها من غير حاجة إلى ذلك، ولا استعانة به على طاعة الله .وقد يكون دخولها واجبا إذا احتاج إلى طهارة واجبة، لا تمكن إلا فيها، وقد يكون مستحبا إذا لم يمكن فعل المستحب من الطهارة وغيرها إلا فيها، مثل الأغسال المستحبة التي لا يمكن فعلها إلا فيها ومثل نظافة البدن من الأوساخ التي لا تمكن إلا فيها .فإن نظافة البدن من الأوساخ مستحبة . كما روى الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله نظيف يحب النظافة " وقد ثبت في الصحيح عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عشر **من الفطرة** : قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء " قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة . قال وكيع : انتقاص الماء يعنى الاستنجاء، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **من الفطرة أو** قال **: الفطرة المضمضة** والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتقليم الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، والاستحداد، والاختتان، والانتضاح " رواه الإمام أحمد . وهذا لفظه . وأبو داود وابن." (٢)

(١) مجموع الفتاوى ٤/

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/

"ص –٥٣٩– لا تغنيان عنه شيئا، فأسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار، وأتموا الركوع والسجود " . قال أبو صالح : فقلت لأبى عبد الله الأشعرى : من حدثك بهذا الحديث ؟ قال : أمراء الأجناد : خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان . كل هؤلاء يقولون : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه بكماله، وروى ابن ماجه بعضه .وأيضا، ففى صحيح البخارى عن أبى وائل، عن زيد بن وهب، أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده . فلما قضى صلاته دعاه، وقال له حذيفة : ما صليت، ولو مت مت على **غير الفطرة التى** فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم . ولفظ أبى وائل : ما صليت . وأحسبه قال : لو مت مت على غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم .وهذا الذى لم يتم صلاته إنما ترك الطمأنينة، أو ترك الاعتدال، أو ترك كليهما، فإنه لا بد أن يكون قد ترك بعض ذلك، إذ نقر الغراب والفصل بين السجدتين بحد السيف، والهبوط من الركوع إلى السجود لا يمكن أن ينقص منه مع الإتيان بما قد يقال : إنه ركوع أو سجود . وهذا الرجل كان يأتى بما قد يقال له : ركوع وسجود، لكنه لم يتمه . ومع هذا قال له حذيفة : " ما صليت " فنفى عنه الصلاة، ثم قال : " لو." [١]

"ص –٢٦٠– للنساء التشبه بهم فيها، فالأمور التي هي من خصائص البهائم لا يجوز للآدمي التشبه بالبهائم فيها بطريق الأولى والأحرى؛ وذلك لأن الإنسان بينه وبين الحيوان قدر جامع مشترك، وقدر فارق مختص ثم الأمر المشترك كالأكل، والشرب، والنكاح، والأصوات، والحركات لما اقترنت بالوصف المختص كان للإنسان فيها أحكام تخصه، ليس له أن يتشبه بما يفعله الحيوان فيها . فالأمور المختصة به أولى، مع أنه في الحقيقة لا مشترك بينه وبينها، ولكن فيه أوصاف تشبه أوصافها من بعض الوجوه . والقدر المشترك إنما وجوده في الذهن، لا في الخارج .وإذا كان كذلك فالله تعالى قد جعل الإنسان مخالفا بالحقيقة للحيوان، وجعل كماله وصلاحه في الأمور التي تناسبه، وهي جميعها لا يماثل فيها الحيوان، فإذا تعمد مماثلة الحيوان، وتغيير خلق الله، فقد دخل في **فساد الفطرة والشرعة**، وذلك محرم . والله أعلم .وقال رحمه الله :فصلقوله : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء : ٣٤] ، يقتضي وجوب طاعتها لزوجها مطلقا من خدمة، وسفر معه، وتمكين له، وغير ذلك كما." [٢]

---

(١) مجموع الفتاوى /١٥

(٢) مجموع الفتاوى /١٥

"ص –٥٤٠– مت مت على **غير الفطرة التى** فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم " و " على غير السنة " وكلاهما المراد به هنا : الدين والشريعة، ليس المراد به فعل المستحبات؛ فإن هذا لا يوجب هذا الذم والتهديد . فلا يكاد أحد يموت على كل ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم من المستحبات . ولأن لفظ **[الفطرة والسنة**] فى كلامهم هو الدين والشريعة . وإن كان بعض الناس اصطلحوا على أن لفظ [السنة] يراد به ما ليس بفرض، إذ قد يراد بها ذلك، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه " . فهى تتناول ما سنه من الواجبات أعظم مما سنه من التطوعات . كما فى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإن هذه الصلوات فى جماعة من سنن الهدى، وإنكم لو صليتم فى بيوتكم، كما يصلى هذا المتخلف فى بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ " .ولأن الله سبحانه وتعالى أمر فى كتابه بإقامة الصلاة،وذم المصلين الساهين عنها المضيعين لها، فقال تعالى فى غير موضع : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾." (١)

"ص –٢٢٨– أهل الكتاب، فهو من أهل الكتاب، وهم كفار تمسكوا بكتاب مبدل منسوخ، وهم مخلدون في نار جهنم كما يخلد سائر أنواع الكفار، والله تعالى مع ذلك شرع إقرارهم بالجزية، وأحل طعامهم ونساءهم .الوجه الخامس : أن يقال : هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب بالقرآن هم كفار وإن كان أجدادهم كانوا مؤمنين، وليس عذابهم في الآخرة بأخف من عذاب من كان أبوه من غير أهل الكتاب، بل وجود النسب الفاضل هو إلى تغليظ كفرهم أقرب منه إلى تخفيف كفرهم، فمن كان أبوه مسلما وارتد كان كفره أغلظ من كفر من أسلم هو ثم ارتد؛ ولهذا تنازع الناس فيمن ولد **على الفطرة إذا** ارتد ثم عاد إلى الإسلام : هل تقبل توبته ؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد .وإذا كان كذلك فمن كان أبوه من أهل الكتاب قبل النسخ والتبديل ثم إنه لما بعث الله عيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم كفر بهما وبما جاءا به من عند الله واتبع الكتاب المبدل المنسوخ كان كفره من أغلظ الكفر، ولم يكن كفره أخف من كفر من دخل بنفسه في هذا الدين المبدل، ولا له بمجرد نسبه حرمة عند الله ولا عند رسوله، ولا ينفعه دين آبائه إذا كان هو مخالفا لهم؛ فإن آباءه كانوا إذ ذاك مسلمين؛ فإن دين الله هو الإسلام في كل وقت فكل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/

من آمن بكتب الله ورسله في كل زمان فهو مسلم، ومن كفر بشيء من كتب الله ورسله فليس مسلما في أي زمان كان .." (١)

"ص -٢٦- فصل فإنك لم تصل " فرجع فصلي ثم أتاه فسلم عليه، فقال : " وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل " مرتين أو ثلاثا . فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها، فعلمني ما يجزئني في الصلاة، فقال : " إذا قمت إلي الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمأن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها " .وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تقبل صلاة من لم يقم صلبه في الركوع والسجود " ، " ونهي عن نقر كنقر الغراب " . ورأى حذيفة رجلا يصلي لا يتم الركوع والسجود فقال : لو مت مت على **غير الفطرة التي** فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم، أو قال : لو مات هذا . رواه ابن خزيمة في صحيحه .وسئل عمن قال : إن الصبيان مأمورون بالصلاة قبل البلوغ، وقال آخر : لا نسلم، فقال له : ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر " ، فقال هذا ما هو أمر من الله، ولم يفهم منه تنقيص، فهل يجب في ذلك شيء ؟ أفتونا مأجورين .." (٢)

"ص -١٢١- الوجه السادس عشرأن الله لم يأمر بأمر إلا وقد خلق سببه ومقتضيه في جبلة العبد وجعله محتاجا إليه وفيه صلاحه وكماله، فإنه أمر بالإيمان به وكل مولود يولد **على الفطرة فالقلوب** فيها أقوى الأسباب لمعرفة باريها والإقرار به وأمر بالعلم والصدق والعدل، وصلة الأرحام وأداء الأمانة وغير ذلك من الأمور التي في القلوب معرفتها ومحبتها، ولهذا سميت معروفا ونهى عن الكفر الذي هو أصل الجهل والظلم وعن الكذب والظلم والبخل والجبن وغير ذلك من الأمور التي تنكرها القلوب وإن ما يفعل الآدمي الشر المنهي عنه لجهله به أو لحاجته إليه بمعنى أنه يشتهيه ويلتذ بوجوده أو يستضر بعدمه والجهل عدم العلم فما كان من المنهي عنه سببه الجهل فلعدم فعل المأمور به من العلم وما كان سببه الحاجة من شهوة أو نفرة فلعدم المأمور به الذي يقتضي حاجته مثل أن يزني لعدم استعفافه بالنكاح المباح أو يأكل الطعام

---

(١) مجموع الفتاوى /١٨

(٢) مجموع الفتاوى /٢٣

الحرام لعدم استعفافه بما أمر به من المباح وإلا فإذا فعل المأمور به الذي يغنيه عن الحرام لم يقع فيه . فثبت أن المأمور به خلق الله في العبد سببه ومقتضيه وأن المنهي." (١)

"ص -١٢٥- الوجه الثامن عشرأن فعل الحسنات موجب للحسنات أيضا، فإن الإيمان يقتضي الأعمال الصالحة والعمل الصالح يدعو إلى نظيره وغير نظيره، كما قيل : إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها . وأما عدم السيئة فلا يقتضي عدم سيئة إلا إذا كان امتناعا فيكون من باب الحسنات كما تقدم وما اقتضى فرعا أفضل مما لا يقتضي فرعا له وهذا من نمط الذي قبله .الوجه التاسع عشرترجيح الوجود على العدم إذا علم أنه حسنة وأما المختلط والمشتبه عليه فقد يكون الإمساك خيرا [له] ليبقى مع الفطرة فهذا حال المهتدي والضال وحال فإذا قام المقتضي للكفر والفسوق والعصيان في قلبه من الشبهات والشهوات لم يزل هذا الحس والحركة إلا بما يزيله أو يشتغل عنه من إيمان وصلاح كالعلم الذي يزيل الشبهة، والقصد الذي يمنع الشهوة وهذا أمر يجده المرء في نفسه وهو في كل شيء، فإن ما وجد مقتضيه فلا يزول إلا بوجود منافيه . فإن قيل : فقد يزول ذلك بمباح .." (٢)

"ص -٢٩٥- الحيلة الخامسة : إذا وقع الطلاق ولم يمكن الاحتيال لا في المحلوف عليه قولا ولا فعلا،ولا في المحلوف به إبطالا ولا منعا، احتالوا لإعادة النكاح بنكاح المحلل الذي دلت السنة وإجماع الصحابة مع دلالة القرآن وشواهد الأصول على تحريمه وفساده، ثم قد تولد من نكاح المحلل من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، كما قد نبهنا على بعضه في [كتاب إقامة الدليل على بطلان التحليل] وأغلب ما يحوج الناس إلي نكاح المحلل هو الحلف بالطلاق، وإلا فالطلاق الثلاث لا يقدم عليه الرجل في الغالب إلا إذا قصده، ومن قصده لم يترتب عليه من الندم والفساد ما يترتب على من اضطر لوقوعه لحاجته إلي الحنث .فهذه المفاسد الخمس التي هي الاحتيال على نقض الأيمان وإخراجها من مفهومها ومقصودها، ثم الاحتيال بالخلع وإعادة النكاح، ثم الاحتيال بالبحث عن فساد النكاح، ثم الاحتيال بمنع وقوع الطلاق، ثم الاحتيال بنكاح المحلل : في هذه الامورمن المكر والخداع، والاستهزاء بآيات الله، واللعب الذي ينفر العقلاء عن دين الإسلام، ويوجب طعن الكفار فيه، كما رأيته في بعض كتب النصاري وغيرها، وتبين لكل

---

(١) مجموع الفتاوى /٣٩

(٢) مجموع الفتاوى /٤٣

مؤمن صحيح الفطرة أن دين الإسلام بريء منزه عن هذه الخزعبلات التي تشبه حيل اليهود ومخاريق الرهبان .." (١)

"ص -٦٠٢- صلى الله عليه وسلم أن يعيد الصلاة، وأخبره أنه لم يصل، فتبين بذلك أن من ترك الطمأنينة فقد أخبر الله ورسوله أنه لم يصل، فقد أمره الله ورسوله بالإعادة . ومن يعص الله ورسوله فله عذاب أليم .وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يقبل الله صلاة رجل لا يقيم صلبه في الركوع والسجود " يعني يقيم صلبه إذا رفع من الركوع وإذا رفع من السجود . وفي الصحيح أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رأى رجلا لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، فقال : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ كذا وكذا، فقال : أما إنك لو مت لمت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم " .وقد روى هذا المعنى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قال لمن نقر في الصلاة : " أما إنك لو مت على هذا مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم " أو نحو هذا . وقال : " مثل الذي يصلي ولا يتم ركوعه وسجوده، مثل الذي يأكل لقمة أو لقمتين، فما تغني عنه " .وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني." (٢)

"ص -٣٠١- أن يقرأ حال استماعه لقراءة الإمام بلفظ مجمل .قال البخاري : وروى ابن صالح عن الأصفهاني، عن المختار، عن عبد الله بن أبي ليلي، عن أبيه، عن على : من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة . قال : وهذا لم يصح؛ لأنه لا يعرف المختار، ولا يدري أنه سمع من ابنه، ولا أبيه من على، ولا يحتج أهل الحديث بمثله . وحديث الزهري عن عبد الله بن أبي رافع عن على أولى وأصح .قلت : حديث الزهري بين في أنه أمره بالقراءة في صلاة المخافتة، لا في صلاة الجهر . وعلى هذا، فيكون إن كان قد قال هذا قاله في صلاة الجهر، إذا سمع الإمام، فلا منافاة بين القولين . كما تقدم مثل ذلك عن ابن مسعود، وابن عمر وغيرهما .قال البخاري : وروى داود بن قيس، عن أبي نجاد رجل من ولد سعد عن سعد : وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه جمر . قال : وهذا مرسل، وابن نجاد لم يعرف، ولا سمي، ولا يجوز لأحد أن يقول في في القارئ خلف الإمام جمرة؛ لأن الجمرة من عذاب الله . وقال النبي صلى الله عليه

---

(١) مجموع الفتاوى /٥٦

(٢) مجموع الفتاوى /٨٠

وسلم : " لا تعذبوا بعذاب الله " ، ولا ينبغي لأحد أن يتوهم ذلك على سعد مع إرساله وضعفه . قال :." (١)

"ص -١٠٥- الشرعية، ولا هو جري في فهم هذا الخطاب على الطبيعة العربية، والفطرة السليمة النقية، فارتفع عن شأن العامة بحيث لم يدخل في زمرتهم فيما يفهمونه في عرف خطابهم، وانحط عن أوج الخاصة، فلم يهتد للتمييز بين المشتبهات في الكلام، حتى تقر الفطر على ما فطرها عليه الذي أحسن كل شيء خلقه، والحمق أدي به إلى الخلاص من كناسة بترا، ومن أحكم العلوم حتى أحاط بغاياتها رده ذلك إلى تقرير الفطر على بداياتها، وإنما بعثت الرسل لتكميل الفطرة؛ لا لتغييرها ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [الروم : ٣٠] .ومعلوم أن كل من سمع هذا الكلام من أهل اللسان العربي خاصتهم وعامتهم لم يفهموا منه إلا إعطاء أهل طبقة المتوفي بشرط ألا يكون للمتوفي ولد، ويعقلون أن هذا الكلام واحد متصل بعضه ببعض، وإنما نشأ غلط الغالط من حيث توهم أن الكلام الأول فيه عموم، والكلام الثاني قد خص أحد النوعين بالذكر، فيكون من باب تعارض العموم والمفهوم .ثم قد يكون ممن نظر في كتب بعض المتكلمين أو بعض الفقهاء الذين لا يقولون بدلالة المفهوم، وإذا قالوا بها رأوا دلالة العموم راجحة عليها؛ لكون الخلافات فيها أضعف منه في دلالة المفهوم، فإنه لم يخالف في العموم إلا شرذمة لا يعتد بهم، وقد خالف في المفهوم طائفة من الفقهاء." (٢)

"ص -١٢٤- الأرض أجرة أرضه، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما قضي بضد هذا، حيث قال : " من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيء، وله نفقته " فأخذ أحمد وغيره من فقهاء الحديث بهذا الحديث . وبعض من أخذ به يري أنه خلاف القياس، وأنه من صور الاستحسان، وهذا لما انعقد في نفسه من القياس المتقدم، وهو أن الزرع تبع للبذر، والشجر تبع للنوي . وما جاءت به السنة هو القياس الصحيح الذي تدل عليه الفطرة؛ فإن إلقاء الحب في الأرض بمنزلة إلقاء المني في الرحم سواء؛ ولهذا سمي الله النساء حرثا في قوله تعالى : ﴿نسآؤكم حرث لكم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، كما سمي الأرض المزروعة حرثا، والمغلب في ملك الحيوان إنما هو جانب الأم . ولهذا تبع الولد الآدمي أمه في الحرية والرق دون أبيه، ويكون جنين البهيمة لمالك الأم، دون مالك الفحل الذي نهى عن عسبه؛ وذلك لأن الأجزاء التي استمدها من الأم أضعاف الأجزاء التي استمدها من الأب . وإنما للأب حق الابتداء فقط، ولا ريب أنه

---

(١) مجموع الفتاوى /٨٢

(٢) مجموع الفتاوى /١٠٢

مخلوق منهما جميعا . وكذلك الحب والنوي؛ فإن الأجزاء التي خلق منها الشجر والزرع أكثرها من التراب والماء والهواء، وقد يؤثر ذلك في الأرض فتضعف بالزرع فيها . لكن لما كانت هذه الأجزاء تستخلف دائما، فإن الله سبحانه لا يزال يمد الأرض بالماء والهواء وبالتراب؛ إما مستحيلا من غيره، وإما بالموجود، ولا يؤثر في الأرض نقص الأجزاء الترابية شيئا، إما للخلف بالاستحالة، وإما للكثرة؛." (١)

"ص -٦- ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ﴾ الآية [آل عمران : ١١٧] ، وقوله : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ [الفرقان : ٣٢] ، ونحو ذلك كثير .وذكر حال جميع الأمم المهتدية أنهم كذلك، في قوله : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ﴾ الآية [البقرة : ٦٢]ولهذا أمر أهل العقل بتدبره، وأهل السمع بسمعه، فدعا فيه إلى التدبر، والتفكير، والتذكر، والعقل، والفهم، وإلى الاستماع، والإبصار، والإصغاء والتأثر بالوجل والبكاء وغير ذلك، وهذا باب واسع .ولما كان الإقرار بالصانع فطريا – كما قال صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد **على الفطرة** . . . " الحديث – **فإن الفطرة تتضمن** الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد، وقد بسطت هذا المعنى في غير هذا الموضع .وكان المقصود بالدعوة : وصول العباد إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم،وحده لا شريك له،والعبادة أصلها عبادة القلب،المستتبع للجوارح،فإن القلب هو الملك،والأعضاء جنوده . وهو المضغة الذي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد،وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد . وإنما ذلك بعلمه،وحاله كان هذا الأصل الذي هو عبادة الله بمعرفته،ومحبته،هو أصل الدعوة في القرآن . فقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٦٥]." (٢)

"ص -٧٢- الوجه الثاني في الجواب : أن الطريقة القياسية، والرياضية، إذا سلكها الرجل وأفضت به إلى المعرفة – إن أفضت – علم حينئذ أنه سلك طريقا صحيحا وأن مطلوبه قد حصل، وأما قبل ذلك فهو لا يعرف، فأدني أحوال الإيمانية – ولا دناءة فيها – أن تكون كذلك . فإنه إذا أخذ الإيمان بالله ورسله مسلما، ونظر في موجبه،وعمل بمقتضاه، حصل له بأدني سعي مطلوبه من معرفة الله، وأن الطريق التي سلكها صحيحة، فإن نفس تصديق الرسول فيما أخبر به عن ربه وطاعته، يقرر عنده علما يقينيا بصحة ذلك أبلغ بكثير مما ذكر أولا .الوجه الثالث : أن الإقرار بالله قسمان : فطري، وإيماني . فالفطري : وهو

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢٢/

(٢) مجموع الفتاوى ٨/١٦

الاعتراف بوجود الصانع – ثابت **في الفطرة** . كما قرره الله في كتابه في مواضع وقد بسطت القول فيه في غير هذا الموضع . فلا يحتاج هذا إلى دليل، بل هو أرسخ المعارف، وأثبت العلوم، وأصل الأصول .وأما الإقرار بالرسول، فبأدنى نظر فيما جاء به، أو في حاله، أو في آياته، أو نحو ذلك من شؤونه يحصل العلم بالنبوة، أقوى بكثير مما يحصل المطالب القياسية، والوجدية، في الأمور الإلهية . ثم إذا قوي النظر في أحواله حصل من اليقين الضروري الذي لا يمكن دفعه ما يكون أصلا راسخا . وبسط هذا مذكور في غير هذا الموضع؛ إذ المقصود هنا بيان خطأ من سلك طريق القياس، أو الرياضة، دون الإيمان ابتداء . وأما تقرير طريقة الإيمان فشأنه عظيم، أعظم مما كتبته هنا .الوجه الرابع : أنا نخاطب المسلمين المتسمين بالإيمان، الذين غرض أحدهم." (١)

"ص -٣٨٦- سئل الشيخ الإمام الرباني شيخ الإسلام بحر العلوم إمام الأئمة ناصر السنة، علامة الورى، وارث الأنبياء أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية عن كلمات وجدت بخط من يوثق به، ذكرها عنه جماعة من الناس، فيهم من انتسب إلى الدين .فمن ذلك : قال بعض السلف : إن الله لطف ذاته فسماها حقا، وكثفها فسماها خلقا .وقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل : إن الله ظهر في الأشياء حقيقة، واحتجب بها مجازا، فمن كان من أهل الحق والجمع، شهدها مظاهر ومجالى، ومن كان من أهل المجاز والفرق، شهدها ستورا وحجبا . قال : وقال في قصيدة له :لقد حق لي رفض الوجود وأهله وقد علقت كفاي جمعا بموجديمثالك في عيني، وذكراك في فمي ومثواك في قلبي، فأين تغيب ؟وهذا القدر يقوى قوة عظيمة، حتى يعبر عنه بالتجلي والكشف ونحو ذلك باتفاق العقلاء، ويحصل معه القرب منه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " ، وقال الله تعالى في الحديث القدسي : " من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا "لكن هل في تقرب العبد إلى الله حركة إلى الله أو إلى بعض الأماكن ؟ اتفقوا على أنه قد تحصل حركة بدن العبد إلى بعض الأمكنة المشرفة، التي يظهر فيها الإيمان بالله من معرفته وذكره وعبادته، كالحج إلى بيته، والقصد إلى مساجده، ومنه قول إبراهيم : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ [الصافات : ٩٩] .وأما حركة روحه إلى مثل السموات وغيرها من الأمكنة، فأقر به جمهور أهل الإسلام، وأنكره الصابئة الفلاسفة المشاؤون ومن وافقهم، وحركة روحه أو بدنه إلى الله أقر بها أهل الفطرة، وأهل السنة والجماعة، وأنكرها كثير من أهل الكلام .وأما القرب من الله إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٢٠

عبده : هل هو تابع لتقرب العبد وتقريبه الذي هو علمه أو عمله، أو هناك قرب آخر من الرب ؟هذا فيه كلام ليس هذا موضعه .." (١)

"ص –٣٠– فالأسباب العارضة لغلط الحس والباطن أو الظاهر والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس والأصل هو الصحة في الإدراك وفي الحركة فإن الله خلق عباده **على الفطرة وهذه** الأمور يعلم الغلط فيها بأسبابها الخاصة كالمرة الصفراء العارضة للطعم وكالحول في العين ونحو ذلك وإلا فمن حاسب نفسه على ما يجزم به وجد أكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به إنما جزمهم لنوع من الهوى كما قال تعالى (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) وقال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولهذا تجد اليهود يصممون ويصرون على باطلهم لما في نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الأهواء وأما النصارى فأعظم ضلالا منهم وإن كانوا في العادة والأخلاق أقل منهم شرا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم بل عند الاعتبار تجد من ترك الهوى من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له الإسلام حقا والمقصود هنا أن معرفة الإنسان بكونه يعلم أو لا يعلم مرجعه إلى وجود نفسه عالمة ولهذا لا نحتج على منكر العلم إلا بوجودنا نفوسنا عالمة كما احتجوا على منكري الأخبار المتواترة بأنا نجد نفوسنا عالمة بذلك وجازمة به كعلمنا وجزمنا بما أحسسناه وجعل المحققون وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر إذ لم يحدوه بعدد ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والإنسان يجد نفسه عالمة وهذا حق." (٢)

"ص –٣٢– عنه وربما رفعه بعضهم إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو كلام جامع لأصول ما يكون من العبد من علم وعمل من شعور وإرادة وذلك أن العبد له قوة الشعور والإحساس والإدراك وقوة الإرادة والحركة وإحداهما أصل الثانية مستلزمة لها والثانية مستلزمة للأولى ومكملة لها فهو بالأولى يصدق بالحق ويكذب بالباطل وبالثانية يحب النافع الملائم له ويبغض الضار المنافي له والله سبحانه خلق عباده **على الفطرة التي** فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل والتكذيب به ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة فما كان حقا موجودا صدقت **به الفطرة وما** كان حقا نافعا **عرفته الفطرة فأحبته** واطمأنت إليه وذلك هو المعروف وما كان باطلا معدوما كذبت **به الفطرة فأبغضته** الفطرة فانكرته قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر والإنسان كما سماه النبي ـ صلى الله عليه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/٢٦

(٢) مجموع الفتاوى ٣١/٤٧

وسلم ـ (حيث قال أصدق الأسماء حارث وهمام) فهو دائما يهم ويعمل لكنه لا يعمل إلا ما يرجو نفعه أو دفع مضرته ولكن قد يكون ذلك الرجاء مبينا على اعتقاد باطل إما في نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا وإما في الوسيلة فلا تكون طريقا إليه وهذا جهل وقد يعلم أن هذا الشيء يضره ويفعله ويعلم أنه ينفعه ويتركه لأن ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى او دفع ألم آخر جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذاك ولهذا قال أبو العالية سألت أصحاب محمد." (١)

"ص –٤٥– وذلك لأن نفس استوائه على العرش. بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام. علم بالسمع، الذي جاءت به الرسل، كما أخبر الله به في القرآن والتوراة .وأما كونه عاليا على مخلوقاته بائنا منهم، فهذا أمر معلوم بالفطرة الضرورية، التي يشترك فيها جميع بني آدم .وكل من كان بالله أعرف، وله أعبد، ودعاؤه له أكثر، وقلبه له أذكر، كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل، فالفطرة مكملة بالفطرة المنزلة، **فإن الفطرة تعلم** الأمر مجملا، والشريعة تفصله وتبينه، وتشهد بما لا **تستقل الفطرة به**، فهذا هذا، والله أعلم .." (٢)

"ص –٥٨– في أخبار الصفات . حمل الحديث على عقله وصرح بتقديمه على الحديث، وجعل عقله ميزانا للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحا بتقديمه في الشريعة المحمدية، فيكون من السبيل المأمور باتباعه، أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله .وهؤلاء الاتحادية وأمثالهم، إنما أتوا من قلة العلم والإيمان بصفات الله التي يتميز بها عن المخلوقات، وقلة اتباع السنة وطريقة السلف في ذلك، بل قد يعتقدون من التجهم ما ينافي السنة، تلقيا لذلك عن متفلسف أو متكلم، فيكون ذلك الاعتقاد صادا لهم عن سبيل الله، كلما أرادت قلوبهم أن تتقرب إلى ربها، وتسلك الصراط المستقيم إليه، وتعبده. كما فطروا عليه، وكما بلغتهم الرسل من علوه وعظمته. صرفتهم تلك العوائق المضلة عن ذلك، حتى تجد خلقا من مقلدة الجهمية يوافقهم بلسانه، وأما قلبه **فعلى الفطرة والسنة**، وأكثرهم لا يفهمون ما النفي الذي يقولونه بألسنتهم، بل يجعلونه تنزيها مطلقا مجملا .ومنهم من لا يفهم قول الجهمية . بل يفهم من النفي معنى صحيحا، ويعتقد أن المثبت يثبت نقيض ذلك، ويسمع

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٧/٣٣

(٢) مجموع الفتاوى ٤٧/٤٦

من بعض الناس ذكر ذلك .مثل أن يفهم من قولهم : ليس في جهة، ولا له مكان، ولا هو في السماء، أنه ليس في جوف السموات، وهذا معنى صحيح، وإيمانه بذلك حق، ولكن." (١)

"ص –٦١– وهذا التناقض في إثبات هذا الموجود الذي ليس بخارج عن العالم ولا هو العالم، الذي ترده فطرهم وشهودهم وعقولهم، غير ما **في الفطرة من** الإقرار بصانع فوق العالم، فإن هذا **إقرار الفطرة بالحق** المعروف، وذاك **إنكار الفطرة بالباطل** المنكر .ومن هذا الباب : ما ذكره محمد بن طاهر المقدسي في حكايته المعروفة : أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مرة، والأستاذ أبو المعالي يذكر على المنبر : كان الله ولا عرش، ونفى الاستواء ـ على ما عرف من قوله، وإن كان في آخر عمره رجع عن هذه العقيدة، ومات على دين أمه وعجائز نيسابور ـ قال : فقال الشيخ أبو جعفر : يا أستاذ، دعنا من ذكر العرش ـ يعني : لأن ذلك إنما جاء في السمع ـ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا : ما قال عارف قط : يا ألله إلا وجد من قلبه معنى يطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ فصرخ أبو المعالي، ووضع يده على رأسه، وقال : حيرني الهمداني، أو كما قال، ونزل .فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه، إنما أخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله على الخلق من غير تعيين عرش ولا استواء، فإن هذا أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله ـ تعالى ـ فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ !." (٢)

"ص –٦٢– والجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (أين الله ؟) قالت : في السماء . قال : (أعتقها فإنها مؤمنة) ،جارية أعجمية، أرأيت من فقهها وأخبرها بما ذكرته ؟ وإنما أخبرت **عن الفطرة التي** فطرها الله ـ تعالى ـ عليها، وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وشهد لها بالإيمان .فليتأمل العاقل ذلك يجده هاديا له على معرفة ربه، والإقرار به كما ينبغي، لا ما أحدثه المتعمقون والمتشدقون ممن سول لهم الشيطان وأملى لهم .ومن أمثلة ذلك : أن الذين لبسوا الكلام بالفلسفة ـ من أكابر المتكلمين ـ تجدهم يعدون من الأسرار المصونة والعلوم المخزونة، ما إذا تدبره من له أدنى عقل ودين، وجد فيه من الجهل والضلال ما لم يكن يظن أنه يقع فيه هؤلاء، حتى قد يكذب بصدور ذلك عنهم، مثل تفسير حديث المعراج الذي ألفه [أبوعبد الله الرازي] ، الذي احتذى فيه حذو ابن سينا، و [عين القضاة الهمداني] ، فإنه روى حديث المعراج بسياق طويل وأسماء عجيبة، وترتيب لا يوجد في

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٩/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٦٢/٤٧

شيء من كتب المسلمين، لا في الأحاديث الصحيحة ولا الحسنة، ولا الضعيفة المروية عند أهل العلم، وإنما وضعه بعض السؤال والطرقية، أو بعض شياطين الوعاظ أو بعض الزنادقة .ثم إنه مع الجهل بحديث المعراج . الموجود في كتب الحديث والتفسير والسيرة، وعدوله عما يوجد في هذه الكتب إلى ما لم يسمع من عالم، ولا يوجد." (١)

"ص -١٤٠- ومن المعلوم أن أهل الحديث والسنة أخص بالرسول وأتباعه، فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعض السلف أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل .فهذا الكلام تنبيه على ما يظنه أهل الجهالة والضلالة من نقص الصحابة في العلم والبيان، أو اليد والسنان [السنان : الرمح] ، وبسط هذا لا يتحمله هذا المقام .والمقصود التنبيه على أن كل من زعم بلسان حاله أو مقاله : أن طائفة غير أهل الحديث أدركوا من حقائق الأمور الباطنة الغيبية في أمر الخلق والبعث والمبدأ والمعاد، وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وتعرف واجب الوجود والنفس الناطقة والعلوم، والأخلاق التي تزكو بها النفوس وتصلح وتكمل دون أهل الحديث، فهو إن كان من المؤمنين بالرسل فهو جاهل، فيه شعبة قوية من شعب النفاق، وإلا فهو منافق خالص من الذين : ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٣] وقد يكون من : ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ [غافر : ٣٥] ، ومن ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ [الشورى : ١٦] .وقد يبين ذلك بالقياس العقلي الصحيح الذي لا ريب فيه وإن كان ذلك ظاهرا بالفطرة لكل **سليم الفطرة فإنه** متى كان الرسول أكمل الخلق وأعلمهم." (٢)

"ص -١٤١- بالحقائق وأقومهم قولا وحالا، لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق .ولايقال : **هذه الفطرة يغيرها** ما يوجد في المنتسبين إلى السنة والحديث من تفريط وعدوان، لأنه يقال : إن ذلك في غيرهم أكثر والواجب مقابلة الجملة بالجملة في المحمود والمذموم، هذه هي المقابلة العادلة .وإنما **غير الفطرة قلة** المعرفة بالحديث والسنة واتباع ذلك،مع ما يوجد في المخالفين لها من نوع تحقيق لبعض العلم، وإحسان لبعض العمل، فيكون ذلك شبهة في قبول غيره، وترجيح صاحبه، ولا غرض لنا في ذكر الأشخاص، وقد ذكر أبو محمد ابن قتيبة في أول

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٧/٦٣

(٢) مجموع الفتاوى ٤٧/١٤٥

كتاب [مختلف الحديث] وغيره من العلماء في هذا الباب ما لا يحصى من الأمور المبينة لما ذكرناه .وإنما المقصود ذكر نفس الطريقة العلمية والعملية، التي تعرف بحقائق الأمور الخبرية النظرية، و توصل إلى حقائق الأمور الإرادية العملية، فمتى كان غير الرسول قادرا على علم بذلك أو بيان له أو محبة لإفادة ذلك، فالرسول أعلم بذلك وأحرص على الهدى، وأقدر على بيانه منه، وكذلك أصحابه من بعده وأتباعهم .وهذه صفات الكمال والعلم والإرادة والإحسان والقدرة عليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستخارة :." (١)

"ص -٢٤٣- وقال شيخ الإسلام رحمه الله ردا لقول من قال : كل مولود على ما سبق له في علم الله أنه سائر إليه : معلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة، فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا **على الفطرة** .وأيضا، فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله : (فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) معنى، فإنهما فعلا به ما **هو الفطرة التي** ولد عليها، فلا فرق بين التهويد والتنصير . ثم قال : فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التي ولدت جمعاء، ثم جدعت : يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه .ثم يقال : وقولكم : خلقوا خالين من المعرفة والإنكار، من غير أن **تكون الفطرة تقتضي** واحدا منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، فهذا قول فاسد جدا .." (٢)

"ص -٢٤٤- فحينئذ، لا فرق بالنسبة **إلى الفطرة بين** المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير، والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب، فكان ينبغي أن يقال : فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام، علم أن حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر .ثم قال : ففي الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء، لا يستحق مدحا ولا ذما، والله تعالى يقول : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [الروم : ٣٠].وأيضا، فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الأنف، ومعلوم أن كمالها محمود، ونقصها مذموم، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة ؟ والله أعلم .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٦/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٥٢

(٣) مجموع الفتاوى ٨/٥٢

"الجزء الرابعسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة"." (١)

"ص -٢٤٥- سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد **على الفطرة**) ما معناه ؟ أراد فطرة الخلق أم فطرة الإسلام ؟ وفي قوله : (الشقي من شقي في بطن أمه) الحديث . هل ذلك خاص أو عام . وفي البهائم والوحوش هل يحييها الله يوم القيامة أم لا ؟فأجاب : الحمد لله؛ أما قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) : فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، **وهي الفطرة التي** فطرهم عليها يوم قال : ﴿ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة .فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم لله، لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال : (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟) : بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ .وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن الله : (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت." (٢)

"ص -٢٤٦- عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) ؛ ولهذا ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه في المشهور عنه : إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه؛ لزوال الموجب للتغيير عن **أصل الفطرة** . وقد روى عنه، وعن ابن المبارك، وعنهما : أنهم قالوا : يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة . وهذا القول لا ينافي الأول، فإن الطفل يولد سليما، وقد علم الله أنه سيكفر، فلابد أن يصير إلى ما سبق له في أم الكتاب، كما تولد البهيمة جمعاء، وقد علم الله أنها ستجدع .وهذا معنى ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغلام الذي قتله الخضر : (طبع يوم طبع كافرا، ولو ترك لأرهق أبويه طغيانا وكفرا) يعني : طبعه الله في أم الكتاب، أي : كتبه وأثبته كافرا، أي أنه إن عاش كفر بالفعل .ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال : (الله أعلم بما كانوا عاملين) أي : الله يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا، ثم إنه قد جاء في حديث إسناده مقارب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولا في

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٣/١

(٢) مجموع الفتاوى ٥٣/٢

عرصة القيامة، فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار) فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه، ويجزيهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم .." (١)

"ص -٢٤٧- وهذا أجود ما قيل في أطفال المشركين، وعليه تتنزل جميع الأحاديث .ومثل الفطرة مع الحق، مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس، مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضا كل ذي حس سليم يحب الحلو، إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرا .ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق، الذي هو الإسلام، بحيث لو ترك من غير مغير، لما كان إلا مسلما .وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع، هي فطرة الله التي فطر الناس عليها .وأما الحديث المذكور، فقد صح عن ابن مسعود أنه كان يقول : الشقي من شقى في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك،." (٢)

"ص -٢٤٩- وقال أيضا رحمه الله : (كل مولود يولد على الفطرة) ، فإنه سبحانه فطر القلوب على أن ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه، وتنتهي إليه إلا الله، وإلا فكل ما أحبه المحب يجد من نفسه أن قلبه يطلب سواه، ويحب أمرا غيره يتألهه ويصمد إليه، ويطمئن إليه ويرى ما يشبهه من أجناسه؛ ولهذا قال : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .." (٣)

"ص -٣١٢- وولد الزنا إن آمن وعمل صالحا دخل الجنة، وإلا جوزي بعمله كما يجازى غيره، والجزاء على الأعمال، لا على النسب، وإنما يذم ولد الزنا؛ لأنه مظنة أن يعمل عملا خبيثا، كما يقع كثيرا . كما تحمد الأنساب الفاضلة؛ لأنها مظنة عمل الخير، فأما إذا ظهر العمل فالجزاء عليه، وأكرم الخلق عند الله أتقاهم .وأما أولاد المشركين، فأصح الأجوبة فيهم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيحين : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة) الحديث، قيل : يا رسول الله، أرأيت من يموت من

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٥٣

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٥٣

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٥٣

أطفال المشركين وهو صغير ؟ قال : (الله أعلم بما كانوا عاملين) . فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا بنار . ويروى : (أنهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع الله حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار) .ودلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم في الجنة، وبعضهم في النار . والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش، والله أعلم .." (١)

"ص -٢٥٩- إن أراد بذلك : من لا يعتقد أن الله في جوف السماء، بحيث تحصره وتحيط به، فقد أخطأ .وإن أراد بذلك : من لم يعتقد ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، من أن الله فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، فقد أصاب؛ فإنه من لم يعتقد ذلك يكون مكذبا للرسول صلى الله عليه وسلم، متبعا لغير سبيل المؤمنين، بل يكون في الحقيقة معطلا لربه نافيا له؛ فلا يكون له في الحقيقة إله يعبده، ولا رب يسأله، ويقصده . وهذا قول الجهمية ونحوهم من أتباع فرعون المعطل . والله قد فطر العباد ـ عربهم وعجمهم ـ على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو، ولا يقصدونه تحت أرجلهم .ولهذا قال بعض العارفين : ما قال عارف قط : يا الله، إلا وجد في قلبه ـ قبل أن يتحرك لسانه ـ معنى يطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة .وذكر ـ من بعد كلام طويل ـ الحديث : (كل مولود يولد على الفطرة . . .) .ولأهل الحلول والتعطيل في هذا الباب شبهات، يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وما أجمع سلف الأمة وأئمتها، وما فطر الله عليه عباده، وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة؛ فإن هذه الأدلة كلها متفقة." (٢)

"ص -٢٦٠- على أن الله فوق مخلوقاته، عال عليها، قد فطر الله على ذلك العجائز والصبيان والأعراب في الكتاب، كما فطرهم على الإقرار بالخالق ـ تعالى .وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟) ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم : ٣٠] .وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز : عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب، وعليك بما فطرهم الله عليه، فإن الله فطر عباده على الحق، والرسل بعثوا **بتكميل الفطرة وتقريرها**، لا **بتحويل الفطرة وتغييرها** .وأما أعداء الرسل ـ كالجهمية الفرعونية ونحوهم ـ فيريدون أن يغيروا فطرة الله، ويوردون على الناس شبهات بكلمات مشتبهات، لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٦٠

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٧٧

ولا يحسن أن يجيبهم .وأصل ضلالتهم تكلمهم بكلمات مجملة، لا أصل لها في كتابه، ولا سنة رسوله، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين، كلفظ التحيز والجسم، والجهة ونحو ذلك .فمن كان عارفا بحل شبهاتهم بينها، ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم، ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة، كما قال :." (١)

"ص -٢٨٦- **وكانت الفطرة والضرورة** للأول أعظم إنكارا، فإن كان حكم **هذه الفطرة والضرورة** مقبولا لزم بطلان الأول، وإن لم يكن مقبولا لم يجز إنكارهم للقول الثاني، وعلى التقديرين لا يبقى لهم حجة على أنه ليس بخارج العالم، وهو المطلوب .وهذا تقرير لا حيلة لهم فيه، يبين به تناقض أصولهم، وأنهم يقبلون **حكم الفطرة ويردونه** بالتشهي والتحكم، بل يردون من **أحكام الفطرة والضرورة** ما هو أقوى وأبين وأبده للعقول مما يقبلونه .والمقصود هنا بيان أنه مباين للعالم خارج عنه، وهم إنما ينفون ذلك بأنه يستلزم أن يكون متحيزا : إما جسما، وإما جوهرا منفردا، وذلك أنه إن كان ما يحاذي هذا الجانب من العرش غير ما يحاذي هذا الجانب كان منقسما وكان جسما، وإن لم يكن غيره كان في الصغر بمنزلة الجوهر الفرد، وهذا لا يقوله عاقل .فإذا قال لهم طوائف من المثبتة : يمكن أن يكون فوق العرش ولا يقبل إثبات هذه المحاذات ولا نفيها؛ لأن ذلك إنما يكون أن لو كان متحيزا؛ فإذا لم يكن متحيزا أمكن أن يكون فوق العالم ولا يوصف بإثبات ذلك ولا بنفيه، وقالوا : إثبات العلو مع عدم المحاذات والمسامتة غير معقول، أو معلوم الفساد .." (٢)

"ص -٢٨٧- فيقال لهم : إثبات الوجود مع عدم المباينة والمحايثة والدخول والخروج أبعد عن العقل، وأبين فسادا في المعقول، وكل عاقل **سليم الفطرة إذا** عرضت عليه وجود موجود خارج العالم غير محايث للعالم، ووجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، تكون نفرة فطرته عن الثاني أعظم، وإن قدر أن فطرته تقبل الثاني فقبولها للأول أعظم .وحينئذ، فما يذكره النفاة من إمكان وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه : إما أن يكون مقبولا، وإما ألا يكون . فإن لم يكن مقبولا بطل أصل قولهم، وإن كان مقبولا فكل ما دل على ذلك كانت دلالته على إمكان وجود موجود خارج العالم ليس بمتحيز أقوى وأظهر ؛ فإنه إذا ثبت أن هذا ممكن في العقل فذاك أولى بالإمكان، وإذا كان ذلك ممكنا لم يكن ما يذكرونه من الأدلة على نفي التحيز نافيا لعلوه على العالم وارتفاعه على عرشه، فلا يكون لهم دليل على نفي ذلك، وهذا

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٧٧

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/٧٩

هوالمطلوب .فإذا بطل ما ينفون به ذلك، فمعلوم أن السمعيات تدل على ذلك، إما دلالة قطعية وإما ظاهرة، والظواهر التي لا معارض لها لا يجوز صرفها عن ظواهرها؛ فكيف إذا قيل : إن العلو والمباينة معلوم بالفطرة والضرورة والأدلة العقلية النظرية، كما هو مبسوط في موضعه ؟ !ومما يوضح هذا أن النفاة إذا أثبتوا موجودا لا داخل العالم ولا خارجه، فإنهم لا يثبتونه بضرورة . لا وجوده ولا إمكان وجوده . بل كلاهما يثبتونه." (١)

"ص -٢٩٢- لفساد نتيجتهم، وهو قولهم : إنه موجود لا داخل العالم ولا خارجه، جزما لا يساويه فيه جزم العقل بالمقدمات التي تبنى عليها هذه النتيجة الثابتة، امتنع أن يزول ذلك الجزم العقلى الضروري بنتيجة مقدمات ليست مثله في الجزم .وهذا الكلام قبل النظر في تلك المقدمات المعارضة لهذا الجزم، هل هي صحيحة أو فاسدة . وإنما المقصود هنا أنه لا يصلح للمناظرة ولا يقبل في المناظرة أن يعارض هذا الجزم المستقر في الفطرة بما يزعمه من الأدلة النظرية، وهذا المقام كاف في دفعه، وإن لم تحل شبهاته، كما يكفي في دفع السوفسطائي أن يقال : إنما تنفيه قضايا ضرورية فلا يقبل نفيها بما يذكر من الشبه النظرية .وأما الجواب الثاني التفصيلي :فهو بيان فساد حجج النفاة على إمكان ما ادعوه .قالت المثبتة : ما ذكرتموه من الحجج على إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه، حجج سوفسطائي .أما الإنسانية المشتركة بين الأناسي ونحوها من [الكليات] ، فهذه لا يقال : إنها موجودة خارج الذهن لا داخل العالم ولا خارجه؛ فإنها أمور ثابتة في الذهن والتصور، وإذا قيل : إنها موجودة في الخارج فلابد أن تكون عينا قائمة بنفسها أو صفة قائمة بالعين، ولا ريب أنها لا توجد في الخارج كلية مطلقة بشرط ما هو معقول بشرط الإطلاق، وإنما توجد في الخارج معينة مشخصة .." (٢)

"ص -٣٠٤- كونه فوق العالم لم يجز نفي ذلك، وحينئذ فالسمعيات قد دلت على ذلك مع الفطرة، فلزم على هذا التقدير أن يكون مباينا للعالم .فهذا تحقيق جيد قد تقدم التنبيه عليه أيضا؛ فإن هؤلاء النفاة يجعلون العقل حجة لهم ولا يجعلونه حجة عليهم ، ويحتجون على خصومهم بقضايا ضرورية،ويخالفونهم في القضايا الضرورية فيما هو أبين منها، وكل ما يطعنون به حجة على مخالفتهم؛ مثل قولهم : هذا من قضايا الوهم والخيال، لا من قضايا العقل، فيطعن به في حجتهم هذه . فيقال : نفيكم لوجود موجود مباين ليس بجسم ولا متحيز هو من قضايا الوهم والخيال لا من قضايا العقل، فليتدبر الفاضل هذا المقام .الجواب

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٧٩

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/٧٩

الثالث : قول من يلتزم أنه متحيز أو في جهة، أو أنه جسم، ويقول : لا دلالة على نفي شيء من ذلك، وأدلة النفاة لذلك أدلة فاسدة؛ فإنهم متفقون على أن نفي ذلك ليس معلوما بالضرورة وإنما يدعون النظر، ونفاة ذلك لم يتفقوا على دليل واحد، بل كل واحد منهم يطعن في دليل الآخر . فالفلاسفة الذين ينفون ذلك بناء على نفي الصفات، يطعن النفاة من أهل الكلام مع غيرهم ـ من العقلاء وأهل الإثبات ـ في أدلتهم بالطعون المعروفة التي تبين فساد أدلتهم، والمتكلمون الذين ينفون ذلك يطعنون على الفلاسفة النفاة ـ مع غيرهم من العقلاء وأهل الإثبات ـ في أدلتهم ، وهو الدليل المبني على حدوث ما قامت به الأعراض والأفعال .." (١)

"ص –٣٢٠– من هذه الأمور، لكان فيه ما يكفي، وقد غرس في تبينه **في الفطرة ومعارف** الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد؛ لأنك لا تسأل أحدا من الناس عنه، عربيا ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا، فتقول : أين ربك ؟ إلا قال : في السماء، إن أفصح، أو أومأ بيده، أو أشار بطرفه، إن كان لا يفصح، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل .ولا رأينا أحدا إذا دعاه إلا رافعا يده إلى السماء، ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول : في كل مكان كما يقولون، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول وسقطت الأخبار، واهتدى جهم ورجلان معه، نعوذ بالله من مضلات الفتن .فهذا وأمثاله كلام ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأتباعه، وعنه أخذ الحارث المحاسبي هذا، وقد ذكر الحارث المحاسبي في كتاب [فهم القرآن] هو وغيره من ذلك ما هو مذكور في غير هذا الموضع؛ فإن كلام السلف والأئمة في ذلك كثير، والله أعلم .." (٢)

"ص –٧٣– وقد بينا في غير هذا الموضع : أن الإقرار بالخالق وكماله، يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند **تغير الفطرة وأحوال** تعرض لها .وأما لفظ [الكامل] فقد نقل الأشعري عن الجبائي أنه كان يمنع أن يسمى الله كاملا، ويقول : الكامل الذي له أبعاض مجتمعة .وهذا النزاع إن كان في المعنى فهو باطل، وإن كان في اللفظ فهو نزاع لفظي .والمقصود هنا أن ثبوت الكمال له، ونفي النقائص عنه، مما يعلم بالعقل .وزعمت طائفة من أهل الكلام كأبي المعالي والرازي، والآمدي وغيرهم أن ذلك لا يعلم إلا بالسمع الذي هو الإجماع، وإن نفي الآفات والنقائص عنه لم يعلم إلا بالإجماع، وجعلوا الطريق التي بها نفوا عنه ما نفوه،

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٩/٣٩

(٢) مجموع الفتاوى ٧٩/٥٦

إنما هو نفي مسمى الجسم ونحو ذلك، وخالفوا ما كان عليه شيوخ متكلمة الصفاتية، كالأشعري، والقاضي، وأبي بكر وأبي إسحاق، ومن قبلهم من السلف والأئمة، في إثبات السمع والبصر والكلام له بالأدلة العقلية، وتنزيهه عن النقائص بالأدلة العقلية .ولهذا صار هؤلاء يعتمدون في إثبات هذه الصفات على مجرد السمع، ويقولون : إذا كنا نثبت هذه الصفات بناء على نفي الآفات، ونفي الآفات إنما يكون بالإجماع الذي هو دليل سمعي، والإجماع إنما يثبت بأدلة سمعية من الكتاب." (١)

"ص -٥٧١- وكذلك إذا لم يكن القاصد يريد الذهاب بنفسه، بل يريد خطاب المقصود ودعاءه ونحو ذلك، فإنه يخاطبه من أقرب جهة يسمع دعاءه منها، و ينال به مقصوده إذا كان القصد تاما .ولو كان رجل في مكان عال، وآخر يناديه؛ لتوجه إليه وناداه، ولو حط رأسه في بئر وناداه بحيث يسمع صوته لكان هذا ممكنا،لكن ليس **في الفطرة أن** يفعل ذلك من يكون قصده إسماعه من غير مصلحة راجحة،ولا يفعل نحو ذلك إلا عند ضعف القصد ونحوه .وحديث الإدلاء الذي روى من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قد رواه الترمذي وغيره، من حديث الحسن البصري عن أبي هريرة وهو منقطع، فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، ولكن يقويه حديث أبى ذر المرفوع، فإن كان ثابتا فمعناه موافق لهذا، فإن قوله : " لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله " إنما هو تقدير مفروض، أي لو وقع الإدلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئا؛ لأنه عال بالذات وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخري، لكن بتقدير فرض الإدلاء، يكون ما ذكر من الجزاء .فهكذا ما ذكره السائل : إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة . كان هو سبحانه يسمع كلامه، وكان متوجها إليه بقلبه، لكن هذا مما تمنع **منه الفطرة** ؛ لأن قصد الشيء القصد التام ينافي قصد ضده، فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي." (٢)

"ص -٥٧٥- الإمام أحمد : الهم همان : هم خطرات وهم إصرار . فيوسف عليه السلام هم هما تركه لله فأثيب عليه، وتلك همت هم إصرار ففعلت ما قدرت عليه من تحصيل مرادها، وإن لم يحصل لها المطلوب .والذين قالوا : يعاقب بالإرادة، احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار " قالوا : يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : " إنه أراد قتل صاحبه " ، وفي رواية : " إنه كان حريصا على قتل صاحبه " . فهذا أراد إرادة جازمة، وفعل ما يقدر

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٨٨

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/١٠٦

عليه، وإن لم يدرك مطلوبه، فهو بمنزلة امرأة العزيز، فمتى كان القصد جازما، لزم أن يفعل القاصد ما يقدر عليه من حصول المقصود، فإذا كان قادرا على حصول مقصوده بطريق مستقيم امتنع مع القصد التام أن يحصله بطريق معكوس من بعيد .فلهذا امتنع في فعل العباد عند ضرورتهم، ودعائهم لله تعالى وتمام قصدهم له ألا يتوجهوا إليه إلا توجها مستقيما، فيتوجهوا إلى العلو دون سائر الجهات؛ لأنه الصراط المستقيم، القريب . وما سواه فيه من البعد والانحراف والطول ما فيه، فمع القصد التام الذي هو حال الداعي العابد، والسائل المضطر يمتنع أن يتوجه إليه إلا إلى العلو، ويمتنع أن يتوجه إليه إلى جهة أخرى، كما يمتنع أن يدلي بحبل يهبط عليه، فهذا هذا، والله أعلم .وأما من جهة الشريعة فإن الرسل صلوات الله عليهم بعثوا **بتكميل الفطرة وتقريرها**، لا **بتبديل الفطرة وتغييرها**، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث." (١)

"ص -٥٧٦- المتفق عليه : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبوه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " .وقال الله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ٣٠] ، فجاءت الشريعة في العبادة والدعاء بما يوافق الفطرة، بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصابئين المتفلسفة وغيرهم، فإنهم **غيروا الفطرة في** العلم والإرادة جميعا وخالفوا العقل والنقل، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع .وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، ولكن عن يساره أو تحت قدمه " ، وفي رواية : " إنه أذن أن يبصق في ثوبه " .وفي حديث أبي رزين المشهور، الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم : لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد إلا سيخلوا به ربه . فقال له أبو رزين : كيف يسعنا يا رسول الله وهو واحد، ونحن جميع ؟ فقال : " سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ! هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخليا به، فالله أكبر " .ومن المعلوم أن من توجه إلى القمر وخاطبه إذا قدر أن يخاطبه." (٢)

"ص -٥٧٧- لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه، فهو مستقبل له بوجهه مع كونه فوقه، ومن الممتنع **في الفطرة أن** يستدبره ويخاطبه مع قصده التام له، وإن كان ذلك ممكنا، وإنما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته، كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلى شخص بخطاب، فيعرض عنه بوجهه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٦/٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٦/٣٣

ويخاطب غيره، ليسمع هو الخطاب، فأما مع زوال المانع فإنما يتوجه إليه، فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة، فإنه يستقبل ربه وهو فوقه، فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله، ويدعوه من العلو لا من السفل، كما إذا قدر أنه يخطاب القمر .وقد ثبت في الصحيحين أنه قال : " لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم " ، واتفق العلماء على أن رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه، وروى أحمد عن محمد بن سيرين : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى أنزل الله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ [المؤمنون : ١، ٢] فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده، فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة؛ لأن الداعي السائل الذي يؤمر بالخشوع وهو الذل والسكوت لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه ويسأله بل يناسب حاله الإطراق، وغض بصره أمامه .وليس نهى المصلي عن رفع بصره في الصلاة ردا على أهل الإثبات الذين يقولون : إنه على العرش، كما يظنه بعض جهال الجهمية، فإن الجهمية عندهم لا فرق." (١)

"ص –٥٨٠– ثم إنه من المعلوم أن من جعله الله هاديا مبلغا بلسان عربي مبين، إذا كان لا يتكلم قط إلا بما يخالف الحق الباطن الحقيقي، فهو إلى الضلال والتدليس أقرب منه إلى الهدى والبيان، وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا . والمقصود أن ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، **ولا الفطرة المستقيمة**، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلموإنما يظن تعارضها : من صدق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه، أو اعتقد شيئا ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أو من الكشوفات وهو من الكسوفات إن كان ذلك معارضا لمنقول صحيح وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف الصحيح، ما يظنه منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون كذبا عليه، أو ما يظنه لفظا دالا على شيء ولا يكون دالا عليه، كما ذكروه في قوله صلى الله عليه وسلم : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " ؛ حيث ظنوا أن هذا وأمثاله يحتاج إلى التأويل، وهذا غلط منهم لو كان هذا اللفظ ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا اللفظ صريح في أن الحجر ليس هو من صفات الله، إذ قال : " هو يمين الله في الأرض " ، فتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤/١٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧/١٠٦

"ص -٥٨١- الإطلاق، فلا يكون اليد الحقيقية، وقوله : " فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " صريح في أن مصافحه ومقبله ليس مصافحا لله ولا مقبلا ليمينه؛ لأن المشبه ليس هو المشبه به، وقد أتى بقوله : " فكأنما " ، وهي صريحة في التشبيه، وإذا كان اللفظ صريحا في أنه جعل بمنزلة اليمين، لا أنه نفس اليمين كان من اعتقد أن ظاهره أنه حقيقة اليمين قائلا للكذب المبين .فهذا كله بتقدير أن يكون العرش كرى الشكل، سواء كان هو الفلك التاسع أو غير الفلك التاسع، قد تبين أن سطحه هو سقف المخلوقات، وهو العالي عليها من جميع الجوانب، وأنه لا يجوز أن يكون شيء مما في السماء والأرض فوقه، وأن القاصد إلى ما فوق العرش بهذا التقدير إنما يقصد إلى العلو، لا يجوز في الفطرة ولا في الشرعة مع تمام قصده أن يقصد جهة أخرى من جهاته الست، بل هو أيضا يستقبله بوجهه مع كونه أعلى منه، كما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا من المثل بالقمر ولله المثل الأعلى وبين أن مثل هذا إذا جاز في القمر وهو آية من آيات الله تعالى فالخالق أعلى وأعظم .وأما إذا قدر أن العرش ليس كرى الشكل، بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه الأرض، وأنه فوق الأفلاك الكرية، كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكري، أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ما سواه وليس كري الشكل، فعلى كل تقدير لا نتوجه إلى الله إلا إلى العلو لا إلى غير ذلك من الجهات .." (١)

"ص -٢٥- ﴿سيذكر من يخشى﴾ : سيتعظ بالقرآن من يخشى الله، وفي قوله : ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ : إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة . وهذا لأن التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره، فإن تذكر محبوبا طلبه، وإن تذكر مرهوبا هرب منه، ومنه قوله تعالى : ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة : ٦] ، وقال سبحانه : ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ [يس : ١١] ، فنفى الإنذار عن غير هؤلاء مع قوله : ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ ، فأثبت لهم الإنذار من وجه، ونفاه عنهم من وجه؛ فإن الإنذار هو الإعلام بالمخوف، فالإنذار مثل التعليم والتخويف، فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه، وآخر يقول : علمته فلم يتعلم . وكذلك من خوفته فخاف، فهذا هو الذي تم تخويفه . وأما من خوف فما خاف، فلم يتم تخويفه . وكذلك من هديته فاهتدى، ثم هداه، ومنه قوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] ، ومن هديته فلم يهتد كما قال : ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [فصلت : ١٧] فلم يتم هداه، كما تقول : قطعته فانقطع، وقطعته فما انقطع .فالمؤثر التام يستلزم أثره، فمتى لم يحصل أثره لم يكن تاما، والفعل إذا صادف محلا قابلا تم، وإلا لم يتم . والعلم

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨/١٠٦

بالمحبوب يورث طلبه، والعلم بالمكروه يورث تركه؛ ولهذا يسمى هذا العلم : الداعي، ويقال : الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور، وهو العلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد، وهذا كله إنما يحصل مع **صحة الفطرة وسلامتها**، وأما مع فسادها، فقد يحس الإنسان باللذيذ فلا يجد له لذة بل يؤلمه، وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة، و الفساد." (١)

"ص -١٩١- مع خشيته، كما قال تعالى : ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ [ق : ٣٢ ، ٣٣] ، ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله .والثاني : ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار، فإنما ذاك؛ لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق . وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع، وما أجمع عليه طوائف بني آدم **السليمي الفطرة وجماهير** النظار، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوي النفس، يحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل على الحق . ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل، إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم، كقولهم لنوح﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ، ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه، لكن كرهوا مشاركة أولئك،." (٢)

"ص -٢١٩- أم لا ؟ ولهذا فرض متأخرو الفقهاء مسألة يمتنع وقوعها وهي : أن الرجل إذا كان مقرا بوجوب الصلاة فدعى إليها وامتنع، واستتيب ثلاثا مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل، هل يموت كافرا أو فاسقا ؟ على قولين .وهذا الفرض باطل، فإنه يمتنع **في الفطرة أن** يكون الرجل يعتقد أن الله فرضها عليه، وأنه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل، ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك، هذا لا يفعله بشر قط، بل ولا يضرب أحد ممن يقر بوجوب الصلاة إلا صلى، لا ينتهي الأمر به إلى القتل، وسبب ذلك : أن القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الإنسان إلا لأمر عظيم، مثل لزومه لدين يعتقد أنه إن فارقه هلك

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ٢١٨/١١١

فيصبر عليه حتى يقتل، وسواء كان الدين حقا أو باطلا، أما مع اعتقاده أن الفعل يجب عليه باطنا وظاهرا، فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من احتمال القتل قط .ونظير هذا لو قيل : إن رجلا من أهل السنة قيل له : ترض عن أبي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلهما، ومع عدم الأعذار المانعة من الترضي عنهما، فهذا لا يقع قط . وكذلك لو قيل : إن رجلا يشهد أن محمدا رسول الله باطنا وظاهرا وقد طلب منه ذلك، وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها، فامتنع منها حتى قتل، فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمدا رسول الله؛ ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية جهما ومن وافقه فإنه إذا قدر أنه معذور لكونه أخرس، أو لكونه خائفا من قوم إن." (١)

"ص -٥١٥- أعضائه بقى مجموعا .كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء " ، فالمجتمعة الخلق بعد الجدع لا تبقى مجتمعة، ولكن لا يلزم زوال بقية الأجزاء .وأما زوال الاسم فيقال لهم : هذا أولا بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : " الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان "كما أن الصلاة والحج له أجزاء وشعب، ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب، كما لا يلزم من زوال بعض أجزاء الحج والصلاة زوال سائر الأجزاء، فدعواهم أنه إذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب، و نحن نسلم لهم أنه ما بقى إلا بعضه لا كله، وأن الهيئة الاجتماعية ما بقيت كما كانت .يبقى النزاع : هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء، فيقال لهم : المركبات في ذلك على وجهين، منها : ما يكون التركيب شرطا في إطلاق الاسم، ومنها : ما لا يكون كذلك، فالأول كاسم العشرة، وكذلك السكنجبين، ومنها." (٢)

"ص -٥٢٨- وإذا تبين هذا في الإرادة، والعمل، فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب، كما يقتضي الحس الحركة الإرادية؛ لأن النفس فيها قوتان : قوة الشعور بالملائم والمنافي والإحساس بذلك، والعمل والتصديق به، وقوة الحب للملائم والبغض للمنافي، والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة، وإدراك الملائم يوجب اللذة، والفرح والسرور، وإدراك المنافي، يوجب الألم والغم، وقد

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٩/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ٦٢/١١٣

قال النبي صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " .فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله، تصديقا به ودينا له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه، لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه؛ ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون " ؛ لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته، والنصارى لهم عبادة، وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، لكن بلا علم، فهم ضلال . هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء." (١)

"ص -٤٥- الثاني : أن الله أراد هذه الغاية بالاتفاق، فالعبادة التي خلق الخلق لأجلها هي مرادة له بالاتفاق،وهم يسلمون أن الله أرادها، وحيث تكون اللام للعاقبة لا يكون الفاعل أراد العاقبة، وهؤلاء يقولون : خلقهم وأراد أفعالهم، وأراد عقابهم عليها، فكل ما وقع فهو مراد له ولكنه عندهم لا يفعل مرادا لمراد أصلا؛ لأن الفعل للعلة يستلزم الحاجة، وهذا ضعيف بين الضعف، وأهل الخصوص قالوا مثل هذا الجواب .وطائفة أخرى قالوا : هي على العموم لكن المراد بالعبادة تعبيده لهم، وقهره لهم، ونفوذ قدرته ومشيئته فيهم، وأنه أصارهم إلى ما خلقهم له، من السعادة والشقاوة، هذا جواب زيد بن أسلم وطائفة، وهذا القول الثاني في تفسير الآية .وروى ابن أبي حاتم عن ابن جريج، عن زيد بن أسلم في قوله : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] قال : جبلهم على الشقاوة والسعادة، وقال وهب بن منبه : جبلهم على الطاعة، وجبلهم على المعصية، وهذا يشبه قول من قال في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة) ، أي : على ما كتب له من سعادة وشقاوة، كما قال ذلك طائفة؛ منهم : ابن المبارك وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وقد قيل لمالك : أهل القدر يحتجون علينا بهذا الحديث، فقال : احتجوا عليهم بآخره، وهو قوله : (الله أعلم بما كانوا عاملين) ، وهذا الجواب

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٥/١١٣

يصلح أن يجاب به من أنكر العلم، كما كان على ذلك طائفة من القدماء وهم المعروفون بالقدرية في لغة مالك .." (١)

"ص -٤٨- وأما زيد بن أسلم، ووهب بن منبه، ونحوهم، فحاشاهم من مثل هذا، فإنهم كانوا من أعظم الناس تعظيما للأمر والنهي، والوعد والوعيد ،ولكن قصدوا الرد على المكذبين بالقدر، القائلين : بأنه يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وهؤلاء حقيقة قولهم : أنه لا يقدر على تعبيدهم، وتصريفهم تحت مشيئته، فأرادوا إبطال قول هؤلاء، ونعم ما أرادوا ! لكن الكلام فيما أريد بالآية .وقول أولئك الإباحية يشبه قول من قال : إن العارف إذا شهد المشيئة سقط عنه الملام، وأنه إذا شهد الحكم يعني المشيئة لم يستحسن ولم يستقبح سببه، ونحو هذا من أقوال هؤلاء الذين تشبه أقوالهم أقوال المشركين الذين قالوا : ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، كما قد بسط الكلام عليه، وبين أن إثبات القدر السابق حق، لكن ذلك هو الذي يصير العبد إليه، ليس هو الذي فطر عليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟) . فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ضربه : أن البهيمة تولد سليمة ثم تجدع، والجدع كان مقدرا عليها، كذلك العبد يولد **على الفطرة سليما**، ثم يفسد بالتهود والتنصير، وذلك كان مكتوبا أن يكون .وصاحب هذا القول إنما قاله ليبين ما خلقوا له، وقد قصد هذا طائفة." (٢)

"ص -٢٠٥- يقترن به موجود، فإذا لم يكن عالما، والنفس بطبعها تحركه فإنها حية، والحركة الإرادية من لوازم الحياة، ولهذا أصدق الأسماء : الحارث والهمام، وفي الحديث : " مثل القلب مثل ريشة ملقاة " إلخ، وفيه : " القلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا " ، فإذا كان كذلك، فإن هداها الله علمها ما ينفعها وما يضرها، فأرادت ما ينفعها وتركت ما يضرها، والله سبحانه تفضل على بني آدم بأمرين؛ هما أصل السعادة :أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة، كما في الصحيحين، ولمسلم عن عياض ابن حمار مرفوعا : " إني خلقت عبادي حنفاء " الحديث، فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت محبة لله تعبده لا تشرك به شيئا، ولكن يفسدها من يزين لها من شياطين الإنس والجن، قال تعالى : ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٢] ، وتفسير هذه الآية مبسوط في غير هذا الموضع

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٢/١٢٠

(٢) مجموع الفتاوى ٤٦/١٢٠

.الثاني : أن الله تعالى هدى الناس هداية عامة، بما جعل فيهم من العقل، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل، قال تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ إلى قوله : ﴿ما لم يعلم﴾ [العلق : ١–٥] ، وقال تعالى : ﴿الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان﴾ [الرحمن : ١–٤] ، وقال تعالى : ﴿سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى : ١–٣] ، وقال : ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد : ١٠] ، ففي كل واحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له، وقد هداه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الآخرة، وجعل في فطرته محبة لذلك .." (١)

"ص –٣١٢– والله تعالى بعث الرسل بتكميل الفطرة، فدلوهم على ما ينالون به النعيم في الآخرة وينجون من عذاب الآخرة، فالفرق بين المأمور والمحظور هو كالفرق بين الجنة والنار، واللذة والألم، والنعيم والعذاب، ومن لم يدرك هذا الفرق، فإن كان لسبب أزال عقله هو به معذور، وإلا كان مطالبا بما فعله من الشر وتركه من الخير .ولا ريب أن في الناس من قد يزول عقله في بعض الأحوال، ومن الناس من يتعاطى ما يزيل العقل؛ كالخمر وكسماع الأصوات المطربة، فإن ذلك قد يقوى حتى يسكر أصحابها، ويقترن بهم شياطين، فيقتل بعضهم بعضا في السماع المسكر، كما يقتل شراب الخمر بعضهم بعضا إذا سكروا، وهذا مما يعرفه كثير من أهل الأحوال، لكن منهم من يقول : المقتول شهيد، والتحقيق : أن المقتول يشبه المقتول في شرب الخمر، فإنهم سكروا سكرا غير مشروع، لكن غالبهم يظن أن هذا من أحوال أولياء الله المتقين، فيبقى القتيل فيهم كالقتيل في الفتنة، وليس هو كالذي تعمد قتله،ولا هو كالمقتول ظلما من كل وجه .فإن قيل : فهل هذا الفناء يزول به التكليف ؟قيل : إن حصل للإنسان سبب يعذر فيه، زال به عقله الذي يميز به، فكان بمنزلة النائم والمغمي عليه، والسكران سكرا لا يأثم به، كمن سكر قبل التحريم أو أوجر الخمر، أو أكره على شربها عند الجمهور، وأما إن كان السكر لسبب محرم، فهذا فيه نزاع معروف بين العلماء .." (٢)

"ص –٣٩٥– فنقول : الجبر المنفي هو الأول كما فسرناه، وأما إثبات القسم الثاني، فلا ريب فيه عند أهل الاستنان والآثار، و أولى الألباب والأبصار، لكن لا يطلق عليه اسم الجبر خشية الالتباس بالقسم الأول، وفرارا من تبادر الأفهام إليه، وربما سمى جبرا إذا أمن من اللبس وعلم القصد، قال علي رضي الله عنه في الدعاء المشهور عنه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم داحي المدحوات، وباري

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/١٢٧

(٢) مجموع الفتاوى ١١/١٣٣

المسموكات، جبار القلوب على فطراتها شقاها أو سعدها .فبين أنه سبحانه جبر القلوب على ما فطرها عليه، من شقاوة أو سعادة **وهذه الفطرة الثانية ليست الفطرة الأولى**، وبكلا الفطرتين، فسر قوله صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد **على الفطرة** . وتفسيره بالأولى واضح قاله محمد بن كعب القرظي وهو من أفاضل تابعي أهل المدينة وأعيانهم، وربما فضل على أكثرهم في قوله : الجبار، قال : جبر العباد على ما أراد، وروى ذلك عن غيره، وشهادة القرآن والأحاديث، ورؤية أهل البصائر والاستدلال التام لتقليب الله سبحانه وتعالى قلوب العباد، وتصريفه إياها وإلهامه فجورها وتقواها، وتنزيل القضاء النافذ من عند العزيز الحكيم، في أدنى من لمح البصر على قلوب العالمين، حتى تتحرك الجوارح بما قضي لها وعليها بين غاية البيان، إلا لمن أعمى الله بصره وقلبه .فإن قلت : أنا أسألك علي هذا التقدير بعد خروجي عن تقدير الجبر الذي نفوه وأبطلوه وثباتي على ما قالوه وبينوه كيف انبنى الثواب والعقاب." (١)

"ص -١٢- القول؛ لأنه معلوم؛ إذ العلم يوجب القبول . وأما كونه لا يفيد العلم فلا يوجب قبوله إلا لسبب؛ فإن كان لشهرته، فهو خطابي، ولو لم يفد علما ولا ظنا . وهو أيضا خطابي إذا كانت قضيته مشهورة، وإن أفاد علما أو ظنا . والقول في الجدلي كذلك .ثم إنهم قد يمثلون المشهورات المقبولات التي ليست علمية بقولنا : العلم حسن، والجهل قبيح، والعدل حسن، والظلم قبيح، ونحو ذلك من الأحكام العملية العقلية التي يثبتها من يقول بالتحسين والتقبيح، ويزعمون أنا إذا رجعنا إلى محض العقل لم نجد فيه حكما بذلك . وقد يمثلونها بأن الموجود لابد أن يكون مباينا للموجود الآخر أو محايثا له، أو أن الموجود لابد أن يكون بجهة من الجهات، أو يكون جائز الرؤية ويزعمون أن هذا من أحكام الوهم **لا الفطرة العقلية** .قالوا : لأن العقل يسلم مقدمات يعلم بها فساد الحكم الأول .وهذا كله تخليط ظاهر لمن تدبره .فأما تلك القضايا التي سموها مشهورات غير معلومة، فهي من العلوم العقلية البديهية التي جزم العقول بها أعظم من جزمها بكثير من العلوم الحسابية والطبيعية، وهي كما قال أكثر المتكلمين من أهل الإسلام، بل أكثر متكلمي أهل الأرض من جميع الطوائف : أنها قضايا بديهية عقلية، لكن." (٢)

"ص -١٣- قد لا يحسنون تفسير ذلك؛ فإن حسن ذلك وقبحه هو حسن الأفعال وقبحها، وحسن الفعل هو كونه مقتضيا لما يطلبه الحي لذاته ويريده من المقاصد، وقبحه بالعكس، والأمر كذلك .فإن العلم والصدق والعدل هي كذلك محصلة لما يطلب لذاته ويراد لنفسه من المقاصد، فحسن الفعل وقبحه هو

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/١٣٦

(٢) مجموع الفتاوى ٩/١٤٧

لكونه محصلا للمقصود المراد بذاته أو منافيا لذلك .ولهذا كان الحق يطلق تارة بمعنى النفي والإثبات فيقال : هذا حق، أي ثابت، وهذا باطل، أي : منتف . وفي الأفعال بمعنى : التحصيل للمقصود، فيقال : هذا الفعل حق، أي : نافع، أو محصل للمقصود، ويقال : باطل، أي : لا فائدة فيه ونحو ذلك .وأما زعمهم : أن البديهة والفطرة قد تحكم بما يتبين لها بالقياس فساده، فهذا غلط؛ لأن القياس لابد له من مقدمات بديهية فطرية؛ فإن جوز أن تكون المقدمات الفطرية البديهية غلطا من غير تبيين غلطها إلا بالقياس، لكان قد تعارضت المقدمات الفطرية بنفسها، ومقتضى القياس الذي مقدماته فطرية . فليس رد هذه المقدمات الفطرية لأجل تلك بأولى من العكس، بل الغلط فيما تقل مقدماته أولى، فما يعلم بالقياس وبمقدمات فطرية أقرب إلى الغلط مما يعلم **بمجرد الفطرة** .." (١)

"ص -٢١- الصناعة المنطقية واصطلاح أهلها . وكذلك ما يصح من العلوم الطبيعية الكلية والطبية، تجد الحاذقين فيها لم يستعينوا عليها بشيء من صناعة المنطق، بل إمام صناعة الطب بقراط له فيها من الكلام الذي تلقاه أهل الطب بالقبول ووجدوا مصداقه بالتجارب، وله فيها من القضايا الكلية التي هي عند عقلاء بني آدم من أعظم الأمور، ومع هذا فليس هو مستعينا بشيء من هذه الصناعة، بل كان قبل واضعها .وهم وإن كان العلم الطبيعي عندهم أعلم وأعلى من علم الطب، فلا ريب أنه متصل به . فبالعلم بطبائع الأجسام المعينة المحسوسة تعلم طبائع سائر الأجسام، ومبدأ الحركة والسكون الذي في الجسم، ويستدل بالجزء على الكل؛ ولهذا كثيرا ما يتناظرون في مسائل، ويتنازع فيها هؤلاء وهؤلاء، كتناظر الفقهاء والمتكلمين في مسائل كثيرة تتفق فيها الصناعتان، وأولئك يدعون عموم النظر، ولكن الخطأ والغلط عند المتكلمين والمتفلسفة أكثر مما هو عند الفقهاء والأطباء، وكلامهم وعلمهم أنفع، وأولئك أكثر ضلالا وأقل نفعا؛ لأنهم طلبوا بالقياس ما لا يعلم بالقياس، **وزاحموا الفطرة والنبوة** مزاحمة أوجبت من مخالفتهم للفطرة والنبوة ما صاروا به من شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، بخلاف الطب المحض، فإنه علم نافع، وكذلك الفقه المحض .وأما علم ما بعد الطبيعة وإن كانوا يعظمونه، ويقولون : هو الفلسفة الأولى، وهو العلم الكلي الناظر في الوجود ولواحقه، ويسميه متأخروهم العلم." (٢)

"ص -٢٥- فأما أن يكون المنطق وقفهم على حق يهتدون به، فهذا لا يقع بالمنطق .ففي الجملة، ما يحصل به لبعض الناس من شحذ ذهن، أو رجوع عن باطل أو تعبير عن حق، فإنما هو لكونه كان في

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/١٤٧

أسوأ حال، لا لما في صناعة المنطق من الكمال .ومن المعلوم أن المشرك إذا تمجس، والمجوسي إذا تهود، حسنت حاله بالنسبة إلى ما كان فيه قبل ذلك، لكن لا يصلح أن يجعل ذلك عمدة لأهل الحق المبين .وهذا ليس مختصا به، بل هذا شأن كل من نظر في الأمور التي فيها دقة ولها نوع إحاطة، كما تجد ذلك في علم النحو؛ فإنه من المعلوم أن لأهله من التحقيق والتدقيق والتقسيم والتحديد ما ليس لأهل المنطق، وأن أهله يتكلمون في صورة المعاني المعقولة على أكمل القواعد . فالمعاني فطرية عقلية لا تحتاج إلى وضع خاص، بخلاف قوالبها التي هي الألفاظ، فإنها تتنوع، فمتى تعلموا أكمل الصور والقوالب للمعاني **مع الفطرة الصحيحة**، كان ذلك أكمل وأنفع وأعون على تحقيق العلوم من صناعة اصطلاحية في أمور فطرية عقلية لا يحتاج فيها إلى اصطلاح خاص .هذا لعمري عن منفعته في سائر العلوم .." (١)

"ص –٢٧– فهم بالنسبة إلى جهال الأمم كبادية الترك ونحوهم أمثل إذا خلوا عن ضلالهم، فأما مع ضلالهم فقد يكون الباقون **على الفطرة من** جهال بني آدم أمثل منهم .فأما أضل أهل الملل مثل جهال النصارى وسامرة اليهود فهم أعلم منهم وأهدى وأحكم وأتبع للحق . وهذا قد بسطته بسطا كثيرا في غير هذا الموضع .وإنما المقصود هنا : بيان أن هذه الصناعة قليلة المنفعة عظيمة الحشو .وذلك أن الأمور العملية الخلقية قل أن ينتفع فيها بصناعة المنطق؛ إذ القضايا الكلية الموجبة وإن كانت توجد في الأمور العملية لكن أهل السياسة لنفوسهم ولأهلهم ولملكهم، إنما ينالون تلك الآراء الكلية من أمور لا يحتاجون فيها إلى المنطق، ومتى حصل ذلك الرأي كان الانتفاع به بالعمل .ثم الأمور العملية لا تقف على رأى كلي، بل متى علم الإنسان انتفاعه بعمل، عمله، وأي عمل تضرر به، تركه . وهذا قد يعلمه بالحس الظاهر أو الباطن لا يقف ذلك على رأي كلي .فعلم أن أكثر الأمور العملية لا يصح استعمال المنطق فيها؛ ولهذا كان." (٢)

"ص –١٠٠– والتأخير، ولو كان هذا فطريا **كانت الفطرة تدركه** بدون التقليد، كما تدرك سائر الأمور الفطرية . والذي **في الفطرة أن** هذه اللوازم كلها لوازم للموصوف وقد يخطر بالبال، وقد لا يخطر . أما أن يكون هذا خارجا عن الذات، وهذا داخلا في الذات، فهذا تحكم محض ليس له شاهد لا في الخارج ولا **في الفطرة** .والثاني : أن كون الوصف ذاتيا للموصوف، هو أمر تابع لحقيقته التي هو بها سواء تصورته أذهاننا، أو لم تتصوره، فلابد إذا كان أحد الوصفين ذاتيا دون الآخر أن يكون الفرق بينهما أمرا يعود إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/١٤٧

حقيقتهما الخارجة الثابتة بدون الذهن، وإما أن يكون بين الحقائق الخارجية ما لا حقيقة له إلا مجرد التقدم والتأخر في الذهن، فهذا لا يكون إلا أن تكون الحقيقة والماهية هي ما يقدر في الذهن لا ما يوجد في الخارج . وذلك أمر يتبع تقدير صاحب الذهن، وحينئذ فيعود حاصل هذا الكلام إلى أمور مقدرة في الأذهان لا حقيقة لها في الخارج وهي التخيلات والتوهمات الباطلة، وهذا كثير في أصولهم . السابع : أن يقال : هل يشترطون في الحد التام وكونه يفيد تصور الحقيقة أن تتصور جميع صفاته الذاتية المشتركة بينه وبين غيره أم لا ؟ . فإن شرطوا، لزم استيعاب جميع الصفات . وإن لم يشترطوا واكتفوا بالجنس القريب دون غيره فهو تحكم محض، وإذا عارضهم من يوجب ذكر جميع." (١)

"ص –١١٥– فإن قالوا : هذا العلم بالبديهة أو الضرورة، كان هذا قولا بأن هذه القضايا الكلية معلومة بالبديهة والضرورة، وأن النفس مضطرة إلى هذا العلم . وهذا إن كان حقا، فالعلم بالأعيان المعينة وبأنواع الكليات يحصل أيضا في النفس بالبديهة والضرورة كما هو الواقع، فإن جزم العقلاء بالشخصيات من الحسيات، أعظم من جزمهم بالكليات وجزمهم بكلية الأنواع أعظم من جزمهم بكلية الأجناس، والعلم بالجزئيات أسبق إلى الفطرة، **فجزم الفطرة بها** أقوى . ثم كلما قوى العقل، اتسعت الكليات وحينئذ فلا يجوز أن يقال : إن العلم بالأشخاص موقوف على العلم بالأنواع والأجناس، ولا أن العلم بالأنواع موقوف على العلم بالأجناس، بل قد يعلم الإنسان أنه حساس متحرك بالإرادة قبل أن يعلم أن كل إنسان كذلك، ويعلم أن الإنسان كذلك قبل أن يعلم أن كل حيوان كذلك، فلم يبق علمه بأن غيره من الحيوان حساس متحرك بالإرادة موقوفا على البرهان، وإذا علم حكم سائر الناس وسائر الحيوان، فالنفس تحكم بذلك بواسطة علمها أن ذلك الغائب مثل هذا الشاهد، أو أنه يساويه في السبب الموجب لكونه حساسا متحركا بالإرادة ونحو ذلك من قياس التمثيل والتعليل الذي يحتج به الفقهاء في إثبات الأحكام الشرعية .وهؤلاء يزعمون أن ذلك القياس إنما يفيد الظن، وقياسهم هو الذي يفيد اليقين، وقد بينا في غير هذا الموضع أن قولهم هذا من أفسد الأقوال، وأن." (٢)

"ص –١٤٢– في القرآن من هذا الباب، كما يذكره في دلائل ربوبيته وإلهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته وإمكان المعاد، وغير ذلك من المطالب العالية السنية، والمعالم الإلهية التي هي أشرف العلوم وأعظم ما تكمل به النفوس من المعارف، وإن كان كمالها لابد فيه من كمال علمها وقصدها جميعا، فلابد من عبادة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/١٤٨

الله وحده، المتضمنة لمعرفته ومحبته والذل له .وأما استدلاله تعالى بالآيات فكثير في القرآن .والفرق بين الآيات وبين القياس : أن [الآية] هي العلامة، وهي الدليل الذي يستلزم عين المدلول، لا يكون مدلوله أمرا كليا مشتركا بين المطلوب وغيره، بل نفس العلم به يوجب العلم بعين المدلول، كما أن الشمس آية النهار، قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ [الإسراء : ١٢] ، فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بوجود النهار، وكذلك نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : العلم بنبوته بعينه لا يوجب أمرا مشتركا بينه وبين غيره .وكذلك آيات الرب تعالى نفس العلم بها يوجب العلم بنفسه المقدسة تعالى، لا يوجب علما كليا مشتركا بينه وبين غيره، والعلم بكون هذا مستلزما لهذا هو جهة الدليل، فكل دليل في الوجود لابد أن يكون مستلزما للمدلول، والعلم باستلزام المعين للمعين المطلوب أقرب إلى الفطرة من العلم بأن كل معين." (١)

"ص -١٤٣- من معينات القضية الكلية يستلزم النتيجة، والقضايا الكلية هذا شأنها .فإن القضايا الكلية إن لم تعلم معيناتها بغير التمثيل وإلا لم تعلم إلا بالتمثيل، فلابد من معرفة لزوم المدلول للدليل الذي هو الحد الأوسط، فإذا كان كليا فلابد أن يعرف أن كل فرد من أفراد الحكم الكلي المطلوب يلزم كل فرد من أفراد الدليل، كما إذا قيل : كل أ : ب، وكل ب : ج، فكل ج : أ، فلابد أن يعرف أن كل فرد من أفراد الجيم يلزم كل فرد من أفراد الباء وكل فرد من أفراد الباء يلزم كل فرد من أفراد الألف . ومعلوم أن العلم بلزوم الجيم المعين للباء المعين، والباء المعين للألف المعين أقرب إلى الفطرة من هذا . وإذا قيل : تلك القضية الكلية تحصل في الذهن ضرورة أو بديهة من واهب العقل . قيل : حصول تلك القضية المعينة في الذهن من واهب العقل أقرب . ومعلوم أن كل ما سوى الله من الممكنات فإنه مستلزم لذات الرب تعالى . يمتنع وجوده بدون وجود ذات الرب تعالى، وتقدس، وإن كان مستلزما أيضا لأمور كلية مشتركة بينه وبين غيره فلأنه يلزم من وجوده وجود لوازمه .وتلك الكليات المشتركة من لوازم المعين، أعني يلزمه ما يخصه من ذلك الكلي العام، والكلي المشترك يلزمه بشرط وجوده، ووجود العالم الذي يتصور القدر المشترك وهو سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه، فيعلم نفسه المقدسة بما يخصها، ويعلم الكليات أنها كليات، فيلزم من وجود الخاص وجود العام المطلق، كما يلزم من وجود هذا الإنسان وجود الإنسانية والحيوانية، فكل ما." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٢/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ٦٣/١٤٨

"ص -١٩٣- والتقسيم] ، وقد يسميه أيضا الجدليون [التقسيم والترديد] فمضمونه الاستدلال بثبوت أحد النقيضين على انتفاء الآخر، وبانتفائه على ثبوته . وأقسامه أربعة، ولهذا كان في مانعة الجمع والخلو الاستثناءات الأربعة وهو أنه إن ثبت هذا انتفى نقيضه وكذا الآخر، وإن انتفى هذا ثبت نقيضه وكذا الآخر، ومانعة الجمع الاستدلال بثبوت أحد الضدين على انتفاء الآخر، والأمران متنافيان، ومانعة الخلو فيها تناقض ولزوم، والنقيضان لا يرتفعان، فمنعت الخلو منهما، ولكن جزاءها وجود شيء وعدم آخر، ليس هو وجود الشيء وعدمه، ووجود شيء وعدم آخر قد يكون أحدهما لازما للآخر، وإن كانا لا يرتفعان؛ لأن ارتفاعهما يقتضي ارتفاع وجود شيء وعدمه معا .وبالجملة، ما من شيء إلا وله لازم لا يوجد بدونه، وله مناف مضاد لوجوده، فيستدل عليه بثبوت ملزومه، وعلى انتفائه بانتفاء لازمه، ويستدل على انتفائه بوجود منافيه، ويستدل بانتفاء منافيه على وجوده؛ إذا انحصر الأمر فيهما فلم يمكن عدمهما جميعا، كما لم يمكن وجودهما جميعا، وهذا الاستدلال يحصل من العلم بأحوال الشيء وملزومها ولازمها، وإذا **تصورته الفطرة عبرت** عنه بأنواع من العبارات وصورته في أنواع صور الأدلة، لا يختص شيء من ذلك بالصورة التي ذكروها في القياس، فضلا عما سموه البرهان، فإن البرهان شرطوا له مادة معينة، وهي القضايا التي ذكروها، وأخرجوا من الأوليات ما سموه وهميات، وما سموه مشهورات، **وحكم الفطرة بهما** لاسيما بما سموه وهميات أعظم من حكمها بكثير من اليقينيات التي جعلوها مواد البرهان .." (١)

"ص -٢١٢- له بنفي ولا إثبات، وإنما هذا بحسب علمه بالمقدمات التي اشتمل عليها الدليل، وليس في قياسهم بيان صحة شيء من المقدمات ولا فسادها، وإنما يتكلمون في هذا إذا تكلموا في مواد القياس وهو الكلام في المقدمات من جهة ما يصدق بها، وكلامهم في هذا فيه خطأ كثير، كما نبه عليه في موضع آخر .والمقصود هنا أن الحقيقة المعتبرة في كل برهان ودليل في العالم هو اللزوم، فمن عرف أن هذا لازم لهذا، استدل بالملزوم على اللازم . وإن لم يذكر لفظ اللزوم ولا تصور معنى هذا اللفظ، بل من عرف أن كذا لابد له من كذا، أو أنه إذا كان كذا كان كذا، وأمثال هذا، فقد علم اللزوم . كما يعرف أن كل ما في الوجود آية لله، فإنه مفتقر إليه محتاج إليه، لابد له من محدث ،كما قال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ [الطور : ٣٥] ، قال جبير بن مطعم : لما سمعت هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع . فإن هذا تقسيم حاصر يقول : أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممتنع في بداىة العقول، أم خلقوا أنفسهم، فهذا أشد امتناعا، فعلم أن لهم خالقا خلقهم .وهو – سبحانه – ذكر الدليل

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٣/١٤٨

بصيغة استفهام الإنكار، ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن لأحد إنكارها، فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول : هذا أحدث نفسه .." (١)

"ص -٢٢١- فقد تبين أن القضايا الكلية البرهانية، التي يجب القطع بكليتها التي يستعملونها في قياسيهم لا تستعمل في شيء من الأمور الموجودة، وإنما تستعمل في مقدرات ذهنية، فإذن لايمكنهم معرفة الأمور الموجودة بالقياس البرهاني، وهذا هو المطلوب؛ ولهذا لم يكن لهم علم بحصر أقسام الموجود، بل أرسطو لما حصر أجناس الموجودات في [المقولات العشر] : الجوهر، والكم، والكيف، والآين، ومتى، والوضع، وأن يفعل، وأن ينفعل، والملك، والإضافة، اتفقوا على أنه لا سبيل إلى معرفة صحة هذا الحصر .الوجه الثاني : أن يقال : إذا كان لابد في كل قياس من قضية كلية، فتلك القضية الكلية لابد أن تنتهي إلى أن تعلم بغير قياس، وإلا لزم الدور والتسلسل، فإذا كان لابد أن تكون لهم قضايا كلية معلومة بغير قياس، فنقول : ليس في الموجودات ما تعلم له الفطرة قضية كلية بغير قياس، إلا وعلمها بالمفردات المعينة من تلك الق‍ضية الكلية أقوى من علمها بتلك القضية الكلية، مثل قولنا : الواحد نصف الاثنين، والجسم لا يكون في مكانين، والضدان لا يجتمعان، فإن العلم بأن هذا الواحد نصف الاثنين في الفطرة أقوى من العلم بأن كل واحد نصف كل اثنين، وهكذا كل ما يفرض من الآحاد .فيقال : المقصود بهذه القضايا الكلية إما أن يكون العلم بالموجود الخارجي،/." (٢)

"ص -٢٢٢- أو العلم بالمقدرات الذاهنية، أما الثاني ففائدته قليلة، وأما الأول فما من موجود معين إلا وحكمه بعلم تعينه أظهر وأقوى من العلم به عن قياس كلي يتناوله، فلا يتحصل بالقياس كثير فائدة، بل يكون ذلك تطويلا، وإنما استعمل القياس في مثل ذلك لأجل الغالط والمعاند، فيضرب له المثل وتذكر الكلية ردا لغلطه وعناده بخلاف من كان سليم الفطرة .وكذلك قولهم : الضدان لا يجتمعان، فأي شيئين علم تضادهما، فإنه يعلم أنهما لا يجتمعان قبل استحضار قضية كلية بأن كل ضدين لا يجتمعان، وما من جسم معين إلا يعلم أنه لا يكون في مكانين قبل العلم بأن كل جسم لا يكون في مكانين، وأمثال ذلك كثير .فما من معين مطلوب علمه بهذه القضايا الكلية إلا وهو يعلم قبل أن تعلم هذه القضية، ولا يحتاج في العلم به إليها، وإنما يعلم بها ما يقدر في الذهن من أمثال ذلك مما لم يوجد في الخارج .وأما الموجودات

(١) مجموع الفتاوى ١٣٢/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٤١/١٤٨

الخارجية فتعلم بدون هذا القياس . وإذا قيل : أن من الناس من يعلم بعض الأعيان الخارجية بهذا القياس، فيكون مبناه على قياس التمثيل الذي ينكرون أنه يقيني . فهم بين أمرين : إن اعترفوا بأن قياس التمثيل من جنس قياس الشمول ينقسم إلى يقيني وظني، بطل تفريقهم، وإن ادعوا الفرق بينهما وأن قياس الشمول يكون يقينيا دون التمثيل منعوا ذلك، وبين لهم أن اليقين لا يحصل." (١)

"ص -٢٢٦- /والمقصود أن الإمكان الخارجي يعرف بالوجود لا بمجرد عدم العلم بالامتناع، كما يقوله طائفة منهم الآمدي وأبعد من إثباته الإمكان الخارجي بالإمكان الذهني، ما يسلكه المتفلسفة كابن سينا في إثبات الإمكان الخارجي بمجرد إمكان تصوره في الذهن، كما أنهم لما أرادوا إثبات موجود في الخارج معقول لا يكون محسوسا بحال . استدلوا على ذلك بتصور الإنسان الكلي المطلق المتناول للأفراد الموجودة في الخارج، وهذا إنما يفيد إمكان وجود هذه المعقولات في الذهن، فإن الكلي لا يوجد كليا إلا في الذهن، فأين طرق هؤلاء في إثبات الإمكان الخارجي من طريقة القرآن ؟ !ثم إنهم يمثلون بهذه الطرق الفاسدة، يريدون خروج الناس عما فطروا عليه من المعارف اليقينية والبراهين العقلية، وما جاءت به الرسل من الأخبار الإلهية عن الله واليوم الآخر، ويريدون أن يجعلوا مثل هذه القضايا الكاذبة، والخيالات الفاسدة أصولا عقلية يعارض بها ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه من الآيات،وما فطر الله عليه عباده، وما تقوم عليه الأدلة العقلية التي لا شبهة فيها، وأفسدوا بأصولهم العلوم العقلية والسمعية، فإن مبنى العقل على **صحة الفطرة وسلامتها**، ومبنى السمع على تصديق الأنبياء- صلوات الله عليهم- ثم الأنبياء – صلوات الله عليهم – كملوا للناس الأمرين، فدلوهم على الأدلة العقلية التي بها تعلم المطالب التي يمكنهم علمهم بها بالنظر والاستدلال، وأخبروهم مع ذلك من تفاصيل الغيب بما يعجزون عن معرفته بمجرد نظرهم واستدلالهم .." (٢)

"ص -٢٤٢- ألفاظها وصارت مجملة تتناول حقا وباطلا، حصل بها من الضلال ما هو ضد المقصود من الموازين، وصارت هذه الموازين عائلة لا عادلة، و كانوا فيها من المطففين، ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ [المطففين : ٢، ٣] وأين البخس في الأموال من البخس في العقول والأديان ؟ ! . مع أن أكثرهم لا يقصدون البخس، بل هم بمنزلة من ورث موازين من أبيه يزن بها تارة له، وتارة عليه، ولا يعرف أهي عادلة أم عائلة .والميزان التي أنزلها الله مع الكتاب ميزان

(١) مجموع الفتاوى ١٤٢/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٤٦/١٤٨

عادلة تتضمن اعتبار الشيء بمثله، وخلافه، فتسوى بين المتماثلين وتفرق بين المختلفين، بما جعله الله في فطر عباده وعقولهم من معرفة التماثل والاختلاف .فإذا قيل : إن كان هذا مما يعرف بالعقل، فكيف جعله الله مما أرسل به الرسل ؟قيل : لأن الرسل ضربت للناس الأمثال العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف، فإن الرسل دلت الناس وأرشدتهم إلى ما به يعرفون العدل، ويعرفون الأقيسة العقلية الصحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية . فليست العلوم النبوية مقصورة على الخبر، بل الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين الله علما وعملا، وضربت الأمثال **فكملت الفطرة بما** نبهتها عليه وأرشدتها، لما **كانت الفطرة معرضة** عنه،." (١)

"ص -٢٤٣- أو **كانت الفطرة قد** فسدت بما يحصل لها من الآراء والأهواء الفاسدة، فأزالت ذلك الفساد، والقرآن والحديث مملوءان من هذا؛ يبين الله الحقائق بالمقاييس العقلية والأمثال المضروبة، ويبين طريق التسوية بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين، وينكر على من يخرج عن ذلك كقوله : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية [الجاثية : ٢١] وقوله : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون ﴾ [القلم : ٣٥، ٣٦] أي هذا حكم جائر لا عادل، فإن فيه تسوية بين المختلفين، ومن التسوية بين المتماثلين قوله : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ [القمر : ٤٣] ، وقوله : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ الآية [البقرة : ٢١٤] .والمقصود التنبيه على أن الميزان العقلي حق كما ذكر الله في كتابه، وليست هي مختصة بمنطق اليونان، بل ہ ي الأقيسة الصحيحة المتضمنة للتسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين، سواء صيغ ذلك بصيغة قياس الشمول أو بصيغة قياس التمثيل،وصيغ التمثيل هي الأصل وهي الحمل، والميزان هو القدر المشترك وهو الجامع .الوجه الثامن : أنهم كما حصروا اليقين في الصورة القياسية حصروه في المادة التي ذكروها من القضايا؛ الحسيات، والأوليات، والمتواترات، والمجربات، والحدسيات . ومعلوم أنه لا دليل على نفي ما سوى هذه القضايا ثم مع ذلك إنما اعتبروا في الحسيات والعقليات وغيرها ما جرت العادة باشتراك." (٢)

"ص -٣١٣- وضع في موضعه، كما أن العين إذا صرفت إلى النظر في الأشياء فقد وضعت في موضعها، أما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يوع فيه الحق فقد نسي ربه، فلم يوضع في موضع بل هو ضائع،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٢/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٣/١٤٨

ولا يحتاج أن نقول : قد وضع في موضع غير موضعه، بل لم يوضع أصلا ؛ فإن موضعه هو الحق، وما سوى الحق باطل، فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل، والباطل ليس بشيء أصلا، وما ليس بشيء أحرى ألا يكون موضعا .والقلب هو نفسه لا يقبل إلا الحق، فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له، ﴿ سنة الله ﴾ ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] وهو مع ذلك ليس بمتروك مخلي، فإنه لايزال في أودية الأفكار وأقطار الأماني لا يكون على الحال التي تكون عليها العين والأذن من الفراغ والتخلي، فقد وضع في غير موضع لا مطلق ولا معلق، موضوع لا موضع له، و هذا من العجب فسبحان ربنا العزيز الحكيم، وإنما تنكشف للإنسان هذه الحال عند رجوعه إلى الحق، إما في الدنيا عند الإنابة، أو عند المنقلب إلى الآخرة، فيرى سوء الحال التي كان عليها، وكيف كان قلبه ضالا عن الحق، هذا إذا صرف في الباطل .فأما لو ترك وحاله التي فطر عليها فارغا عن كل ذكر، خاليا عن كل فكر، فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه، ويرى الحق الذي لا ريب فيه، فيؤمن بربه وينيب إليه، فإن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، لا يحس فيها من جدع." (١)

"ص -٧٢- محبته لا يجوز أن تفسر بمجرد محبة رسوله، فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل له، وإن كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له .وأيضا، فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه أمر لا يعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازا، فحمل الكلام عليه تحريف محض أيضا . وقد قررنا في مواضع من القواعد الكبار أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوبا مرادا لذاته كما لا يجوز أن يكون غير الله موجودا بذاته، بل لا رب إلا الله، ولا إله إلا هو المعبود، الذي يستحق أن يحب لذاته ويعظم لذاته، كمال المحبة والتعظيم .وكل مولود يولد على الفطرة فإنه سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحده، وإن كل ما أحبه المحبوب من مطعوم وملبوس ومنظور ومسموع وملموس يجد من نفسه أن قلبه يطلب شيئا سواه، ويحب أمرا غيره يتألهه ويصمد إليه ويطمئن إليه ويرى ما يشبهه من هذه الأجناس؛ ولهذا قال الله تعالى في كتابه : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] ، وفي الحديث الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال : "إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا " ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/١٥٣

صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج ./" (١)

"ص -١٣٤- لهواه معه فيفعل لأجله ما هو محرم، أو ما هو مأمور به لله فيفعله لأجل هواه لا لله، وهذه أمراض كثيرة في النفوس، والإنسان قد يبغض شيئا فيبغض لأجله أمورا كثيرة بمجرد الوهم والخيال .وكذلك يحب شيئا فيحب لأجله أمورا كثيرة، لأجل الوهم والخيال، كما قال شاعرهم :أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلابفقد أحب سوداء، فأحب جنس السواد، حتى في الكلاب، وهذا كله مرض في القلب في تصوره وإرادته .فنسأل الله تعالى أن يعافي قلوبنا من كل داء، ونعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء .والقلب إنما خلق لأجل حب الله تعالى **وهذه الفطرة التي** فطر الله عليها عباده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه أقرؤوا إن شئتم : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [الروم : ٣٠] ، أخرجه البخاري ومسلم .." (٢)

"ص -١٣٥- فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا **تركت الفطرة بلا** فساد كان القلب عارفا بالله محبا له عابدا له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه كلها تغير فطرته التي فطره عليها، وإن كانت بقضاء الله وقدره كما يغير البدن بالجدع ثم قد يعود **إلى الفطرة إذا** يسر الله تعالى لها من يسعى في إعادتها **إلى الفطرة** .والرسل صلى الله عليهم وسلم بعثوا **لتقرير الفطرة وتكميلها** لا **لتغيير الفطرة وتحويلها**، وإذا كان القلب محبا لله وحده مخلصا له الدين، لم يبتل بحب غيره أصلا، فضلا أن يبتلى بالعشق، وحيث ابتلى بالعشق فلنقص محبته لله وحده .ولهذا لما كان يوسف محبا لله مخلصا له الدين لم يبتل بذلك، بل قال تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] . وأما امرأة العزيز فكانت مشركة هي وقومها؛ فلهذا ابتليت بالعشق، وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه، وإلا فالقلب المنيب إلى الله الخائف منه فيه صارفان يصرفانه عن العشق :أحدهما : إنابته إلى الله؛ ومحبته له، فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع محبة الله محبة مخلوق تزاحمه .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٥/٧٧

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٦/٤٦

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٦/٤٧

"ص -١٤٦- يشفيه منها، كما قال ابن مسعود : وعلم هو داء الدين وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدين، وهو علم السحر ونحوه .فحفظ الصحة بالمثل، وإزالة المرض بالضد، في مرض الجسم الطبيعي، ومرض القلب النفساني الديني الشرعي . قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [الروم : ٣٠] ، أخرجاه في الصحيحين . قال الله تعالى : ﴿وله من في السماوات والأرض كل له قانتون . وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ﴾ إلى قوله : ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ﴾ إلى قوله : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ٢٦٣٠] .فأخبر أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفا، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه من الحركة الفطرية الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب، وتركها ظلم عظيم اتبع أهله أهواءهم بغير علم، ولابد **لهذه الفطرة والخلقة** وهي صحة الخلقة من قوت وغذاء يمدها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علما وعملا؛ ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة، وهي مأدبة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود : "إن كل آدب يحب أن." (١)

"ص -٤٦٦- والرسل صلوات الله عليهم وسلامه بعثوا **بتكميل الفطرة وتقريرها** لا **بتحويل الفطرة وتغييرها** . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه " ، قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ٣٠] ، وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : "يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا " .والحنيفية : هي الاستقامة بإخلاص الدين لله، وذلك يتضمن حبه تعالى والذل له، لا يشرك به شيء، لا في الحب ولا في الذل؛ فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل، وذلك لا يستحقه إلا الله وحده، وكذلك الخشية والتقوى لله وحده، والتوكل على الله وحده .والرسول يطاع ويحب، فالحلال ما أحله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، قال تعالى : ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [النور : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ولو أنهم رضوا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٥٧

ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ [التوبة : ٥٩] .." (١)

"ص -٤٧٤- صادقة . وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى : "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي " .وأيضا فالله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية : وهو حب المعروف، وبغض المنكر، فإذا لم **تستحل الفطرة فالقلوب** مفطورة على الحق، فإذا **كانت الفطرة مقومة** بحقيقة الإيمان، منورة بنور القرآن، وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة، ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين، كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله، وذلك أن الله علم القرآن والإيمان . قال الله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ الآية ثم قال : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادن ﴾ [الشورى : ٥١، ٥٢] ، وقال جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر : تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانا .وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة " ، وفي الترمذي وغيره حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم." (٢)

"ص -٢٩- وهؤلاء يخالفون [الصابئة الفلاسفة] الذين يقولون بقدم العالم، وبأن النبوة كمال تفيض على نفس النبي؛ لأن هؤلاء المتكلمين أكثر حقا، وأتبع للأدلة العقلية والسمعية لما تنورت به قلوبهم من نور الإسلام والقرآن، وإن كانوا قد ضلوا في كثير مما جاءت به الرسل؛ لكن هم خير من أولئك من وجوه أخرى وافقوا فيها أهل السنة فوافقوا أولئك على أن الله لم يتكلم، كما وافقوهم على أنه لا علم له ولا قدرة ولا صفة من الصفات، ورأوا أن إثباته متكلما يقتضى أن يكون جسما، والجسم حادث؛ لأنه من الصفات الدالة على حدوث الموصوف، بل هو عندهم أدل على حدوث المتكلم من غيره؛بل الله يفتقر من الخارج إلى ما لا يفتقر إليه غيره؛ ولأن فيه من الترتيب والتقديم والتأخير ما ليس في غيره؛ ولما رأوا أن الرسل اتفقت على أنه متكلم والقرآن مملوء بإثبات ذلك صاروا تارة يقولون متكلم مجازا لا حقيقة، وهذا قولهم الأول لما كانوا في بدعتهم على الفطرة، قبل أن يدخلوا في المعاندة والجحود .ثم إنهم رأوا أن هذا شنيع، فقالوا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/١٦٥

: بل هو متكلم حقيقة، وربما حكى بعض متكلميهم الإجماع وليس عندهم كذلك، بل حقيقة قولهم وأصله عند من عرفه وابتدعه أن الله ليس بمتكلم، وقالوا : المتكلم من فعل الكلام ولو في محل منفصل عنه؛ ففسروا المتكلم في اللغة." (١)

"ص -٣٠- بمعنى لا يعرف في لغة العرب ولا غيرهم؛ لا حقيقة ولا مجازا، وهذا قول من يقول : إن القرآن مخلوق، وهو أحد قولي الصابئة يوافقون الرسل في حدوث العالم، وهو وإن كان كفرا بما جاءت به الرسل فليس هو في الكفر مثل القول الأول؛ لأن هؤلاء لا يقولون : إن الله أراد أن يبعث رسولا معينا، وأن ينزل عليه هذا الكلام الذي خلقه، وأنكروا أن يكون متكلما على الوجه الذي دلت عليه الكتب الإلهية، واتفقت عليه **أهل الفطرة السليمة** .ونشأ بين هؤلاء الذين هم فروع الصابئة، وبين المؤمنين أتباع الرسل الخلاف، فكفر هؤلاء ببعض ما جاءت به الرسل من وصف الله بالكلام والتكليم، واختلفوا في كتاب الله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض .واتبع المؤمنون ما أنزل إليهم من ربهم، من أن الله تكلم بالقرآن، وأنه كلم موسى تكليما، وأنه يتكلم، ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه كما فعل الأولون، بل ردوا تحريف أولئك ببصائر الإيمان، الذي علموا به مراد الرسل من إخبارهم برسالة الله وكلامه، واتبعوا هذا القرآن والحديث وإجماع السلف من الصحابة والتابعين وسائر أتباع الأنبياء، وعلموا أن قول هؤلاء أخبث من قول اليهود والنصارى، حتى كان ابن المبارك- إمام المسلمين يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .." (٢)

"ص -٤٦٢- واعلم أن هنا أمرا عجيبا، وهو أن هؤلاء القوم ضد الذين يجعلون القرآن الذي يقرؤونه كلام الآدميين، لا كلام الله، فإن أولئك عمدوا إلى كلام الله الذي يتلونه ويبلغونه ويؤدونه فجعلوه كلام أنفسهم، وهؤلاء عمدوا إلى كلامهم المتضمن الكفر والفسوق والعصيان والكذب والبطلان فجعلوه كلام الله الذي ليس بمخلوق، فأولئك لم ينظروا إلا إلى من سمع منه الكلام، وهؤلاء لم ينظروا إلا إلى من اعتقدوا أنه تكلم أولا بمفردات الكلام .وأما [الأمة الوسط] الباقون على الفطرة، وجميع بني آدم، فيقولون لما بلغه المبلغ عن غيره وأداه، ولما قرأه من كلام غيره وتلاه : هذا كلام ذاك، وإنما بلغته بقواك، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما خرج على قريش فقرأ عليهم : ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [الروم : ١-٣] ، فقالوا : هذا كلامك، أم كلام صاحبك ؟ فقال : ليس بكلامي ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩/٢٠٤

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠/٢٠٤

كلام صاحبي، ولكن كلام الله .وهذا كما قال الله تعالى : ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] ، وفي سنن أبي داود عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه كان يعرض نفسه على الناس في الموقف فيقول : " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي ؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي " فبين." (١)

"ص -١٦٧- كانوا أقاموا دليلا على نفي كونه جسما، فكيف إذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا ؟ !وهذا مما يتبين لك أن من خرج عن الكتاب والسنة، فليس معه علم لا عقلي ولا سمعي، لاسيما في هذا المطلوب الأعظم، لكنهم قد يكونون معتقدين لعقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية، وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين، فقلوبهم تثبت ما تثبت وتنفي ما تنفي بناء على **هذه الفطرة المكملة** بالشرعة المنزلة، لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية، وليس فيها علم أصلا، ولكن يستفاد من كلامهم إبطال بعضهم لقول المبطل الآخر، وبيان تناقضه .ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا يردونها بأن ذلك تجسيم، كما فعل القاضي أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره، فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين، وردوا كثيرا مما يقول اليهود بأنه تجسيم، وقد كان اليهود عند النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكانوا أحيانا يذكرون له بعض الصفات، كحديث الحبر، وقد ذم الله اليهود على أشياء كقولهم : ﴿إن الله فقير ﴾ [آل عمران : ١٨١] وأن يده مغلولة وغير ذلك، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم قط أنهم يجسمون، ولا أن في التوراة تجسيما ولا عابهم بذلك، ولا رد هذه الأقوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من النفاة .." (٢)

"ص -٢٩٥- لوازم الحياة؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الصحيح : " أصدق الأسماء حارث وهمام " ، فكل آدمي حارث وهمام، أي عامل كاسب، وهو همام، أي : يهم ويريد، فهو متحرك بالإرادة .وقد جاء فى الحديث : " مثل القلب مثل ريشة ملقاة بأرض فلاة " [فلاة : أى لا ماء فيها . انظر : القاموس مادة : فلو] ، " وللقلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا " .فلما كانت الإرادة والعمل من لوازم ذاتها، فإذا هداها الله، علمها ما ينفعها وما يضرها، فأرادت ما ينفعها، وتركت ما يضرها .فصلوالله ـ سبحانه ـ قد تفضل على بنى آدم بأمرين، هما أصل السعادة :أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة، كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كل مولود يولد على

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٥/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٧١/٢٢١

الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ، قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ [الروم : ٣٠] .." (١)

"ص -٣٣١- قال قتادة : ﴿ تثبيتا من أنفسهم ﴾ : احتسابا من أنفسهم . وقال الشعبى : يقينا، وتصديقا من أنفسهم . وكذلك قال الكلبى . قيل : يخرجون الصدقة طيبة بها أنفسهم، على يقين بالثواب، وتصديق بوعد الله، يعلمون أن ما أخرجوه خير لهم مما تركوه .قلت : إذا كان المعطى محتسبا للأجر عند الله، مصدقا بوعد الله له، طالبا من الله، لا من الذي أعطاه، فلا يمن عليه . كما لو قال رجل لآخر : أعط مماليكك هذا الطعام، وأنا أعطيك ثمنه، لم يمن على المماليك، لاسيما إذا كان يعلم أن الله قد أنعم عليه بالإعطاء .فصلالفرق السادس : أن يقال : إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية . وإن كانت خلقا لله . فهو عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله له، وفطره عليه؛ فإن الله إنما خلقه لعبادته وحده لا شريك له، ودله على الفطرة، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة " ، وقال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ٣٠] .." (٢)

"ص -١٥٧- لكن قد لا يطلق لفظ التفاضل كما لا يطلق لفظ التماثل، لا لأن الصفات متماثلة عنده، بل هو ينفي التماثل لعدم التعدد، ولعدم إطلاق التغاير، كما يقال : هل يقال : الصفات مختلفة أم لا ؟ وهل هي متغايرة أم لا ؟ وهل يقال في كل صفة : إنها الذات أو غيرها، أو لا يجمع بين نفيهما، وإنما يفرد كل نفي منهما، أو لا يطلق شيء من ذلك ؟ فهذه الأمور لا اختصاص لها بهذه المسألة مسألة التفضيل .ولا ريب أن التماثل أو التفاضل لا يعقل إلا مع التعدد، وتعدد أسماء الله وصفاته وكلماته هو القول الذي عليه جمهور المسلمين، وهو الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو الموافق لفطرة الله التي فطر عليها عباده؛ فلهذا كان الناس يتخاطبون بموجب الفطرة والشرعة، وإن كانت لبعضهم أقوال أخر تنافي الفطرة والشرعة، وتستلزم بطلان ما يقوله بمقتضي الفطرة والشرعة، فإن القرآن والسنة قد دلا على تعدد كلمات الله في غير موضع، وقد قال تعالى : ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣٤/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٠/٢٣٤

أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ [الكهف : ١٠٩] ، وقال تعالى : ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ [لقمان : ٢٧] .وقد ذكرنا في غير هذا الموضع قول السلف، وأنهم كانوا يثبتون لله كلمات لا نهاية لها، وبينا النزاع في تعدد العلوم والإرادات، وأن." (١)

"ص -٣٢٢- ينطق بإثبات الجوهر الفرد، ولا بما يدل على ثبوته عنده، بل ولا العرب قبلهم، ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة، ولا أتباع الرسل، فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا : لفظ جسم إلا لما كان مركبا مؤلفا ؟ ! ولو قلت لمن شئت من العرب : الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزيء، أو الجبال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى إلا بعد كلفة، ثم إذا تصوره قد يكذبه بفطرته، ويقول : كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب ؟ ! وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد، فالفقهاء قاطبة تنكره، وكذلك أهل الحديث والتصوف .ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الأجسام إلى بعض، كاستحالة العذرة رمادا، والخنزير ملحا، ثم تكلموا في هذه الاستحالة هل تطهر أم لا تطهر ؟ والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم، بل تلك الجواهر التي كانت في الأول هي بعينها في الثاني، وإنما اختلف التركيب؛ ولهذا يتكلم بلفظ التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد أخذ هذا التركيب عن المتكلمين، ويقول : إن الماء يفارق غيره في التركيب فقط . وكذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم : إنا لم نشاهد قط إحداث الله تعالى لشيء من الجواهر والأعيان القائمة بنفسها، وإن جميع ما يخلقه من الحيوان والنبات والمعدن والثمار والمطر." (٢)

"ص -٢٤١- ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] ، ونحو ذلكفإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق اتبعته وأحبته إذ الحق نوعان :حق موجود : فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه، وضد ذلك الجهل والكذبوحق مقصود : وهو النافع للإنسان، فالواجب إرادته والعمل به، وضد ذلك إرادة الباطل واتباعهومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل، ومحبة الصدق دون الكذب، ومحبة النافع دون الضار، وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هوي وكبر وحسد ونحو ذلك،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٧/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢٨/٢٣٨

كما أنه في صالح الجسد خلق الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار، فإذا اشتهي ما يضره أو كره ما ينفعه فلمرض في الجسد، وكذلك أيضا إذا اندفع عن النفس المعارض من الهوى والكبر والحسد وغير ذلك، أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح، كما أن." (١)

"ص -٢٠٥- ثم إنه ناظر المشركين بعبادة من لا يوصف بصفات الكمال . فقال لأبيه : ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴾ [مريم : ٢٤] . وقال لأبيه وقومه : ﴿ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ إلى قوله : ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين ﴾ [الشعراء : ٧٠ - ٨١] ، إلى آخر الكلام .وقال : ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ [الأنعام : ٧٩] ، وقال : ﴿إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٦ - ٢٨] .فإبراهيم دعا إلى الفطرة . وهو عبادة الله وحده لا شريك له . وهو الإسلام العام، والإقرار بصفات الكمال لله، والرد على من عبد من سلبها .فلما عابهم بعبادة من لا علم له ولا يسمع ولا يبصر قال : ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء ﴾ [إبراهيم : ٣٨، ٣٩] .." (٢)

"ص -٣٢٤- للثبوت . وأما السلب المحض فلا مدح فيه .وهذا مما يظهر به فساد قول من جعل أحدهما للسلب والآخر للإثبات، لا سيما إذا كان من الجهمية الذين ينكرون محبته، ولا يثبتون له صفات توجب المحبة والحمد، بل إنما يثبتون ما يوجب القهر، كالقدرة . فهؤلاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وألحدوا في أسمائه وآياته بقدر ما كذبوا به من الحق، كما بسط هذا في غير هذا الموضع .فصلقوله تعالى في أول ما أنزل : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق : ١] ، وقوله : ﴿اقرأ وربك الأكرم ﴾ [العلق : ٣] .ذكر في الموضعين بالإضافة التي توجب التعريف، وأنه معروف عند المخاطبين، إذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق . وأن المخلوق مع أنه دليل وأنه يدل على الخالق، لكن هو معروف

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ١٢٦/٢٥٠

في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ ومعرفته فطرية، مغروزة في الفطرة، ضرورية، بديهية، أولية .وقوله : ﴿اقرأ ﴾ وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم أولا، فهو." (١)

"ص -٣٣٦- قيل في حد [العقل] : إنه علوم ضرورية، وهي التي لا يخلو منها عاقل .فلما قال فرعون : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ [الشعراء : ٢٧] ، وهذا من افتراء المكذبين على الرسول لما خرجوا عن عاداتهم التي هي محمودة عندهم نسبوهم إلى الجنون . ولما كانوا مظهرين للجحد بالخالق، أو للاسترابة والشك فيه . هذه حال عامتهم ودينهم، وهذا عندهم دين حسن، وإنما إلههم الذي يطيعونه فرعون، قال : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾فبين له موسى أنكم الذين سلبتم العقل النافع، وأنتم أحق بهذا الوصف فقال : ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾فإن العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق . فلما ذكر أولا أن من أيقن بشيء فهو موقن به، واليقين بشيء هو من لوازم العقل، بين ثانيا أن الإقرار به من لوازم العقل .ولكن المحمود هو العلم النافع الذي يعمل به صاحبه، فإن لم يعمل به صاحبه قيل : إنه ليس له عقل . ويقال أيضا لمن لم يتبع ما أيقن به :." (٢)

"ص -٣٣٨- والخفيف : هو السفيه الذي لا يعمل بعلمه، بل يتبع هواه . وبسط هذا له موضع آخر .والمقصود هنا أنه ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه : إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه . فلم يكلفوا أولا بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به، وكل مولود يولد على الفطرة، لكن عرض للفطرة ما غيرها، والإنسان إذا ذكر ما في فطرته .ولهذا قال الله في خطابه لموسى : ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] ،ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربه،ويعرف إنعامه عليه،وإحسانه إليه،وافتقاره إليه، فذلك يدعوه إلى الإيمان، ﴿أو يخشى ﴾ ما ينذره به من العذاب،فذلك أيضا يدعوه إلى الإيمان .كما قال تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل : ١٢٥] ، فالحكمة تعريف الحق، فيقبلها من قبل الحق بلا منازعة . ومن نازعه هواه وعظ بالترغيب والترهيب .فالعلم بالحق يدعو صاحبه إلى اتباعه؛

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٥/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ٨٧/٢٥٤

فإن الحق محبوب في الفطرة، وهو أحب إليها . وأجل فيها، وألذ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له؛ **فإن الفطرة لا** تحب ذاك .." (١)

"ص -٣٤٤- وهكذا المعرفة موجودة في قلوب هؤلاء . فإن هؤلاء الذين أنكروا محبته هم الذين قالوا : معرفته لا تحصل إلا بالنظر، فأنكروا ما في فطرهم وقلوبهم من معرفته، ومحبته .ثم قد يكون ذلك الإنكار سببا إلى امتناع معرفة ذلك في نفوسهم وقد يزول عن قلب أحدهم ما كان فيه من المعرفة والمحبة **فإن الفطرة قد** تفسد فقد تزول، وقد تكون موجودة ولا ترى ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج : ٤٦] .وقد قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ [الروم : ٣٠، ٣١] .وفي الصحيحين، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : [كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء] ، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [الروم : ٣٠] .والفطرة تستلزم معرفة الله، ومحبته، وتخصيصه بأنه أحب الأشياء." (٢)

"ص -٣٤٥- إلى العبد وهو التوحيد . وهذا معنى قول : [لا إله إلا الله] ، كما جاء مفسرا : " كل مولود يولد على هذه الملة " ، وروى : [على ملة الإسلام] .وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حمار؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تعالى : إني خلقت عبادى حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا " .فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب، ومحبته، وتوحيده . فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول : " لا إله إلا الله " .فإن في هذه الكلمة الطيبة التي هي ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ [إبراهيم : ٢٤] ، فيها إثبات معرفته والإقرار به . وفيها إثبات محبته، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يكون مألوها؛ وهذا أعظم ما يكون من المحبة . وفيها أنه لا إله إلا هو . ففيها المعرفة، والمحبة، والتوحيد .وكل مولود يولد على الفطرة، وهي الحنيفية التي خلقهم عليها . ولكن أبواه يفسدان ذلك فيهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، ويشركانه .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ٨٩/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ٩٥/٢٥٤

(٣) مجموع الفتاوى ٩٦/٢٥٤

"ص –٣٤٨– الشياطين تمدهم الشياطين في غيهم، ﴿ثم لا يقصرون ﴾ ، لا تقصر الشياطين عن المدد والإمداد، ولا الإنس عن الغي . فلا يبصرون مع ذلك الغي ما هو معلوم لهم، مستقر في فطرهم، لكنهم ينسونه .ولهذا كانت الرسل إنما تأتى **بتذكير الفطرة ما** هو معلوم لها، وتقويته، وإمداده، ونفي المغير للفطرة . فالرسل بعثوا **بتقرير الفطرة وتكميلها**، لا **بتغيير الفطرة وتحويلها**، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة .فصلوهذا النسيان نسيان الإنسان لنفسه ولما في نفسه حصل بنسيانه لربه ولما أنزله . قال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ [الحشر : ١٩] ، وقال تعالى في حق المنافقين : ﴿نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وقال : ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .وقوله : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ ، يقتضي أن نسيان الله كان سببا لنسيانهم أنفسهم، وأنهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم .." (١)

"ص –٣٥٠– كان ناسيا لها سواء ذكر الله أو نسيه لم يكن نسيانها مسببا عن نسيان الرب . فلما دلت الآية على أن نسيان الإنسان نفسه مسبب عن نسيانه لربه، دل على أن الذاكر لربه لا يحصل له هذا النسيان لنفسه .والذكر يتضمن ذكر ما قد علمه، فمن ذكر ما يعلمه من ربه ذكر ما يعلمه من نفسه . وهو قد ولد **على الفطرة التي** تقتضى أنه يعرف ربه ويحبه ويوحده . فإذا لم ينس ربه الذي عرفه، بل ذكره على الوجه الذي يقتضي محبته ومعرفته وتوحيده، ذكر نفسه، فأبصر ما كان فيها قبل من معرفة الله ومحبته وتوحيده .وأهل البدع الجهمية ونحوهم لما أعرضوا عن ذكر الله الذكر المشروع الذي كان **في الفطرة وجاءت** به الشرعة، الذي يتضمن معرفته ومحبته وتوحيده نسوا الله من هذا الوجه . فأنساهم أنفسهم من هذا الوجه، فنسوا ما كان في أنفسهم من العلم الفطري، والمحبة الفطرية، والتوحيد الفطري .وقد قال طائفة من المفسرين : ﴿نسوا الله ﴾ ، أي : تركوا أمر الله ﴿فأنساهم أنفسهم ﴾ ، أى : حظوظ أنفسهم حيث لم يقدموا لها خيرا، هذا لفظ طائفة منهم البغوى ولفظ آخرين منهم ابن الجوزي : حين لم يعملوا بطاعته . وكلاهما قال : ﴿نسوا الله ﴾ أى : تركوا أمر الله .." (٢)

"ص –٣٥٣– أي : تركت العمل بها . وهنا قال : ﴿نسوا الله ﴾ ، ولا يقال في حق الله : [تركوه] .فصلقوله : ﴿الذي خلق خلق الإنسان من علق ﴾ [العلق : ١، ٢] ، بيان لتعريفه بما قد عرف من الخلق عموما، وخلق الإنسان خصوصا، وإن هذا مما تعرف **به الفطرة كما** تقدم .ثم إذا عرف أنه الخالق

(١) مجموع الفتاوى ٩٩/٢٥٤
(٢) مجموع الفتاوى ١٠١/٢٥٤

فمن المعلوم بالضرورة أن الخالق لا يكون إلا قادرا . بل كل فعل يفعله فاعل، لا يكون إلا بقوة وقدرة، حتى أفعال الجمادات . كهبوط الحجر والماء وحركة النار هو بقوة فيها . وكذلك حركة النبات هي بقوة فيه . وكذلك فعل كل حى من الدواب وغيرها هو بقوة فيها . وكذلك الإنسان وغيره .والخلق أعظم الأفعال، فإنه لا يقدر عليه إلا الله، فالقدرة عليه أعظم من كل قدرة، وليس لها نظير من قدر المخلوقين .وأيضا، فالتعليم بالقلم يستلزم القدرة . فكل من الخلق والتعليم يستلزم القدرة ..." (١)

"ص -٤٣٨- يبقى أن يقال : فلم عظمت التقوى ؟ فيقال : إنها هى **تحفظ الفطرة وتمنع** فسادها، واحتاج العبد إلى رعايتها؛ لأن المحبة الفطرية لا تحتاج إلى محرك؛ ولهذا كان أعظم ما دعت إليه الرسل الإخلاص والنهى عن الإشراك؛ لأن الإقرار الفطرى حاصل لوجود مقتضيه، وإنما يحتاج إلى إخلاصه ودفع الشرك عنه؛ ولهذا كانت حاجة الناس إلى السياسة الدافعة لظلم بعضهم عن بعض والجالبة لمنفعة بعضهم بعضا، كما أوجب الله الزكاة النافعة وحرم الربا الضار، وأصل الدين : هو عبادة الله الذي أصله الحب والإنابة والإعراض عما سواه، **وهو الفطرة التي** فطر عليها الناسوهذه المحبة التي هى أصل الدين : انحرف فيها فريق من منحرفة الموسوية من الفقهاء والمتكلمين حتى أنكروها، وزعموا أن محبة الله ليست إلا إرادة عبادته، ثم كثير منهم تاركون للعمل بما أمروا به، فيأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهذا فاش فيهم، وهو عدم المـحبة والعمل، وفريق من منحرفة العيسوية من الصوفية والمتعبدين، خلطوها بمحبة ما يكرهه، وأنكروا البغض والكراهية، فلم ينكروا شيئا ولم يكرهوه أو قصروا فى الكراهة والإنكار، وأدخلوا فيها الصور والأصوات ومحبة الأندادولهذا كان لغواة الأولين وصف الغضب واللعنة الناشئ عن." (٢)

"

وذلك لأن الله خلق عباده **على الفطرة والعقول** السليمة مفطورة على معرفة الحق لولا المعارضات ولهذا أذكر من كلام رؤوس الطوائف في العقليات ما يبين ذلك لا لأنا محتاجون في معرفتنا إلى ذلك لكن ليعلم أن أئمة الطوائف معترفون بفساد هذه القضايا التي يدعى إخوانهم أنها قطعية مع مخالفتها للشريعة ولأن النفوس إذا علمت أن ذلك القول قاله من هو من أئمة المخالفين استأنست بذلك واطمأنت به ولأن ذلك يبين أن تلك المسألة فيها نزاع بين تلك الطائفة فتنحل عقد الإصرار والتصميم على التقليد

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٤/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٢٥٥

فإن عامة الطوائف وإن ادعوا العقليات فجمهورهم مقلدون لرؤوسهم فإذا رأوا الرؤوس قد تنازعوا واعترفوا بالحق انحلت عقدة الإصرار على التقليد

وقد رأيت الأثير الأبهري وهو ممن يصفه هؤلاء المتأخرون بالحذق في الفلسفة والنظر ويقدمونه على الأرموي ويقولون الأصبهاني صاحب القواعد هو وغيره

". (١)

"

والرسل صلوات الله عليهم وسلامه بعثوا **بتكميل الفطرة وتقريرها** لا بإفسادها وتغييرها قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ سورة الروم ٣٠ ٣٢

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم قال أبو هريرة اقرأوا ان شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ قالوا يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين

". (٢)

"

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٧٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٧١

فالاقرار بالخالق سبحانه وتعالى والاعتراف بوجود موجود واجب الوجود قديم أزلي كما أنه مركوز **في الفطرة مستقر** في القلوب فبراهينه وأدلته متعددة جدا ليس هذا موضعها وهؤلاء عامة ما يذكرونه من الطرق أما ان يكون فيه خلل واما ان يكون طويلا كثير التعب والغالب عليهم الاول

فالرازي أثبت الصانع بخمسة مسالك وهي كلها مبينة على مقدمة واحدة

الاول الاستدلال بحدوث الذوات كالاستدلال بحدوث الأجسام المبني على حدوث الاعراض كالحركة والسكون وامتناع مالا

(١) ".

"بكونها حادثة او ممكنة وان كان كل من الامكان والحدوث دليلا ايضا على هذا الافتقار لكن الحدوث يستلزم وجودها بعد العدم وقد علم انها لا توجد إلا بفاعل و الامكان يستلزم انها لا تكون إلا بموجد وذلك يستلزم اذا وجت ان تكون بموجد وهي من حيث هي هي وان لم تدرج تحت وصف كلي يستلزم الافتقار إلى الفاعل أي لا تكون موجودة إلا بالفاعل ولا تدوم وتبقى إلا بالفاعل المبقى المديم لها فهي مفتقرة اليه في حدوثها وبقائها سواء قيل ان بقاءها وصف زائد عليها او لم يقل

ولهذا يعلم العقل بالضرورة ان هذا الحادث لا يبقى إلا بسبب يبقيه كما يعلم انه لم يحدث إلا بسبب يحدثه ولو بنى الانسان سقفا ولم يدع شيئا يمسكه لقال له الناس هذا لا يدوم ولا يبقى وكذلك اذا خاط الثوب بخيوط ضعيفة وخاطه خياطة فاسدة قالوا له هذا لا يبقى البقاء الطلوب فهم يعلمون بفطرتهم افتقار الامور المفتقرة إلى ما يبقيها كما يعلمون افتقارها إلى ما يحدثها وينشئها

وما يذكر من الامثال المضروبة والشواهد المبينة لكون الصنعة تفتقر إلى الصانع في حدوثها وبقائها انما هو للتنبيه على ما **في الفطرة كما** يمثل بالسفينة في الحكاية المشهورة عن بعض أهل العم انه قال له طائفة

(٢) ".

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٢/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٢٦/٣

قال ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو يعترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم علة البخت والاتفاق احترازا عن التعليل فما عدت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان **فإن الفطرة السليمة** الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها بصانع عليم قادر حكيم ﴿ أفي الله شك ﴾ سورة إبراهيم ١٠ ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ سورة الزخرف ٨٧ ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ سورة الزخرف ٩ وإن غفلوا عن **هذه الفطرة في** حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ سورة يونس ٢٢ ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ سورة الإسراء ٦٧

قال ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

". (١)

"

قال ويدعي كل واحد في جهة الاستدلال ضرورة وبديهة

قال وأنا أقول ما شهد به الحدوث أو دل عليه الإمكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت **به الفطرة الإنسانية** من احتياجه في ذاته إلى مدبر هو منتهى مطلب الحاجات يرغب إليه ولا يرغب عنه ويستغنى به ولا يستغنى عنه ويتوجه إليه ولا يعرض عنه ويفزع إليه في الشدائد والمهمات فإن احتياج نفسه أوضح من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب والحادث إلى المحدث

وعن هذا المعنى كانت تعريفات الحق سبحانه في التنزيل على هذا المنهاج ﴿ أم من يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ سورة النمل ٦٢ ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ سورة الأنعام ٦٣ ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾

". (٢)

"سورة يونس ٣١ ﴿ أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ سورة النمل ٦٤

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٢٩/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٣١/٣

وعن هذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله العباد على معرفته فاجتالتهم الشياطين عنها

قلت لفظ الحديث في الصحيح يقول الله خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

قال فتلك المعرفة هي ضرورة الاحتياج وذلك الاجتيال من الشيطان هو تسويله الاستغناء ونفي الحاجة والرسل مبعوثون لتذكير **وضع الفطرة وتطهيرها** عن تسويلات الشياطين فإنهم الباقون على **أصل الفطرة وما** كان له عليهم من سلطان ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ﴾ سورة الأعلى ١٠ ١١

(١) ".

"في كتابه وهم محتاجون إليه من جهة ألوهيته فإنه لا صلاح لهم إلا بأن يكون هو معبودهم الذي يحبونه ويعظمونه ولا يجعلون له أندادا يحبونهم كحب الله بل يكون ما يحبونه سواه كأنبيائه وصالحي عباده إنما يحبونهم لأجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار

ومعلوم أن السؤال والحب والذل والخوف والرجاء والتعظيم والاعتراف بالحاجة والافتقار ونحو ذلك مشروط بالشعور بالمسئول المحبوب المرجو المخوف المعبود المعظم الذي تعترف النفوس بالحاجة إليه والافتقار الذي تواضع كل شيء لعظمته واستسلم كل شيء لقدرته وذل كل شيء لعزته

فإذا كانت هذه الأمور مما تحتاج النفوس إليها ولا بد لها منها بل هي ضرورية فيها كان شرطها ولازمها وهو الاعتراف بالصانع والإقرار به أولى أن يكون ضروريا في النفوس

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كل مولود يولد **على الفطرة وقوله** فيما يروي عن ربه خلقت عبادي حنفاء

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٣٢/٣

". (١)

"ونحو ذلك لا يتضمن مجرد الإقرار بالصانع فقط بل إقرارا يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له وهذا هو الحنيفية

وأصل الإيمان قول القلب وعمله بالخالق وعبوديته للخالق والقلب مفطور على هذا وهذا وإذا كان بعض الناس قد خرج **عن الفطرة بما** عرض له من المرض إما بجهله وإما بظلمه فجحد بآيات الله و استيقنتها نفسه ظلما وعلوا لم يمتنع أن يكون الخلق ولدوا **على الفطرة**

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع طائفة من قول من ذكر أن المعرفة ضرورية والعلم الذي يقترن به حب المعلوم قد يسمى معرفة كما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمعروف ما تحبه القلوب مع العلم والمنكر ما تكرهه وتنفر عنه عند العلم به فلهذا قد يسمى من كان فيه مع علمه بالله حب لله وإنابة إليه عارفا بخلاف العالم الخالي عن حب القلب وتألهه فإنهم لا يسمونه عارفا

ومن المعلوم أن وجود حب الله وخشيته والرغبة إليه وتألهه في القلب فرع وجود الإقرار به وهذا الثاني مستلزم للأول فإذا كان هذا يكون ضروريا في القلب فوجود الإقرار السابق عليه اللازم له أولى أن يكون ضروريا فإن ثبوت الملزوم لا يكون إلا مع ثبوت اللازم

". (٢)

"الواجب هو الموجب للممكنات وهو الموجب أيضا للهيئة الاجتماعية والهيئة الاجتماعية امر ممكن خارج عن الواجب ليس هو بعض الهيئة الاجتماعية لكنه بعض الأفراد والهيئة نسبة و اضافة وليس هو بعض النسبة و الاضافة ولكن هو بعض الأفراد المنسوب بعضها إلى بعض والنسبة وسائر الأفراد غير له وهو الموجب لكل ما هو غير له

و اما المجموع الذي هو الأفراد فلا يكون بعضه هو الموجب لكل من الأفراد فان هذا يقتضي ان يكون ذلك البعض موجبا لنفسه فاعلا لذاته وهذا ممتنع بالضرورة واتفاق العقلاء بل هو من ابلغ الامور امتناعا والعلم بذلك من اوضح المعارف و اجلاها ولهذا لم يقل هذا أحد من العقلاء

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٣٦/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٣٧/٣

و اذا المجموع كلا من الأفراد مع الهيئة فهو ابعد عن ان يكون واحد من الأفراد موجبا لنفسه ولسائر الأفراد ومع الهيئة الاجتماعية وهذا بين ولله الحمد والمنة

واعلم ان مثل هذه الاعتراضات مع **صحة الفطرة وحسن** النظر يعلم فسادها ومثل هذه اا الخواطر الفاسدة التي تقدح في المعلومات

". (١)

"

وقال تعالى ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾ سورة الزمر ٢٧

وهو سبحانه يجيب عن المعارضات كما قال تعالى ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ سورة الفرقان ٢٣ وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هان ان الطريقة الشرعية تتضمن الخبر بالحق والتعريف بالطرق الموصلة اليه النافعة للخلق واما الكلام على كل ما يخطر ببال كل أحد من الناس من الشبهات السوفسطائية فهذا لا يمكن ان يبينه خطاب على وجه التفصيل

والعلوم الفطرية حاصلة مع **صحة الفطرة وسلامتها** وقد يعرض للفطرة ما يفسدها ويمرضها فترى الحق باطلا كما في البدن إذا فسد او مرض فإنه يجد الحلو مرا ويرى الواحد اثنين فهذا يعالج بما يزيل مرضه

والقرآن فيه شفاء لما في الصدور من الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم علم ان وسواس التسلسل في الفاعل يقع في النفوس وانه معلوم الفساد بالضرورة فأمر عند ورود بالاستعاذة بالله منه والانتهاء عنه كما في الصحيحن واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتسائلون حتى يقال

". (٢)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦١/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٠٦/٣

فإن قلت هذا بين مستقر **في الفطرة والعلم** به بديهي

قيل لك ليس هذا بأبين من قول القائل إما أن يكون صانع العالم حيث العالم وإما أن لا يكون حيث العالم والأول هو المحايثة والدخول فيه والثاني هو المباينة والخروج عنه

فإن قلت يمكن ان لا يكون داخلا فيه ولا خارجا عنه

قيل لك ويمكن ان لا يكون المتحيز منتقلا ولا يكون ساكنا كما تقوله انت فيما تقول إنه قائم بنفسه لا منتقل ولا ساكن فإن قلت أنا أعقل هذا فيما ليس بمتحيز ولا أعقله في المتحيز

قيل وكيف عقلت أولا ثبوت ما ليس بمتحيز بهذا التفسير والمنازع يقول أنا لا أعقل إلا ما هو داخل أو خارج

فإذا قلت أنت هذا فرع ثبوت قبول ذلك وقابل ذلك هو المتحيز فما لا يكون كذلك لا يكون قابلا للمباينة والمحايثة والدخول والخروج

قال لك نحن لا نعقل موجودا إلا هذا

فإن قلت بل هذا ممكن في العقل وثابت أيضا قال

قال لك وكذلك متحيز لا يقبل الحركة والسكون هو أيضا ممكن في العقل وثابت

". (١)

"

فإن **قلت الفطرة تدفع** هذا

قيل لك وهي لدفع ذاك اعظم

فإن قلت ذاك حكم الوهم

قيل وهذا حكم الوهم

فإن قلت العقل أثبت موجودا ليس بمتحيز

قيل لك إنما أثبت ذاك بمثل هذه الأدلة التي تتكلم على مقدماتها فإن أثبت مقدمات النتيجة بالنتيجة كنت مصادرا على المطلوب فأنت لا يمكنك إثبات موجود ليس بمتحيز إلا بمثل هذا الدليل وهذا الدليل لا يثبت إلا ببيان إمكان وجود موجود ليس بمتحيز فلا يجوز أن تجعله مقدمة حجة في إثبات نفسه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٥٧

ويقول له الخصم ثالثا هب أنك تقول لا بد إذا كان متحيزا من الحركة والسكون فنحن نقول إن كل قائم بنفسه لا يخلو عن الحركة والسكون فإنه إما أن يكون منتقلا أو لا يكون منتقلا فإن كان منتقلا فهو متحرك وإلا فهو ساكن

فإن قلت ثبوت الانتقال وسلبه فرع قبوله

". (١)

"مشارا إليه وأن قول القائل بإثبات موجود لا هو داخل العالم ولا خارجه ولا حال فيه ولا مباين له ولا يشار إليه ولا يقرب من شيء ولا يبعد من شيء ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل منه شيء وأمثال ذلك من الصفات السالبة النافية هو محال في العقل

قالوا إن هذا الموجب لذلك التقسيم والمحيل لوجود هذا إنما هو الوهم دون العقل وأن الوهم يحكم غير المحسوس بحكم المحسوس وهذا باطل

فقيل لهم فأنتم لم تثبتوا بعد وجود ما لا يمكن الإحساس به **وحكم الفطرة أولى** بديهي والوهم عندكم إنما يدرك الأشياء المعينة كإدراك العداوة والصداقة كإدراك الشاة عداوة الذئب وصداقة الكبش وهذه أحكام كلية والكليات من حكم العقل لا من حكم الوهم

فهذا وأمثاله مما أبطل به ما ذكروه من الاعتذار بأن هذا حكم الوهم لكن المقصود هنا أن ذلك العذر إن كان صحيحا فلمنازعيهم أن يعتذروا به ههنا فيقولون ما ذكرتموه من كونه لو كان فوق العرش أو لو كان جسما لكان ممتدا متناهيا أو غير متناه هو من حكم الوهم وهو فرع كونه قابلا لثبوت الامتداد ونفيه أو لثبوت النهاية ونفيها ونحن نقول هو فوق العرش أو هو (فوق العرش) وهو مع ذلك لا يقبل أن يكون ممتدا ولا غير

". (٢)

"(وأمثالهما) من حذاق النظار الذين جمعوا خلاصة ما ذكره النفاة من أهل الفلسفة والكلام بل يعارضون (ما يجب تصديقه) بما يعلم بصريح العقل أنه خطأ بل يعارضون السمعيات التى يعلم أن العقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٥٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢١٣

الصريح (موافق لها بما يعلم العقل الصريح أنه باطل) (وتارة) كل طائفة تبطل الطريقة العقلية التى اعتمدت عليها الأخرى بما يظهر به بطلانها بالعقل الصريح وليسوا متفقين على طريقة واحدة

وهذا يبين خطأهم كلهم من وجهين من جهة العقل الصريح الذى بين به كل قوم فساد ما قاله الآخرون ومن جهة أنه ليس معهم معقول اشتركوا فيه فضلا عن أن يكون من صريح المعقول

بل المقدمة التي تدعى طائفة من النظار صحتها تقول الأخرى هي باطلة وهذا بخلاف مقدمات أهل الإثبات الموافقة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فإنها من العقليات التى اتفقت عليها فطر العقلاء **السليمى الفطرة التى** لا ينازع فيها إلا من تلقى النزاع تعليما من غيره لا من موجب فطرته فإنما يقدح فيها بمقدمة تقليدية أو نظرية

". (١)

"

وثبت في الصحيح أنه بشر الذي كان يقرأها ويقول إني لأحبها لأنها صفة الرحمن بأن الله يحبه فبين أن الله يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى وهذا باب واسع

الوجه السابع أن يبين **أن الفطرة التي** فطر الله عليها عباده والعلوم الضرورية التي جعلها في قلوبهم توافق ما أخبر به الرسول من علو الله على خلقه ونحو ذلك فالمعقول الضروري الذي هو أصل العلوم النظرية موافق للأدلة الشرعية مصدق لها لا مناقض معارض لها

الوجه الثامن أن يقال الإرادات والقصود الضرورية التي تضطر العباد عندما يضطرون إلى أن يطلبوا من الله قضاء الحاجات وتفريج الكربات موافقة لما أخبر به الرسول لا معارضة لذلك

الوجه التاسع أن يقال الأدلة العقلية البرهانية المؤلفة من المقدمات اليقينية هي موافقة لخبر الرسول لا معارضة له ومن كان له خبرة بالأدلة العقلية وتأليفها وتأمل أدلة المثبتة والنفاة رأى بينهما من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق فإن أدلة الإثبات أدلة صحيحة مبنية على مقدمات يقينية خالصة من الشبهة وأما حجج

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٨/٤

". (١)

"وإنما يدعون نظريات عقلية والمثبتون يقولون معنا نظريات عقلية مع البديهيات الفطرية ومع السمعيات اليقينية الشرعية النبوية

وأيضا فيقال إذا قال المنارعون المثبتون إن قولنا معلوم بالبديهة لم يكن أن يناظر بقضية نظرية لأنه لا يمكن القدح بالنظريات في الضروريات كما لا يقبل قدح السوفسطائي بنظره فيما يقول الناس إنه معلوم بالبديهة ولا يقبل مجرد قوله على منازعه بل المرجع في القضايا الفطرية الضرورية إلى أهل الفطر السليمة التي لم تتغير فطرتها بالاعتقادات الموروثة والأهواء

ومن المعلوم أن هذه المقدمة مستقرة في فطر جميع الناس الذين لم يحصل لهم ما يغير فطرتهم من ظن أو هوى

والنفاة لا ينازعون في أن هذا ثابت **في الفطرة لكن** يزعمون أن هذا من حكم الوهم والخيال وأن حكم الوهم والخيال إنما يقبل في الحسيات لا في العقليات

قالوا ويتبين خطأ الوهم والخيال في ذلك بأن يسلم للعقل مقدمات تستلزم نقيض حكمه مثل أن يسلم للعق مقدمات تستلزم ثبوت موجود ليس بجسم ولا في جهة فيعلم حينئذ أن حكمه الأول باطل

والمثبتون يقولون هذا كلام باطل لوجوه

". (٢)

"

أحدهما أنه إذا جاز أن يكون **في الفطرة حكمان** بديهيان أحدهما مقبول والآخر مردود كان هذا قدحا في مبادئ العلوم كلها وحينئذ لا يوثق بحكم البديهة

الثاني أنه جوز ذلك فالتمييز بين النوعين إما أن يكون بقضايا بديهية أو نطرية مبنية على البديهية وكلاهما باطل فإنا إذا جوزنا أن يكون في البديهيات ما هو باطل لم يمكن العلم بأن تلك البديهية المميزة بين ما هو صحيح من البديهيات الأولى وما هو كاذب مقبول التمييز حتى يعلم أنها من القسم الصحيح وذلك لا يعلم إلا ببديهية أخرى مبينة مميزة وتلك لا يعلم أنها من البديهيات الصحيحة إلا بأخرى فيفضى

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٣١٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١٤

إلى التسلسل الباطل أو ينتهى الأمر إلى بديهية مشتبهة لا يحصل بها التمييز والنظريات موقوفة على البديهيات فإذا جاز أن تكون البديهيات مشتبهة فيها حق وباطل كانت النظريات المبنية عليها أولى بذلك وحينئذ فلا يبقى علم يعرف به حق وباطل وهذا جامع كل سفسطة

وبتقدير ثبوت السفسطة لا تكون لنا عقليات يثبت بها شيء فضلا عن أن تعارض الشرعيات

". (١)

"

الثالث أن قول القائل إن الوهم يسلم للعقل قضايا بديهية تستلزم إثبات وجود موجود تمتنع الإشارة الحسية إليه ممنوع

الرابع أنه بتقدير التسليم بكون المقدمة جدلية فإن الوهم إذا سلم للعقل مقدمة لم ينتفع العقل بتلك القضية إلا أن تكون معلومة له بالبديهة الصحيحة فإذا لم يكن له سبيل إلى هذا انسدت المعارف على العقل وكان تسليم الوهم إنما يجعل القضية جدلية لا برهانية وهذا وحده لا ينفع في العلوم البرهانية العقلية

الخامس أن قول القائل إن حكم الوهم والخيال إنما يقبل في الحسيات دون العقليات إنما يصح إذا ثبت أن في الخارج موجودات لا يمكن أن تعرف بالحس بوجه من الوجوه وهذا إنما يثبت إذا ثبت أن في الوجود الخارجي ما لا يمكن الإشارة الحسية إليه وهذا أول المسألة فإن المثبتين يقولون ليس في الوجود الخارجي إلا ما يمكن الإشارة الحسية إليه أولا يعقل موجود في الخارج إلا كذلك

فإذا قيل لهم حكم الوهم والخيال مقبول في الحسيات دون العقليات والمراد بالعقليات موجودات خارجة قائمة بأنفسها لا يمكن الإشارة الحسية إليها

قالوا إيطالكم لحكم الفطرة الذي سميتموه الوهم والخيال موقوف على ثبوت هذه العقليات وثبوتها موقوف على إبطال هذا

". (٢)

"الحكم وإذا لم يثبت هذا إلا بعد هذا ولا هذا إلا بعد هذا كان هذا من الدور الممتنع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١٦

السادس أن يقال إن أردتم بالعقليات ما يقوم بالقلب من العلوم العقلية الكلية ونحوها فليس الكلام هنا في هذه ونحن لا نقبل مجرد حكم الحس ولا الخيال في مثل هذه العلوم الكلية العقلية وإن أردتم بالعقليات موجودات خارجة لا يمكن الإشارة الحسية إليها فلم قلتم إن هذا موجود فالنزاع في هذا ونحن نقول إن بطلان هذا معلوم بالبديهة

السابع أن يقال الوهم والخيال يراد به ما كان مطابقا وما كان مخالفا فأما المطابق مثل توهم الإنسان لمن هو عدوه أنه عدوه وتوهم الشاة أن الذئب يريد أكلها وتخيل الإنسان لصورة ما رآه في نفسه بعد مغيبه ونحو ذلك فهذا الوهم والخيال حق وقضاياه صادقة وأما غير المطابق فمثل أن يتخيل الإنسان أن في الخارج ما لا وجود له في الخارج وتوهمه ذلك مثل من يتوهم فيمن يحبه أنه يبغضه ومثل ما يتوهم الإنسان أن الناس يحبونه ويعظمونه والأمر بالعكس والله لا يحب كل مختال فخور فالمختال الذي يتخيل في نفسه أنه عظيم فيعتقد في نفسه أكثر مما يستحقه وأمثال ذلك

قالوا وإذا كان الأمر كذلك فلم قلتم إن **حكم الفطرة بأن** الموجودين إما متباينان وإما متحايثان من حكم الوهم والخيال الباطل ونحن نقول إنه من حكم الوهم والخيال المطابق

". (١)

"فإذا قلتم إن العقل دل على أنه باطل كان الشأن في المقدمات التي ينبني عليها ذلك وتلك المقدمات أضعف **في الفطرة من** هذه المقدمات فكيف يدفع الأقوى بالأضعف

الثامن أن المثبتين قالوا بل المقدمات المعارضة لهذا الحكم هي من الوهم والخيال الباطل مثل إثبات الكليات في الخارج وتصور النفى والإثبات المطلقين ثابتين في الخارج وتصور الأعداد المجردة ثابتة في الخارج فإن هذه المتصورات كلها لا تكون إلا في الذهن ومن اعتقد أنها ثابتة في الخارج فقد توهم وتخيل ما لا حقيقة له وجعل هذا التوهم والخيال الباطل مقدمة في دفع القضايا البديهية

التاسع أن يقال لا نسلم أن **في الفطرة قضايا** تستلزم نتائج تناقض ما حكمت به أولا كما يدعونه فإن هذا مبني على أن المقدمات المستلزمة ما يناقض الحكم الأول مقدمات صحيحة وليس الأمر كذلك كما سنبينه إن شاء الله تعالى فإن هذه المقدمات هي النافية لعلو الله على خلقه ومباينته لعباده والمقدمات المستلزمة لهذا ليست مسلمة فضلا عن أن تكون بديهية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٧/٦

الوجه العاشر أن الذين جعلوا هذه القضايا من حكم الوهم الباطل هم طائفة من نفاة الصفات الجهمية من المتكلمين والمتفلسفة ومن تلقى ذلك عنهم وهذا معروف في كتب ابن سينا ومن اتبعه من أهل المنطق

". (١)

"

وقد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه كان متناقضا لأن من أراد شيئا لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته والأول يراد لكونه وسيلة إليه فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالما أو عارفا أو ذا حكمة أو متشرفا بالنسبة إليه أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك فهو هنا لم يرد الله بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى وإنما يريد الله ابتداء من ذاق حلاوة محبته وذكره

وفطر العباد مجبولة على محبته لكن منهم من فسدت فطرته قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ سورة الروم ٣٠

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ سورة الروم ٣٠

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى قال إني خلقت عبادي حنفاء

". (٢)

"والمؤمنون متفاضلون في هذه المحبة ولكن المنافقون الذين أظهروا الإسلام ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ليسوا من هؤلاء وما من مؤمن إلا وهو إذا ذكر له رؤية الله اشتاق إلى ذلك شوقا لا يكاد يشتاقه إلى شيء

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٦٧

وقد قال الحسن البصري لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا والحب لله يقوى بسبب قوة المعرفة **وسلامة الفطرة ونقصها** من نقص المعرفة ومن **خبث الفطرة بالأهواء** الفاسدة

ولا ريب أن النفوس تحب اللذة بالأكل والشرب والنكاح وقد تشتغل النفوس بأدنى المحبوبين عن أعلاهما لقوة حاجته العاجلة إليه كالجائع الشديد الجوع فإن ألمه بالجوع قد يشغله عن لذة مناجاته لله في الصلاة

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يصلين أحدكم بحضرة طعام ولا وهو يدافع الأخبثين

وإن كانت الصلاة قرة عين العارفين والإنسان إنما يشتاق إلى ما يشعر به من المحبوبات فأما ما لم يشعر به فهو لا يشتاق إليه وإن كان لو شعر به لكان شوقه إليه أشد من شوقه إلى غيره

". (١)

"جهة أو لا يختص أو لا تحصره أو نحو ذلك من العبارات المجملة التي يراد بها أنه ليس فوق فيحتاج حينئذ أن يصرف فطرته علما وإرادة عما فطر عليه

فما ذكره في مقامات العارفين موافق لما فطر الله عليه عباده أجمعين بخلاف ما ذكره هناك فإنه مخالف للفطرة كما تقدم

الثامن أن الشرائع الإلهية جاءت بما **يوافق الفطرة**

التاسع أنه قد اتفق على ذلك سلف الأمة

العاشر أنه دلت على ذلك الدلائل العقلية اليقينية

الحادي عشر أن موجب ما ذكروه أن لا يكون الرب معبودا إلا يتعلق المعنى الذي سموه الوهم به وأن من نفى تعلق الوهم بمعنى في الرب فقد أبطل كون الرب محبوبا معبودا فمن قال بعد ذلك إنه لا يقبل في الإلهيات هذه القضايا الوهمية فقد نفى كون الرب مستحقا لأن يعبد وأن يحب وهذا حقيقة قولهم ولهذا كان حقيقة قولهم تعطيل الرب عن أن يكون موجودا وأن يكون مقصودا وأن يكون معبودا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٧٣

وعلى هذا كانت أئمتهم كالقرامطة الباطنية الذين قادوا حقيقة قولهم وكذلك باطنية الصوفية الذين وافقوهم كأصحاب ابن عربي وابن سبعين فإن الذين عرفوا حقيقة قولهم كالتلمساني كانوا من أبعد

". (١)

"الناس عن عبادة الله وطاعته وطاعة رسله وأشدهم فجورا وتعديا لحدود الله وانتهاكا لمحارمه ومخالفة لكتابه ولرسوله وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

وحينئذ فنقول قوله إن القضايا الوهمية كاذبة

إن أراد به القضايا الكلية التي تناقض معقولا فتلك عندهم ليست من قضايا الوهم وإن أراد به ما يدركه الوهم من الأمور المعينة في المحسوسات فتلك صادقة عنده لا كاذبة وهي لا تعارض الكليات

وقوله إن الوهم الإنساني يقضي بها قضاء شديد القوة لأنه ليس يقبل ضدها ويقابلها

فيقال له هذا يقتضي تمكنها **من الفطرة وثبوتها** في النفس **وأن الفطرة لا** تقبل نقيضها وهذا يقتضى صحتها وثبوتها لا ضعفها وفسادها

وأما قوله لأن الوهم تابع للحس فما لا يوافق المحسوس لا يقبله الوهم

فيقال له إن أردت بالوهم التابع للحس ما سميته وهما وهو توهم معاني جزئية غير محسوسة في المحسوسات الجزئية فلا ريب أن

". (٢)

"وحينئذ فيكون المانع من شهرتها عند من لم تشتهر عنده سنة بدعية لا شرعية وديانة وضعها بعض الناس ليست منقولة عن نبي من الأنبياء

ولا ريب أن المشركين والمبدلين من أهل الكتاب لهم شرائع وديانات ابتدعوها ووضعوها وتلك لا يجب قبولها عند العقلاء وإنما يجب أن يتبع ما يثبت نقله عن الأنبياء المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم

وكذلك قوله إنه يثلم في شهرتها العلوم الحكمية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨٦/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨٧/٦

فيقال له قد نقل غيرك عن الفلاسفة القدماء أنهم كانوا يقولون بموجب هذه القضايا كما بين ذلك ابن رشد الحفيد وغيره بل المنقول عن متقدمي الفلاسفة وأساطينهم قبل أرسطو وعن كثير من متأخريهم القول بما هو أبلغ من هذه القضايا من قيام الحوادث بالواجب وما يتبع ذلك كما تقدم نقل بعض ذلك عنهم

وقوله ولا يكاد المدفوع عن ذلك يقاوم نفسه في دفع ذلك لشدة استيلاء الوهم

فيقال له هذا يدل على تمكنها **في الفطرة وثبوتها** في الجبلة وأنها مغروزة في النفوس فمن دفع ذلك عن نفسه لم يقاوم نفسه ولم يمكنه دفعها عن نفسه

". (١)

"كلا لقد أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمه بما فيه وأنه أصوب الأقاويل والأمر الذي يجب الإيمان لقائله ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته فكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له

قال ولو لم يشهد لصحة مذهب الجماعة في هذا الفن خاصة إلا ما ذكرنا من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي كيف وقد غرس في **بنية الفطرة ومعارف** الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد لأنك لا تسأل أحدا من الناس عنه عربيا ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا فتقول أين ربك إلا قال في السماء إن أفصح أو أوما بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح لا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ولا رأينا أحدا داعيا له إلا رافعا يديه إلى السماء ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهم وحده وخمسون رجلا معه نعوذ بالله من مضلات الفتن

فقد ذكر ابن كلاب في هذا الكلام أن العلم بأن الله فوق فطرى مفروز في فطر العباد اتفق عليه عامتهم وخاصتهم وأنه لم يخالف الجماعة في ذلك إلا نفر قليل يدعون أنهم أفضل الناس جهم ونفر قليل معه وبين أيضا ابن كلاب أن قول الجهمية هو نظير قول الدهرية وهو كما قال فإن منتهى كلام الجهمية إلى أنه لا موجود إلا العالم

قال يقال للجهمية أليست الدهرية كفارا ملحدين في قولهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١٠٥

" (١)

"الذي تشترك فيه ولكان في الجملة لا يمكن في الحواس لا في البصر أن يدرك فصول الألوان ولا في السمع أن يدرك فصول الأصوات ولا في الطعم أن يدرك فصول المطعومات وللزم أن يكون مدارك المحسوسات بالحس واحدا فلا يكون فرق بين مدرك السمع ومدرك البصر وهذا كله في غاية الخروج عما يعقله الإنسان وإنما تدرك الحواس ذوات الأشياء المشار إليها يتوسط إدراكها لمحسوساتها الخاصة بها فوجه المفالطة في هذا هو أنه ما يدرك ثانيا أخذ أنه يدرك بذاته

قال ولولا النشأ على هذه الأقاويل وعلى التعظيم للقائلين بها لما أمكن أن يكون فيها شيء من الإقناع ولا وقع بها التصديق لأحد **سليم الفطرة**

قال والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعة في الشريعة حتى ألجأت القائلين بنصرتها في زعمهم إلى مثل هذه الأقاويل الهجينة التي هي ضحكة عند من عنى بتمييز أصناف الأقاويل أدنى عناية هو التصريح في الشرع بما لم يأذن به الله ورسوله وهو التصريح ينفي

" (٢)

"

كان قوله ممنوعا غير مقبول باتفاق العقلاء على نظائر ذلك فإن كل مقدمة ضرورية لا يتوقف ثبوتها على نفي ما يقدح فيها والاستدلال بها لا يتوقف على ذلك بل هم يقولون إن القضايا اليقينية سواء كانت ضرورية أو نظرية لا يتوقف العلم بموجبها على نفي المعارض ولو توقف على ذلك لم يعلم أحد شيئا لأن ما يخطر بالقلوب من الشبهات المعارضة لا نهاية له فكيف يحتاج فى العلوم الضرورية إلى نفي المعارض

ولهذا كان جميع العقلاء **السالمي الفطرة يحكمون** بموجب هده القضية الضرورية قبل أن يعلموا أن فى الوجود من ينكرها ويخالفها وأكثر الفطر السليمة إذا ذكر لهم قول النفاة بادروا إلى تجهيلهم وتكفيرهم ومنهم من لا يصدق أن عاقلا يقول ذلك لظهور هذه القضية عندهم واستقرارها في أنفسهم فينسبون من خالفها إلى الجنون حتى يروا ذلك في كتبهم أو يسمعوه من أحدهم

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٩٤/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣٤/٦

ولهذا تجد المنكر لهذه القضية يقر بها عند الضرورة ولا يلتفت إلى ما اعتقده من المعارض لها فالنفاة لعلو الله إذا حزب أحدهم شدة وجه قلبه إلى العلو يدعو الله

ولقد كان عندي من هؤلاء النافين لهذا من هو من مشايخهم وهو يطلب مني حاجة وأنا أخاطبه في هذا المذهب كأني غير منكر له وأخرت قضاء حاجته حتى ضاق صدره فرفع طرفه ورأسه إلى السماء وقال يا الله فقلت له أنت محقق لمن ترفع طرفك

". (١)

"

ومنها أنهم يقولون قصدهم لربهم عند الحاجات التي لايقضيها إلا هو هو أيضا ضروري وقصدهم له بتوجه قلوبهم إلى العلو أيضا ضروري فهم مفطورون على الإقرار به وأنه في العلو وعلى أنهم محتاجون إليه يسألونه عند الضرورات وعلى أنهم يقصدونه في العلو لا في السفل وأن قلوبهم بفطرتها تتوجه إلى العلو اللهم إلا من أفسد فطرته وقصد أن يصدها عن مقتضاها مع أن هذا عند الحقيقة بغلب مع فطرته ويضل عنه ما كان يفتريه

ومنها أنهم يقولون إن ذلك أمر متفق عليه بين العقلاء **السليمي الفطرة وكل** منهم يخبر بذلك عن فطرته من غير مواطأة من بعضهم لبعض ويمتنع في مثل هؤلاء أن يتفقوا على تعمد الكذب عادة ويمتنع أيضا غلطهم في الأمور الفطرية الضرورية فإن ذلك يسد باب العلم والمعرفة وأن يثق الإنسان بشيء من علومه ومتى قدح في مثل هذا كان القدح في مقدمات ما يدعى أنه معارض لذلك أسهل بكثير فإن المعارضين لابد فيما يعارضون به من العقليات من قضايا تلقاها بعضهم عن بعض فيجوز عليهم فيها من الاتفاق على الغلط وعلى تعمد الكذب ما لا يجوز على المتفقين على قضايا لم يتلقها بعضهم عن بعض مع كثرة هؤلاء وتنوع أصنافهم

ومنها أنهم يثبتون العلو بطرق نظرية كقولهم كل موجودين فإما أن يكون أحدهما مباينا للآخر وإما أن يكون مداخلا له ونحو ذلك من الطرق المعلومة لهم فمعهم من العلم الضروري والقصد الضروري واتفاق العقلاء الذين لم يتواطأوا على قضاياهم والعقليات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٣٤٣

". (١)

"

وإذا دلت هذه الحجة فإنما تدل على حدوث التركيب الذي هو عرض لا تدل على حدوث الجواهر إلا بالطريقة الأولى وهي إثبات حدوث التركيب وامتناع حوادث غير متناهية وهذه الطريقة تسلكها الكرامية ونحوهم ممن يقول إن الله جسم قديم أزلي وإنه لم يزل ساكنا ثم تحرك لما خلق العالم ويحتجون على حدوث الأجسام المخلوقة بأنها مركبة من الجواهر المفردة فهي تقبل الاجتماع والافتراق ولا تخلوا من اجتماع وافتراق وهي أعراض حادثة لا تخلو منها وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث

وأما الرب فهو عندهم واحد لا يقبل الاجتماع والافتراق ولكنه لم يزل ساكنا والسكون عندهم أمر عدمي وهو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة وهؤلاء يقولون إن الباري لم يزل خاليا من الحوادث حتى قامت به بخلاف الأجسام المركبة من الجواهر المفردة فإنها لا تخلو من الاجتماع والافتراق

قال الشهرستاني وربما سلك أبو الحسن طريقا في حدوث الإنسان بكونه من نطفة أمشاج وتقلبه في أطوار الخلقة **وأكوار الفطرة وليس** يشك في أنه ما غير ذاته ولا بدل

". (٢)

"العالم في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة فاصطكت اتفاقا فحصل منها العالم بشكله الذي تراه عليه ودارت الأكوار وكرت الأدوار وحدثت المركبات

قال ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت والاتفاق احترازا عن التعطيل فما عدت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان **فإن الفطرة السليمة** الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم قادر عليم ﴿ أفي الله شك ﴾ سورة إبراهيم ١٠ ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾

". (٣)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٣٣/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٢٧/٧

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩٧/٧

"سورة الزخرف ٨٧ ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ سورة الزخرف ٩

قال وإن هم غفلوا عن **هذه الفطرة في** حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ سورة يونس ٢٢ ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ سورة الإسراء ٦٧

ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفى الشريك أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ سورة محمد ١٩ ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ونفى الشريك ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ سورة غافر ١٢ ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ سورة الزمر ٤٥ ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ﴾

". (١)

"سورة الإسراء ٤٦

قال وقد سلك المتكلمون طريقا في إثبات الصانع وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع وسلك الأوائل طريقا آخر وهو الاستدلال بإمكان الممكنات على مرجح لأحد طرفي الإمكان ويدعى كل واحد من جهة الاستدلال ضرورة وبديهة

قال وأنا أقول ما شهد به الحدوث أو دل عليه الإمكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت **به الفطرة الإنسانية** من احتياج ذاته إلى مدبر هو منتهى مطلب الحاجات فيرغب إليه ولا يرغب عنه ويستغنى به ولا يستغنى عنه ويتوجه إليه ولا يعرض عنه ويفزع إليه في الشدائد والمهمات فإن احتياج نفسه أوضح له من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب

". (٢)

"والحادث إلى المحدث وعن هذا المعنى كانت تعريفات الحق سبحانه في التنزيل على هذا المنهاج

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩٨/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩٩/٧

﴿ أم من يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ سورة النمل ٦٢ ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ سورة الأنعام ٦٣ ﴿ ومن يرزقكم من السماء والأرض ﴾ سورة النمل ٦٤ ﴿ أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ سورة النمل ٦٤

قال وعن هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم خلق الله العباد على معرفته فاجتالتهم الشياطين عنها فتلك المعرفة هي ضرورة الاحتياج وذلك الاجتيال من الشيطان هو تسويله الاستغناء ونفي الحاجة والرسل مبعوثون لتذكير **وضع الفطرة وتطهيرها** من تسويلات الشياطين

". (١)

"فإنهم الباقون على **أصل الفطرة ولما** كان له عليهم من سلطان ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ﴾ سورة الأعلى ٩ ١٠ ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ سورة طه ٤٤

ومن رحل إلى الله قربت مسافته حيث يرجع إلى نفسه أدنى رجوع فيعرف احتياجه إليه في تكوينه وبقائه وتقلبه في أحواله وأنحائه ثم استبصر من آيات الآفاق إلى آيات الأنفس ثم استشهد به على الملكوت لا بالملكوت عليه ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ سورة فصلت ٥٣ عرفت الأشياء بربي وما عرفت ربي بالأشياء ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعالى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط فثبت بالدلائل والشواهد أن العالم لم يتعطل عن الصانع الحكيم العالم القدير تعالى وتقدس

وقال أيضا في أول كتابه قد أشار إلي من إشارته

". (٢)

"

إلى أن قال وإذا كان لا طريق إلى المطلوب من المعرفة إلا الاستشهاد بالأفعال ولا شهادة للفعل إلا من حيث **احتياج الفطرة واضطرار** الخلقة فحيثما كان الاضطرار والعجز أشد كان اليقين أوفر وآكد ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ سورة الإسراء ٦٧ لا جرم ﴿ أم من يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ سورة النمل ٦٢

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٤٠٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٤٠١

والمعارف التي تحصل من تعريفات أحوال الاضطرار أشد رسوخا في القلب من المعارف التي هي نتائج الأفكار في حال الاختيار

قلت فهذا كله كلام الشهرستاني وهو من أئمة المتأخرين من النظار وأخبرهم بالمقالات وقد صرح بأن معرفة الله ليست معدودة من النظريات التي يقام عليها البرهان **وأن الفطرة تشهد** بضرورتها وبديهة فكرتها بالصانع الحكيم إلى آخر ما ذكره وأن ما تنتهي إليه مقدمات الاستدلال بإمكان الممكنات أو حدوثها من القضايا الضرورية دون ما شهدت **به الفطرة الإنسانية** من احتياج الإنسان في ذاته إلى مدبر

وأما ما ذكره من أن إنكار الصانع ليس مقالة معروفة لصاحب مقالة فإنه وإن لم يكن مذهبا مشهورا عليه أمة من

". (١)

"الأمم المعروفة لكنه مما يعرض لكثير من الناس ويقوله بعض الناس إما ظاهرا دون الباطن كحال فرعون ونحوه وإما باطنا وظاهرا كما ذكر الله مناظرة إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه للذي حاجه في ربه ومحاجة موسى صلوات الله عليه وسلامه لفرعون

لكن هذا لا يمنع أن تكون المعرفة به مستقرة **في الفطرة ثابتة** بالضرورة فإن هذا نوع من السفسطة والسفسطة حال يعرض لكثير من الناس إما عمدا وإما خطأ وكثير من الناس قد ينازع في كثير من القضايا البديهية والمعارف الفطرية في الحسيات والحسابيات وكذلك في الإلهيات ومن تأمل ما يحكيه الناس من المقالات عن الناس في العلوم الطبيعية والحسابية رأى عجائب وغرائب وبنو آدم لا ينضبط ما يخطر لهم من الآراء والإرادات فإنهم جنس عظيم التفاوت ليس في المخلوقات أعظم تفاضلا منه خيارهم خير المخلوقات عند طائفة أو من خيرها عند طائفة وشرهم شر المخلوقات أو من شرها

". (٢)

"الاعتقاد الجازم بلا ضرورة ولا استدلال هل يمكن أم لا وإذا أمكن فهل يسمى علما أم لا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٠٣/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٠٤/٧

ومنها أن لفظ الضرورة فيه إجمال فقد يراد به ما يضطر إليه الإنسان من المعلومات الظاهرة المشتركة بين الناس وقد يراد به ما يحصل في نفسه بدون كسبه وقد يراد به ما لا يقبل الشك وقد يراد به ما يلزم نفس الإنسان لزوما لا يمكن الانفكاك عنه

ومنها أن حصول العلم في النفس قد يحصل لكثير من الناس حصولا ضروريا مع توهمه أنه لم يحصل له كما يقع مثل ذلك في القصد والنية فإن الأمة متفقة على أن الصلاة ونحوها من العبادات لا تصح إلا بالنية والنية من جنس القصد والإرادة محلها القلب باتفاقهم فلو لفظ بلسانه غير ما قصد بقلبه أو بالعكس كان الاعتبار بقصده الذي في قلبه

ثم إن كثيرا من الناس اشتبه عليهم أمر النية حتى صار أحدهم يطلب حصولها وهي حاصلة عنده ويشك في حصولها في نفسه وهي حاصلة لاسيما إذا اعتقد أنه يجب مقارنة النية للصلاة فيرى في أحدهم من الوسواس في حصولها ما يخرجه عن العقل والدين حتى قيل الوسوسة لا تكون إلا عن خبل في العقل أو جهل بالشرع

وأصل ذلك جهلهم بحقيقة النية وحصولها مع خروجهم **عن الفطرة السليمة** التي فطر الله عليها عباده ومن المعلوم أن كل من علم

". (١)

"

والله تعالى فطر عباده على محبته ومعرفته وهذه هي الحنيفية التي خلق عباده عليها كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

وقد قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ سورة الروم ٣٠

وقال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء والكلام في هذه الأمور مذكور في غير هذا الموضع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٢٢/٧

ومن المسائل المتعلقة بهذا الباب أن العلم والإيمان واجب على الناس بحسب الإمكان فالجمل التي فرض الله تعالى على الخلق كلهم الإقرار بها مما يمكنهم معرفتها وأما التفاصيل ففيها من الدقيق ما لا يمكن أن يعرفه إلا بعض الناس فلو كلف بقية الناس معرفته كلفوا ما لا يطيقون ولهذا لم يجب على كل أحد أن يسمع كل آية في القرآن ويفهم معناها وإن كان هذا فرضا على الكفاية

". (١)

"مطمئنون إلى الإقرار بالله تعالى وهم مفطورون على ذلك ولهذا إذا ذكر لاحدهم اسمه تعالى وجد نفسه ذاكرة له مقبلة عليه كما إذا ذكر له ما هو معروف عنده من المخلوقات

والمتجاهل الذي يقول انه لا يعرفه هو عند الناس اعظم تجاهلا ممن يقول انه لا يعرف ما تواتر خبره من الانبياء والملوك والمدائن والوقائع وذلك عندهم اعظم سفسطة من غيره من انواع السفسطة

ولهذا من تتبع مقالات الناس المخالفة للحس والعقل وجد المسفسطين فيها اعظم بكثير من المسفسطين المنكرين للصانع فعلم ان معرفته **في الفطرة اثبت** واقوى إذ كان وجود العبد ملزوم وجوده وحاجاته معلقة به سبحانه وتعالى بل كل ما يخطر بقلب العبد ويريده فهو ملزوم له وخواطر العباد وارادتهم لا نهاية لها وانتقال الذهن من الملزوم إلى اللازم لا ينحصر بل إقرار القلوب به قد لا يحتاج إلى وسط وطريق بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات

واشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون وقد كان مستيقنا في الباطن كما قال له موسى ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ سورة الاسراء ١٠٢

". (٢)

"وقال تعالى عنه وعن قومه ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ سورة النمل ١٤

ولهذا قال ﴿ وما رب العالمين ﴾ [سورة الشعراء : ٢٣] على وجه الانكار له قال له موسى ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٢٦/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨/٨

سورة الشعراء ٢٤ ٢٨ وقد زعم طائفة من ان فرعون استفهم استفهام استعلام فسأله عن الماهية وان المسئول عنه لم يكن له ماهية عجز موسى عن الجواب

وهذا غلط وعلى هذا التقدير يكون استفهم استفهام انكار وجحد كما دل سائر آيات القران على ان فرعون كان جاحدا لله نافيا له لم يكن مثبتا له طالبا للعلم بماهيته

فلهذا بين لهم موسى انه معروف وان اياته ودلائل ربوبيته اظهر واشهر من ان يسال عنه بما هو فان هذا إنما هو سؤال عما يجهل وهو سبحانه اعرف واظهر وابين من ان يجهل بل معرفته مستقرة **في الفطرة اعظم** من معرفة كل معروف وهو سبحانه له المثل الاعلى في السموات والأرض وهو في السماء اله وفي الأرض فأهل السموات والأرض يعرفونه ويعبدونه وان كان اكثر اهل الأرض كما قال

". (١)

"اقوى وأقرب وأنفع فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

وقد قال تعالى ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ سورة الشورى ٥٣ والصراط المستقيم هو أقرب الطرق إلى المطلوب بخلاف الطرق المنحرفة الزائفة فإنها إما أن لا توصل واما أن توصل بعد تعب عظيم وتضييع مصالح اخر فالطرق المبتدعة أن عارضت كانت باطلا وان لم تعارض فقد تكون باطلا وقد تكون حقا لا يحتاج اليه مع **سلامة الفطرة**

ولهذا كل من كان إلى طريق الرسالة والسلف اقرب كان إلى موافقة صريح المعقول وصحيح المنقول اقرب فالقاضي ابو بكر وان كان اقرب إلى صريح المعقول وصحيح المنقول في اصول الدين بخلاف اصول الفقه من أبي المعالي واتباعه والاشعري اقرب إلى ذلك من القاضي أبي بكر وابو محمد بن كلاب اقرب إلى ذلك من أبي الحسن والسلف والائمة اقرب إلى ذلك من ابن كلاب فكل من كان إلى الرسول اقرب كان اولى بصريح المعقول وصحيح المنقول لأن كلام المعصوم هو الحق الذي لا باطل فيه وهو المبلغ عن الله كلامه وخير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة

ومما يبين ذلك أن ما ذكره القاضي ابو بكر من الطريقين البعيدين اقربهما مبنى على أن دلالة الصنعة على الصانع كدلالة الصانع على الصنعة وهذا إنما يدل من جهة الاشتقاق اللفظي كما تقدم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩/٨

(١) ".

"لها بد من فاعل وحدوث الحوادث شيئا بعد شيء عن علة تامة في الأزل لا يتأخر عنها شيء من موجبها ممتنع فوجب أن يكون الموجب لحدوث تلك الحوادث امرا يتعلق بالواجب وذلك من لوازم الواجب لا يفتقر إلى غير الواجب وما منه بخلاف ما يقوم بالممكن فإن الممكن نفسه مفتقر إلى غيره فما فيه اولى أن يفتقر إلى غيره

وهذا قد بسط في موضع آخر وبين انهم يلزمهم التناقض وفساد قولهم سواء قدر الفلك واجبا بنفسه أو قدر ممكنا واجبا بغيره

والمقصود هنا إنما كان التنبيه على طريق الطوائف في إثبات الصانع وان ما يذكره اهل البدع من المتكلمة والمتفلسفة فإما أن يكون طويلا لا يحتاج اليه أو ناقصا لا يحصل المقصود وان الطرق التي جاءت بها الرسل هي أكمل الطرق وأقربها وأنفعها وان ما **في الفطرة المكملة** بالشرعة المنزلة يغني عن هذه الأمور المحدثة وان سالكيها يفوتهم من كمال المعرفة بصفات الله تعالى وأفعاله ما ينقصون به عن أهل الإيمان نقصا عظيما إذا عذروا بالجهل وألا كانوا من المستحقين للعذاب إذا خالفوا النص الذي قامت عليهم به الحجة فهم بين محروم ومأثوم

(٢) ".

"المرجح إلا بنوع من التكلف الذي لا يتصور به ذلك

وقد تبين أن الناس في هذا المقام على درجات وكل من كان **إلى الفطرة العقلية** والشريعة النبوية اقرب كانت طريقته اقوم فالمستدل بان الموجود على سبيل الجواز وهو الموجود الممكن لا يكون بالوجود اولى منه بالعدم إلا بالفاعل وان ما حدث مع جواز أن لا يحدث لم يكن بالحدوث اولى من أن لا يحدث لولا شيء اقتضى حدوثه كما سلك ذلك كثير من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الاربعة وغيرهم خير من المستدل بأن الموجود الممكن مطلقا لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح وهذا المستدل بأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح خير من المستدل بأنه لا يترجح وجوده على عدمه ولا عدمه على وجوده إلا بمرجح كما سلك ذلك ابن سينا وأتباعه كالسهروردي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩١/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣٨/٨

والرازي والآمدي وغيرهم مع تناقض هؤلاء حيث قالوا في موضع آخر أن العدم المستمر لا يحتاج إلى سبب كما قاله نظار المسلمين من جميع الطوائف

ثم الذين استدلوا وبذلك ولم يحتاجوا إلى قطع التسلسل كما فعل الجمهور اقرب من الذين احتاجوا إلى قطع التسلسل كما فعل ابن سينا ونحوه

". (١)

"بهم إلى الجهل العظيم وإلى العجز عن الاستدلال على ما هو أعظم الأشياء ثبوتا ووجودا وأكثرها وأقواها أدلة وأولاها بالعلم من كل معلوم وأحقها بأن يكون مستقرا **في الفطرة دائم** الحصول في القلوب حاصلا بأكمل الأسباب التي يمكن بها حصول العلم

والمقصود هنا الكلام على الطريقة التي ذكرها أبو الحسن وأنها أقرب وأصح من الطريقة التي سلكها من سلكها من المعتزلة ومن وافقهم كالقاضي أبي بكر وأمثاله وأنها طريقة صحيحة لم ينازع فيها طائفة مشهورة إذا اكتفي فيها بحدوث ما يعلم حدوثه كالإنسان والنبات وغيرهما من الحوادث وأما إذا احتيج فيها إلى إثبات حدوث الأجسام كلها بطريقة الأعراض أو قيل إن حدوث الإنسان ونحوه لا يثبت إلا بمثل تلك الطريق كان المنازع في صحة هذه الطريق جمهور العقلاء من أهل الملل والفلاسفة وكان هذا من الكلام الذي ذمه السلف والأئمة

فالمخالفون للطرق الفطرية العقلية الشرعية القريبة الصحيحة كلما أبعدوا عنها مدحوا من يوافقهم في البعد ولهذا عكس هؤلاء الكلام على المقدمتين فأخذوا يوافقون أبا الحسن على المقدمة المبتدعة الباطلة ويذمونه أو يعتذرون عنه على المقدمة البديهية الصحيحة الشرعية

قال أبو الحسن فإن قال قائل ما أتكرم من أن تكون النطفة

". (٢)

"لا تحصل إلا بالنظر في هذه الطريقة وهو أول الواجبات لما ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد **على الفطرة قالوا** واللفظ للقاضي **في الفطرة ما** الفطرة هنا على روايتين عن أحمد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٢٩٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣١٤

إحداهما الإقرار بمعرفة الله تعالى وهي العهد الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم حين مسح ظهر آدم فأخرج من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فليس أحد إلا وهو يقر بأن له صانعا ومدبرا وإن سماه بغير اسمه

قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ سورة الزخرف ٨٧ فكل مولود يولد على ذلك الإقرار الأول

قال **وليس الفطرة ههنا** الإسلام لأمرين

أحدهما أن **معنى الفطرة ابتداء** الخلقة ومنه قوله تعالى ﴿ فاطر السماوات والأرض ﴾ سورة فاطر ١ أي مبتدئهما وإذا **كانت الفطرة هي** الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخلق وجرت في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لأن تلك حالة ابتدائهم ولأنها لو **كانت الفطرة هنا** الإسلام لوجب إذا ولد من بين أبوين كافرين ألا يرثهما ولا يرثانه مادام طفلا لأنه مسلم واختلاف

". (١)

"الدين يمنع الإرث ولوجب ألا يصح استرقاقه ولا يصح إسلامه بإسلام أبيه لأنه مسلم

قال وهذا تأويل ابن قتيبة ذكره في إصلاح الغلط على أبي عبيد وذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة

قال وليس كل من ثبتت له المعرفة حكم بإسلامه كالبالغين من الكفار فإن المعرفة حاصلة لهم وليسوا بمسلمين

قال وقد أومأ أحمد إلى هذا التأويل في رواية الميموني **فقال الفطرة الأولى** التي فطر الله عليها فقال له **الميموني الفطرة الدين** قال نعم

قال القاضي وأراد أحمد بالدين المعرفة التي ذكرناها

قال والرواية **الثانية الفطرة هنا** ابتداء خلقه في بطن أمه

قال لأن حمله على العهد الذي أخذه عليهم وهو الإقرار بمعرفة الله تعالى حمل للفطرة على الإسلام لأن الإقرار بالمعرفة إقرار بالإيمان والمؤمن مسلم

قال ولو **كانت الفطرة الإسلام** لوجب إذا ولد بين أبوين كافرين ألا يرثهما ولا يرثانه لأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقا لله وقد ثبت من أصولنا أن أفعال العباد خلق لله من طاعة ومعصية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٥٩/٨

". (١)

"

قال وقد أومأ أحمد إلى هذا في رواية علي بن سعيد وقد سأله عن كل مولود يولد **على الفطرة فقال** على الشقاوة والسعادة

وكذلك نقل محمد بن يحيى الكحال أنه سأله عن كل مولود يولد **على الفطرة قال** هي التي فطر الناس عليها شقي أو سعيد

وكذلك نقل حنبل عنه **قال الفطرة التي** فطر الله العباد من الشقاء والسعادة

قال وهذا كله يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة ههنا ابتداء خلقه في بطن أمه

قلت أحمد لم يذكر العهد الأول وإنما **قال الفطرة الأولى** التي فطر الناس عليها وهي الدين وقد قال في غير موضع إن الكافر إذا مات أبواه أو أحدهما حكم بإسلامه واستدل بهذا الحديث

كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه فدل على أنه فسر الحديث بأنه يولد على فطرة الإسلام كما جاء ذلك مصرحا به في الحديث ولو لم يكن كذلك لما صح استدلاله بالحديث

وقوله في موضع آخر يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة لا ينافي ذلك فإن الله تعالى قدر الشقاوة والسعادة وكتبها وقدر أنها تكون بالأسباب التي تحصل بها كفعل الأبوين فتهويد الأبوين وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدره الله تعالى

والمولود ولد **على الفطرة سليما** وولد على أن **هذه الفطرة السليمة**

". (٢)

"يغيرها الأبوان كما قدر الله تعالى ذلك وكتبه كما مثل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله

كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء فبين أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد **على الفطرة سليما** ثم يفسده أبواه وذلك أيضا بقضاء الله وقدره

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٦٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٦١

وإنما قال الأئمة ولد على ما فطر عليه من شقاء وسعادة لأن القدرية كانوا يحتجون بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقدر الله بل مما فعله الناس لأن كل مولود يولد خلقه الله **على الفطرة وكفره** بعد ذلك من الناس

ولهذا قالوا لمالك بن أنس إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث فقال احتجوا عليهم بآخره وهو قوله الله أعلم بما كانوا عاملين

فبين الأئمة أنه لا حجة فيه للقدرية فإنهم لا يقولون إن نفس الأبوين خلقا تهوده وتنصره بل هو تهود وتنصر باختياره لكن كانا سببا في ذلك بالتعليم والتلقين فإذا أضيف إليهما بهذا الاعتبار فلأن يضاف إلى الله الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى لأن الله وإن خلقه مولودا **على الفطرة سليما** فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعلم ذلك

كما في الحديث الصحيح

إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع

". (١)

"كافرا ولو بلغ لرهق أبويه طغيانا وكفرا

فقوله طبع أي طبع في الكتاب أي قدر وقضي لا أنه كان كفره موجودا قبل أن يولد فهو مولود **على الفطرة السليمة** وعلى أنه بعد ذلك يتغير فيكفر كما طبع كتابه يوم طبع

ومن ظن أن المراد به الطبع على قلبه وهو الطبع المذكور على قلوب الكفار فهو غالط فإن ذلك لا يقال فيه طبع يوم طبع إذ كان الطبع على قلبه إنما يوجد بعد كفره

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى أنه قال

خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وهذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك

وكذلك في حديث الأسود بن سريع الذي رواه أحمد وغيره قال

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٦٢/٨

بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فأفضى بهم القتل إلى الذرية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما حملكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله أليسوا أولاد المشركين قال أو ليس خياركم أولاد

". (١)

"المشركين ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيب فقال ألا إن كل مولود يولد **على الفطرة حتى** يعرب عنه لسانه فخطبته لهم بهذا الحديث عقب نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين وقوله لهم أو ليس خياركم أولاد المشركين يبين أنه أراد أنهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك ولو كان أراد أن المولود حين يولد يكون إما كافرا وإما مسلما على ما سبق له القدر لم يكن فيما ذكره حجة على ما قصده صلى الله عليه وسلم من نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين

وقد ظن بعضهم أم معنى قوله

أو ليس خياركم أولاد المشركين معناه لعله أنه قد يكون سبق في علم الله أنهم لو بقوا لآمنوا فيكون النهي راجعا إلى هذا المعنى من التجويز وليس هذا معنى الحديث ولكن معناه إن خياركم هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وهؤلاء من أولاد المشركين فإن آباءهم كانوا كفارا ثم إن البنين أسلموا بعد ذلك فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمنا فإن الله إنما يجزيه بعمله لا بعمل أبويه وهو سبحانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن

". (٢)

"

وهذا الحديث قد روي بألفاظ يفسر بعضها بعضا ففي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما من مولود يولد إلا **على الفطرة فأبواه** يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرأوا ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٦٣/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٦٤/٨

لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ سورة الروم ٣٠ قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين

وفي الصحيح قال الزهري يصلي على كل مولود متوفى وإن كان لغية من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام إذا استهل صارخا ولا يصلى على من لم يستهل من أجل أنه سقط وإن أبا هريرة كان يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

ما من مولود إلا ويولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ سورة الروم ٣٠

وفي الصحيح من رواية الأعمش

ما من مولود يولد إلا وهو على

". (١)

"أبي هريرة ومنهم من رواه عن حميد عن أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كل هذه صحاح عن ابن شهاب محفوظة

قال ابن عبد البر وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزئ الصبي عنه أن يعتقه وهو رضيع قال نعم لأنه ولد **على الفطرة**

قال ابن عبد البر لما ذكر النزاع في تفسير هذا الحديث وقال **آخرون الفطرة ها** هنا الإسلام قالوا وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل وقد أجمعوا في تأويل قوله عز وجل ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ سورة الروم ٣٠ على أن قالوا فطرة الله دين الله الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث اقرأوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾

وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قول الله عز وجل ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ قالوا فطرة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٦٥

". (١)

"

٪ اخلفية الرحمن انا معشر ٪ حنفاء نسجد بكرة واصيلا ٪ ٪ عرب نرى لله في اموالنا ٪ حق الزكاة منزلا تنزيلا ٪ فهذا وصف الحنيفية بالاسلام وهو امر واضح لاخفاء به

قال ومما احتج به من ذهب إلى **أن الفطرة في** هذا الحديث الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم

خمس **من الفطرة ويروي**

عشر **من الفطرة يعني** فطرة الإسلام

قلت الدلائل الدالة على انه اراد على فطرة الإسلام كثيرة كالفاظ الحديث التي في الصحيح مثل قوله على الملة

وعلى هذه الملة ومثل قوله في حديث عياض بن حمار

خلقت عبادي حنفاء كلهم وفي لفظ

حنفاء مسلمين ومثل تفسير أبي هريرة وغيره من رواة الحديث ذلك وهم اعلم بما سمعوا

وأيضا فانه لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام لما سألوا عقب ذلك ارايت من يموت من اطفال المشركين وهو صغير لانه لو لم يكن هناك ما يغير **تلك الفطرة لما** سألوا والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير

". (٢)

"

وكذلك قوله فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه بين فيه انهم **يغيرون الفطرة التي** فطر الناس عليها

وأيضا فانه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق لا نقص فيه ثم تجدع بعد ذلك فعلم أن التغيير وارد **على الفطرة السليمة** التي ولد العبد عليها

---

(١) درء تعارض العقل والنقل،   ٣٦٧/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل،   ٣٧١/٨

وأيضا فان الحديث مطابق للقرآن لقوله تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ وهذا يعم جميع الناس فعلم أن الله فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة وفطرة الله اضافها اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة

يبين ذلك انه قال ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ وهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الأول عند سيبوبة واصحابة فدل على أن اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها كما في نظائره مثل قوله ﴿كتاب الله عليكم ﴾ سورة النساء ٢٤ وقوله ﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ سورة الفتح ٢٣ فهذا عندهم مصدر منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال كتب الله ذلك عليكم وسن الله ذلك وكذلك هنا فطر الله الناس على ذلك على اقامة الدين لله حنيفا وكذلك فسره السلف كما تقدم النقل عنهم

". (١)

"

وروى باسناده الصحيح عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فطرة الله قال الدين الإسلام وقال ثنا ابن حميد ثنا يحي بن واضح ثنا يونس بن أبي اسحق عن يزيد بن أبي مريم قال مر عمر بمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الأمة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص **وهو الفطرة فطرة** الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت

وقال حدثني يعقوب يعني الدورقي ثنا ابن عليه ثنا ايوب عن أبي قلابة أن عمر قال لمعاذ ما قوام هذه الأمة فذكر نحوه

قال وقوله لا تبديل لخلق الله يقول لا تغيير لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل

ثم ذكر باسناده الصحيح عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لا

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٢/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٤/٨

"وقال لا تبديل لخلق الله وعن حميد الاعرج قال قال عكرمة الاخصاء وعن حفص بن غياث عن ليث عن مجاهد قال الإحصاء

قلت مجاهد وعكرمة روى عنهما القولان إذ لا منافاة بينهما كما قال تعالى ﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ سورة النساء ١١٩ فتغيير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغيير لخلقه والخصاء وقطع الآذن أيضا تغيير لخلقه

ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم احدهما بالآخر في قوله

كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء

فأولئك يغيرون الدين وهؤلاء يغيرون الصورة بالجدع والخصاء هذا تغيير لما خلقت عليه نفسه وهذا تغيير ما خلق عليه بدونه

واعلم أن هذا الحديث لما صارت القدرية يحتجون به على قولهم الفاسد صار الناس يتأولونه تأويلات يخرجونه بها عن مقتضاه

فالقدرية من المعتزلة وغيرهم يقولون كل مولد يولد على الإسلام والله لا يضل أحدا ولكن ابواه يضلانه

والحديث حجة عليهم من وجهين

". (١)

"

احدهما انه عند المعتزلة ونحوهم من المتكلمين لم يولد أحد على الإسلام أصلا ولا جعل الله أحدا مسلما ولا كافرا ولكن هذا احدث لنفسه الكفر وهذا احدث لنفسه الإسلام والله لم يفعل واحدا منهما عندهم بلا نزاع بين القدرية ولكن هو دعاهما إلى الإسلام وازح علتهما واعطاهما قدرة مماثلة فيهما تصلح للايمان والكفر ولم يختص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان فان ذلك عندهم غير مقدور ولو كان مقدورا لكان ظلما وهذا قول عامة المعتزلة وان كان بعض متأخريهم كأبي الحسين يقول انه خص المؤمن

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٧/٨

بداعي الإيمان ويقول عند الداعى والقدرة يجب وجود الإيمان فهذا في الحقيقة موافق لاهل السنة فهذا أحد الوجهين

والثاني انهم يقولون أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل فيستحيل أن تكون المعرفة عندهم ضرورية أو تكون من فعل الله تعالى

واما اخر الحديث فهو دليل على أن الله تعالى يعلم ما يصيرون اليه بعد ولادتهم **على الفطرة** هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين أو يغيرونها فيصيرون كفارا

وان احتجت القدرية بقوله فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه من جهة كونه اضاف التغيير إلى الابوين فيقال لهم انتم

". (١)

"تقولون إنه لا يقدر لا الله ولا أحد من مخلوقاته على أن يجعلها يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين بل هما فعلا بأنفسهما ذلك بلا قدرة من غيرهما ولا فعل من غيرهما فحينئذ لا حجة لكم في قوله ؟ (٢)؟

وأهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد فقد اتفقت الأمة على أن المراد بذلك دعوة الأبوين لهما إلى ذلك لهما إلى ذلك وترغيبهما فيه وترتيبهما عليه ونحو ذلك مما يفعل المعلم والمربي مع من يعلمه ويربيه وذكر الأبوين بناء على الغالب إذ لكل طفل ابوان وإلا فقد يقع ذلك من أحد الأبوين وقد يقع من غير الأبوين حقيقة وحكما

وأما غير القدرية فقال أبو عمر بن عبد البر اختلف العلماء **في الفطرة المذكورة** في هذا الحديث اختلافا كثيرا وكذلك اختلفوا في الأطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة فذكر ما ذكره أبو عبيد القاسم سلام في غريبه المشهور قال ابن المبارك يفسره آخر الحديث قوله صلى الله عليه اعلم بما كانوا عاملين

قال ابن عبد البر هكذا ذكر عن ابن المبارك لم يزد شيئا

". (٣)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٨/٨

(٢) فأبواه يهودنه

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٩/٨

"منسوخ فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في إخبار الله تعالى واخبار رسوله لان المخبر بشيء كان أو يكون إذا رجع عن ذلك لم يخل رجوعه عن تكذيبه لنفسه أو غلطه فيما اخبر به أو نسيانه وقد جل الله وعصم رسوله في الشريعة والرسالة منه وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه أحد له ادنى فهم فقف عليه فأنه أمر جسيم من اصول الدين

وقول محمد بن الحسن أن ذلك كان قبل أن يؤمر الناس بالجهاد ليس كما قال لان في حديث الاسود بن سريع ما يبين أن ذلك كان منه بعد الأمر بالجهاد

وروى باسناده عن الحسن عن الاسود بن سريع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما بال اقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان فقال رجل أو ليس إنما هم اولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس خياركم اولاد المشركين انه ليس من مولود يولد إلا **على الفطرة حتى** يبلغ فيعبر عنه لسانه ويهوده ابواه أو ينصرانه

". (١)

"

قال وروى هذا الحديث عن الحسن جماعة منهم بكر المزنى والعلاء بن زياد والسرى بن يحي وقد روى عن الاحنف عن الاسود ابن سريع قال وهو حديث بصرى صحيح قال وروى عوف الاعرابي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسبم قال

كل مولود يولد **على الفطرة فناداه** الناس يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين

قلت إما ما ذكره عن ابن المبارك ومالك فيمكن أن يقال أن المقصود أن اخر الحديث يبين أن الاولاد قد سبق في علم الله ما يعلمون إذا بلغوا وان منهم من يؤمن فيدخل الجنة ومنهم من يكفر فيدخل النار فلا يحتج بقوله

كل مولود يولد **على الفطرة على** نفي القدر كما احتجت به القدرية ولا على أن اطفال الكفار كلهم في الجنة لكونهم ولدوا **على الفطرة فيكون** مقصود الأئمة أن يستقر الاطفال على ما في اخر الحديث

واما قول محمد فانه رأى الشريعة قد استقرت على أن ولد اليهودي والنصراني يتبع ابويه في الدين في احكام الدنيا فيحكم له بحكم الكفر في

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨١/٨

(١) ".

"انه لا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه المسلمون ويجوز استرقاقهم ونحو ذلك فلم يجز أحد أن يحتج بهذا الحديث على أن حكم الاطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم ألسنتهم وهذا حق لكن ظن أن الحديث اقتضى أن يحكم لهم في الدنيا بأحكام المؤمنين فقال هذا منسوخ كان قبل الجهاد لأنه بالجهاد أبيح استرقاق النساء والأطفال والمؤمن لا يسترق ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الأحكام الدنيوية أمر ما زال مشروعا ومازال الأطفال تبعا لأبويهم في الأمور الدنيوية

والحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام وإنما قصد ما ولد عليه **من الفطرة وإذا** قيل إنه ولد على فطرة الإسلام أو خلق حنيفا ونحو ذلك فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإن الله تعالى يقول ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ سورة النحل ٧٨ ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام لمعرفته ومحبته

فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له **وموجبات الفطرة ومقتضاها** تحصل شيئا بعد شيء بحسب **كمال الفطرة إذا** سلمت عن المعارض

(٢) ".

"

وليس المراد مجرد **قبول الفطرة لذلك** أكثر من غيره كما أن كل مولود يولد فإنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة فيشتهي اللبن الذي يناسبه

وهذا من قوله تعالى ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ سورة طه ٥٠ وقوله ﴿ الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ﴾ سورة الأعلى ٢ ٣ فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديا إلى طلب ما ينفعه ودفع ما يضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٢/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٣/٨

قال ابن عبد البر وأما اختلاف العلماء **في الفطرة المذكورة** في هذا الحديث وما كان مثله فقالت **فرقة الفطرة في** هذا الموضع أريد بها الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه فكأنه قال كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك

". (١)

"

قالوا لأن الفاطر هو الخالق

قال وأنكرت أن يكون المولود يفطر على إيمان أو كفر أو معرفة أو إنكار

قلت صاحب هذا القول إن أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها فهذا ضعيف فإن مجرد القدرة على ذلك لا يقتضي أن يكون حنيفا ولا أن يكون على الملة ولا يحتاج أن يذكر تغيير أبويه لفطرته حتى يسأل عمن مات صغيرا ولأن القدرة هي في الكبير أكمل منها في الصغير

وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان فقالوا إنهم أولاد المشركين قال أليس خياركم أولاد المشركين ما من مولود إلا يولد **على الفطرة**

ولو أريد القدرة لكان البالغون كذلك مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل

وإن أراد بالفطرة على المعرفة مع إرادتها فالقدرة الكاملة مع الإرادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور فدل على أنهم فطروا على القدرة على المعرفة وإرادتها وذلك مستلزم للإيمان

". (٢)

"

قال وقال آخرون معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد **على الفطرة يعني** البدأة التي ابتدأهم عليها يريد أنه مولود على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم عن آبائهم اعتقادهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٤/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٥/٨

قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر المبدئ والمبتدئ فكأنه قال صلى الله عليه وسلم يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء والسعادة وغير ذلك مما يصير إليه وقد فطره عليه واحتجوا بقوله تعالى ﴿كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ سورة الأعراف ٢٩ ٣٠

وروى بإسناده إلى ابن عباس قال لم أدر ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا

". (١)

"فطرتها أى ابتدأتها وذكروا ما يروي عن علي رضي الله عنه في دعائه اللهم جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها

قلت حقيقة هذا القول أن كل مولود فإنه يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا **على الفطرة**

وأيضا فإنه لو كان المراد ذلك لم يكن لقوله

فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فإنهما فعلا به ما **هو الفطرة التي** ولد عليها على هذا القول فلا فرق بين التهويد والتنصير حينئذ وبين تلقين الإسلام وتعليمه وبين تعليم سائر الصنائع فإن ذلك كله داخل فيما سبق به العلم

وأيضا فتمثيله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه

وأيضا فقوله على هذه الملة وقوله إني خلقت

". (٢)

"عبادي حنفاء يخالف هذا

وأيضا فلا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الإنسان فإنه من حين كان جنينا إلى ما لا نهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بغير مخصص

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٦/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٧/٨

وقد ثبت في الصحيح أنه قبل نفخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فلو قيل كل مولود ينفخ فيه الروح **على الفطرة لكان** أشبه بهذا المعنى مع أن النفخ هو بعد الكتابة

قال ابن عبد البر قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد عن ابن المبارك أنه سئل عن هذا الحديث فقال يفسره الحديث الآخر حين سئل عن أطفال المشركين الله أعلم بما كانوا عاملين

". (١)

"

قال المروزي وقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه

قال ابن عبد البر ما رسمه مالك في موطأه وذكره في أبواب القدر فيه من الآثار ما يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا

قلت أئمة السنة مقصودهم أن الخلق صائرون إلى ما سبق به علم الله منهم من إيمان وكفر كما في الحديث الآخر

إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا والطبع الكتاب أي كتب كافرا كما قال فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد وليس إذا كان الله قد كتبه كافرا يقتضي أنه حين الولادة كافر بل يقتضي أنه لا بد أن يكفر وذلك الكفر هو التغيير كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء وقد سبق في علمه أنها تجدع كتب أنها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة لا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة

وكلام أحمد في أجوبة أخرى له يدل على **أن الفطرة عنده**

". (٢)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٨٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٨٩

قال الخلال أنبأ عبد الملك الميموني قال سألت أبا عبد الله قبل الحبس أي قبل أن يحبس أحمد في محنة الجهمية عن الصغير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه قال إذا مات صلى عليه المسلمون قلت يكره على الإسلام

قال إذا كانوا صغارا يصلون عليه أكره من يليه إلا هم وحكمه حكمهم

قلت فإن كان معه أبواه قال إذا كان معه أبواه أو أحدهما لم يكره ودينه على دين أبويه

قلت إلى أي شيء يذهب إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد **على الفطرة حتى** يكون أبواه قال نعم

قال وعمر بن عبد العزيز نادى به قال فرده إلى بلاد الروم إلا وحكمه حكمهم

قلت في الحديث كان معه أبواه قال لا وليس ينبغي إلا أن يكون معه أبواه

". (١)

"قوم على أنه ما كان من ذكر فهو للرجل مسلم وما كان من أنثى فهي مشركة يهودية أو نصرانية أو مجوسية فقال يجبر هؤلاء من أبى منهم على الإسلام لأن آباءهم مسلمون حديث النبي صلى الله عليه وسلم

فأبواه يهودانه وينصرانه يردون كلهم إلى الإسلام

ومثل هذا كثير في أجوبته يحتج بالحديث على أن الطفل إنما يصير كافرا بأبويه فإذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم فلو لم **تكن الفطرة الإسلام** لم يكن بعدم أبويه يصير مسلما فإن الحديث إنما دل على أنه يولد **على الفطرة ونقل** عنه الميموني **أن الفطرة هي** الدين **وهي الفطرة الأولى**

قال الخلال أخبرني الميموني أنه قال لأبي عبد الله كل مولود يولد **على الفطرة يدخل** عليه إذا كان أبواه معناه أن يكون حكمه حكم ما كانوا صغار فقال لي نعم ولكن يدخل عليك في هذا فتناظرنا بما يدخل علي من هذا القول وبما يكون بقوله قلت لأبي عبد الله فما تقول أنت فيها وإلى أي شيء تذهب قال إيش أقول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩١/٨

". (١)

"أنا ما أدري أخبرك هي مسلمة كما ترى ثم قال لي والذي يقول كل مولود يولد **على الفطرة ينظر** أيضا **إلى الفطرة الأولى** التي فطر الناس عليها قلت له **فما الفطرة الأولى** هي الدين قال لي نعم

فمن الناس من يحتج بالفطرة الأولى مع قول النبي صلى الله عليه وسلم

كل مولود يولد **على الفطرة قلت** لأبي عبد الله فما تقول لأعرف قولك قال أقول إنه **على الفطرة الأولى**

فجوابه أنه **على الفطرة الأولى** وقوله إنها الدين يوافق بأنه على دين الإسلام

وأما جواب أحمد أنه على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة الذي ذكر محمد بن نصر أنه كان يقول به ثم تركه فقال الخلال أخبرني محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبي عبد الله كل مولود يولد **على الفطرة ما** تفسيرها قال **هي الفطرة التي** فطر الله الناس عليها شقي أو سعيد

". (٢)

"

وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد وحنبل وأبو الحارث أنهم سمعوا أبا عبد الله في هذه المسألة **قال الفطرة التي** فطر الله العباد عليها من الشقاوة والسعادة

وكذلك نقل عن علي بن سعيد أنه سأل أبا عبد الله عن كل مولود يولد **على الفطرة قال** على الشقاء والسعادة فإليه يرجع على ما خلق

وعن الحسن بن ثواب قال سألت أبا عبد الله عن أولاد المشركين قلت إن ابن أبي شيبة أبا بكر قال هو **على الفطرة حتى** يهوده أبواه أو ينصراه فلم يعجبه شيء من هذا القول وقال كل مولود من أطفال المشركين **على الفطرة يولد على الفطرة التي** خلقوا عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في أم الكتاب ارفع ذلك إلى الأصل هذا معناه كل مولود يولد على الفطرة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٩٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٩٥

". (١)

"

وأحمد إنما اعتمد على الحديث الصحيح حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة وهو في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾

وكذلك في الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أطفال المشركين فقال

الله أعلم بما كانوا عاملين

وقد ذكر أحمد أن ابن عباس رجع إلى هذا بعد أن كان يقول هم مع آبائهم فدل على أن هذا جواب من لا يقطع بأنهم مع آبائهم

وأبو هريرة نفسه الذي روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه ما رواه غير واحد منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره وغيره من حديث عبد الرازق أنبا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال

إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسل قال وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل

". (٢)

"فيه خصمه فصار بين الفلاسفة الدهرية والمتكلمين القدرية في هذا الباب من النزاع ما استطار شرره وان كانت القدرية اقرب إلى العلم والعدل ومن الناس من يحار ومنهم من يوافق هؤلاء تارة وهؤلاء تارة تناقضا منه في حالين أو جمعا بين النقيضين في حال واحدة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩٦/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩٩/٨

ولو اتبعوا ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق لحصل لهم من العلم والعدل ما يرفع النزاع ويدخلهم في اتباع النص والإجماع والكلام على هذه المسألة له موضع آخر

والمقصود هنا تفسير قوله

كل مولود يولد **على الفطرة وان** من قال بإثبات القدر وان الله كتب الشقي والسعيد لم يمنع ذلك أن يكون ولد على الإسلام ثم تغير بعد ذلك كما تولد البهيمة جمعاء ثم تغير بعد ذلك فإن الله تعالى يعلم الاشياء على ما هي عليه فيعلم انه يولد سليما ثم يتغير

والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه وهو أنهم ولدوا **على الفطرة ثم** صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة لا تدل على انه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للايمان مستلزمة له لولا المعارض

". (١)

"ما كتبه انهم صائرون اليه قد يعملون قبل ذلك غيره وان من ابتدأه على الضلالة أي كتبه انه يموت ضالا فقد يكون قبل ذلك عاملا بعمل اهل الهدى وحينئذ من ولد **على الفطرة السليمة** المقتضية للهدى لا يمتنع أن يعرض لها ما يغيرها فيصير إلى ما سبق به القدر لها

كما في الحديث الصحيح أن احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يصير بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يصير بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة

ولهذا قال محمد بن كعب أن جميع الذرية اقروا له بالايمان والمعرفة فأثبت هذا وهذا إذ لا منافاة بينهما

ثم روى ابن عبد البر بإسناده عن سعيد بن جبير في قوله ﴿كما بدأكم تعودون﴾ سورة الاعراف ٢٩ قال كما كتب عليكم تكونون

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿كما بدأكم تعودون﴾ قال شقيا وسعيدا وقال غيره عن مجاهد ﴿كما بدأكم تعودون﴾ قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤١٠

". (١)

"

وقال الربيع بن انس عن أبي العالية ﴿كما بدأكم تعودون﴾ قال عادوا إلى علمه فيهم فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة

قلت ما في هذه الأقوال من إثبات علم الله وقدره السابق وان الخلق يصيرون إلى ذلك حق لا محالة كما دل عليه الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة واما كون ذلك تفسير الاية فهذا مقام اخر ليس هذا موضعه

ولفظ بدأ الله الخلق يراد به ابتداء تكوينهم وهو ظاهر القرآن وقد يراد به ابتداء اسباب خلقهم وعلامات ذلك كما في قول السائل للنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أول امرك قال

دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي رأت أنني حين ولدتني كأنه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام

قال وقال آخرون معنى قوله

كل مولود يولد **على الفطرة أن** الله فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال ألست بربكم قالوا جميعا

". (٢)

"قال وكان الظاهر ما قال موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس فعلم الله الخضر ما كان الغلام عليه **في الفطرة التي** فطره عليها وانه لا تبديل لخلق الله فأمر بقتله لأنه كان قد طبع يوم طبع كافرا

وروى اسحاق حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

الغلام الذي قتله الخضر طبعه الله يوم طبعه كافرا وهذا الحديث رواه مسلم

وروى البخاري وغيره عن ابن عباس انه كان يقرأها واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين قال اسحاق فلو ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس ولم يبين لهم حكم الاطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤١٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤١٣

الكافرين لأنهم لا يدرون ما جبل كل واحد منهم عليه حين اخرج من ظهر آدم فبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم

". (١)

"الطفل في الدنيا فقال

ابواه يهودانه ينصرانه ويمجسانه يقول انتم لا تعلمون ما طبع عليه **في الفطرة الأولى** ولكن حكم الطفل في الدنيا حكم أبويه فاعرفوا ذلك بالابوين فمن كان صغيرا بين أبوين كافرين ألحق بحكم الكفار ومن كان صغيرا بين أبوين مسلمين الحق بحكم الإسلام واما ايمان ذلك وكفره ومما يصير اليه فعلم ذلك إلى الله ويعلم ذلك فضل الخضر موسى إذا اطلعه الله عليه في ذلك الغلام وخصه بذلك العلم

قال ولقد سئل ابن عباس عن الولدان ولدان المسلمين والمشركين فقال ابن عباس حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر قال اسحاق إلا ترى إلى قول عائشة حين مات صبي من الانصار بين ابوين مسلمين

". (٢)

"فقالت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فرد عليها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال مه يا عائشة وما يدريك أن الله خلق الجنة وخلق لها اهلها وخلق النار وخلق لها اهلها قال اسحاق فهذا الأصل الذي يعتمد عليه اهل العلم

وسئل حماد بن سلمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم

كل مولود يولد **على الفطرة فقال** هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم

قال ابن عبد البر وقال ابن قتيبة يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته إلى يوم القيامة امثال الذر واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى

قلت مقصود حماد واسحاق ومالك وابن المبارك ومن اتبعهم كابن قتيبة وابن بطة والقاضي أبي يعلي وغيرهم هو منه احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفي القدر وهذا مقصود صحيح ولكن سلكوا في حصوله طرقا بعضها صحيح وبعضها ضعيف

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤١٥/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤١٦/٨

". (١)

"لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن اللو تفتح عمل الشيطان

والمقصود هنا انهم تشعبوا في **حديث الفطرة كتشعبهم** في حديث الحجة وأصل مقصودهم من الإيمان بالقدر صحيح لكن لا يجب مع ذلك أن يفسر القرآن والحديث إلا بما هو مراد الله ورسوله ويجب أن يتبع في ذلك ما دل عليه الدليل

وكثيرا ما يقع لمن هو من أهل الحق في أصل مقصوده وقد أخطأ في بعض الأمور هذا المجرى مثل أن يتكلموا في مسألة فإذا أرادوا أن يجيبوا عن حجج المنازعين ردوها ردا غير مستقيم

وما ذكروه من أن الله فطرهم على الكفر والايمان والمعرفة والنكرة أن ارادوا به أن الله سبق علمه وقدره بانهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون وينكرون وان ذلك كان بمشيئة الله وقدرته وخلقه فهذا حق يرده القدرية فغلاتهم ينكرون العلم وجمهورهم ينكرون عموم خلقه ومشيئته وقدرته وان ارادوا أن هذه المعرفة والنكرة كانت موجودة حين اخذ الميثاق كما في ظاهر المنقول عن اسحاق فهذا يتضمن شيئين أحدهما انهم حينئذ كانت المعرفة والايمان موجودا فيهم كما قال ذلك

". (٢)

"فذلك قوله وأصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ سورة الاعراف ١٧٢ فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة ﴿ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ﴾ سورة الاعراف ١٧٢ ١٧٣ فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله انه ربه وذلك قوله عز وجل ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾ سورة آل عمران ٨٣ وذلك قوله ﴿ فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ سورة الأنعام ١٤٩ يعني يوم اخذ الميثاق

فهذا الاثر أن كان حقا ففيه أن كل ولد آدم يعرف الله فإذا كانوا ولدوا على **هذه الفطرة فقد** ولدوا على المعرفة ولكن فيه أن بعضهم اقر كارها مع المعرفة بمنزلة الذي يعرف الحق لغيره ولا يقر به إلا مكرها وهذا لا يقدح في كون المعرفة فطرية مع أن هذا لم يبلغنا إلا في هذا الاثر ومثل هذا لا يوثق به فإن هذا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤١٧/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٢١/٨

في مثل تفسير السدي وفيه اشياء قد عرف بطلان بعضها إذ كان السدي وان كان ثقة في نفسه فهذه الاشياء احسن احوالها أن تكون كالمراسيل أن كانت أخذت عن النبي صلى الله علهي وسلم فكيف إذا كان فيها ما هو مأخوذ عن أهل الكتاب الذين يكذبون كثيرا وقد عرف أن فيها شيئا كثيرا مما يعلم انه باطل لا

(١) ".

"لا يبدله أحد وظاهر اللفظ انه خبر فلا يجعل نهيا بغير حجة وهذا أصح

وحينئذ فيقال المراد ما خلقهم عليه **من الفطرة لا** تبدل فلا يخلقون على **غير الفطرة لا** يقع هذا قط والمعنى أن الخلق لا يتبدل فيخلقون على **غير الفطرة ولم** يرد بذلك **أن الفطرة لا** تتغير بعد الخلق بل نفس الحديث يبين انها تتغير ولهذا شبهها بالبهيمة التي تولد جمعاء ثم تجدع ولا تولد بهيمة قط مخصية ولا مجدوعة

وقد قال تعالى عن الشيطان ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ سورة النساء ١١٩ فالله اقدر الخلق على أن يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيته

واما تبديل الخلق بأن يخلقوا على غير **تلك الفطرة فهذا** لا يقدر عليه إلا الله والله لا يفعله كماقال ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ سورة الروم ٣٠ ولم يقل لا تغيير فإن تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله فلا يكون خلق بدل هذا الخلق ولكن إذا غير بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة قد حصل بدله

واما قول القائل لا تبديل للخلقة التي جبل عليها ولد آدم كلهم من كفر وايمان فإن عنى بها أن ما سبق به القدر من الكفر والايمان لا يقع خلافه فهذا حق ولكن ذلك لا يقتضى أن تبديل الكفر بالايمان وبالعكس ممتنع ولا انه غير مقدور بل العبد قادر على ما أمره الله به

(٢) ".

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٢٣/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٢٥/٨

"فقد دعا نوح عليه السلام بهلاكهم لدفع شرهم في المستقبل وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافرا

وقول ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين ظاهره انه كان حينئذ كافرا وأما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم

فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه انه اراد به مجرد الالحاق في احكام الدنيا دون أن يكون اراد انهما **يغيران الفطرة فهذا** خلاف ما يدل عليه الحديث فإنه شبه تكفير الاطفال بجدع البهائم تشبيها للتغيير بالتغيير

وأيضا فإنه ذكر هذا الحديث لما قتلوا اولاد المشركين ونهاهم عن قتلهم وقال

اليس خياركم اولاد المشركين كل مولود يولد **على الفطرة فلو** اراد انه تابع لأبويه في الدنيا لكان هذا حجة لهم يقولون هم كفار كآبائهم فنقتلهم

وكون الصغير يتبع اباه في احكام الدنيا هو لضرورة حياته في الدنيا فإنه لا بد له من مرب يربيه وانما يربيه ابواه فكان تابعا لهما ضرورة ولهذا متى سبي منفردا عنهما صار تابعا لسابيه عند جمهور العلماء كأبي حنيفة والشافعي واحمد والاوزاعي وغيرهم لكونه هو الذي يربيه واذا سبى منفردا عن احدهما أو معهما ففيه نزاع للعلماء

". (١)

"

واحتجاج الفقهاء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سبي منفردا عن ابويه يصير مسلما لا يستلزم أن يكون المراد بتكفير الابوين مجرد لحاقه بهما في الدين ولكن وجه الحجة انه إذا ولد على الملة فإنما ينقله عنها الابوان اللذان يغيرانه **عن الفطرة فمتى** سباه المسلمون منفردا عنهما لم يكن هناك من يغير دينه وهو مولود على الملة الحنيفية فيصير مسلما بالمقتضى السالم عن المعارض ولو كان الابوان يجعلانه كافرا في نفس الأمر بدون تعليم وتلقين لكان الصبي المسبى بمنزلة البالغ الكافر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٣٠

ومعلوم أن الكافر البالغ إذا سباه المسلمون لم يصر مسلما لأنه صار كافرا حقيقة فلو كان الصبي التابع لأبويه كافرا حقيقة لم ينتقل عن الكفر بالسباء فعلم انه كان يجرى عليه حكم الكفر في الدنيا تبعا لأبويه لا لأنه صار كافرا في نفس الأمر

يبين ذلك انه لو سباه كفار لم يكن معه ابواه ولم يصر مسلما فهو هنا كافر في حكم الدنيا وان لم يكن ابواه هوداه ونصراه ومجساه

فعلم أن المراد بالحديث أن الابوين يلقنانه الكفر ويعلمانه اياه وذكر صلى الله عليه وسلم الابوين لانهما الأصل العام الغالب في تربية الاطفال فإن كل طفل غير فلا بد له من ابوين وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتهما بخلاف ما إذا ماتا أو عجزا لسبي الولد عنهما أو غير ذلك

". (١)

"

ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر

كل مولود يولد على الفطر حتى يعرب عنه لسانه فإما شاكرا وإما كفورا فجعله **على الفطرة إلى** أن يعقل ويميز فحينئذ يثبت له أحد الامرين ولو كان كافرا في الباطن بكفر الابوين لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه

وكذلك قوله في الحديث الآخر الصحيح حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه

اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا صريح في انهم خلقوا على الحنيفية وان الشياطين اجتالتهم وحرمت عليهم الحلال وامرتهم بالشرك فلو كان الطفل يصير كافرا في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع ابويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر ويلقنه اياه لم يكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفية وأمروهم بالشرك بل كانوا مشركين من حين ولدوا تبعا لآبائهم

ومنشأ الاشتباه في هذه المسألة اشتباه احكام الكفر في الدنيا باحكام الكفر في الاخرة فإن اولاد الكفار لما كانوا يجري عليهم احكام الكفر في امور الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم وحضانة ابائهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٣١

لهم وتمكين آبائهم من تعليمهم وتأديبهم والموارثة بينهم وبني آبائهم واسترقاقهم إذا كان آباؤهم محاربين وغير ذلك صار يظن من يظن انهم كفار في نفس الأمر كالذي تكلم بالكفر وعمل به

". (١)

"

ومن هنا قال من قال أن هذا الحديث وهو قوله

كل مولود يولد **على الفطرة كان** قبل أن تنزل الأحكام كما ذكره أبو عبيد عن محمد بن الحسن فأما إذا عرف أن كونهم ولدوا **على الفطرة لا** ينافي أن يكونوا تبعا لآبائهم في احكام الدنيا زالت الشبهة وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن يكتم ايمانه من لا يعلم المسلمون حاله إذا قاتلوا الكفار فيقتلونه ولا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين وهو في الاخرة من المؤمنين اهل الجنة كما أن المنافقين تجرى عليهم في الدنيا احكام المسلمين وهم في الاخرة في الدرك الاسفل من النار فحكم الدار الاخرة غير حكم الدار الدنيا

وقوله

كل مولود يولد **على الفطرة إنما** اراد به الأخبار بالحقيقة التي خلقوا عليها وعليها الثواب والعقاب في الاخرة إذا غمل بموجبها وسلمت عن المعارض لم يرد به الأخبار باحكام الدنيا فإنه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول أن اولاد الكفار يكونون تبعا لآبائهم في احكام الدنيا وان اولادهم لا ينتزعون منهم إذا كان للآباء ذمة وان كانوا محاربين استرقت اولادهم ولم يكونوا كاولاد المسلمين

ولا نزاع بين المسلمين أو اولاد الكفار الاحياء مع آبائهم لكن تنازعوا في الطفل إذا مات ابواه أو أحدهما هل يحكم بإسلامه فعن

". (٢)

"احمد رواية انه يحكم باسلامه لقوله

فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فإذا مات ابواه بقي **على الفطرة**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٢/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٣/٨

والرواية الاخرى كقول الجمهور انه لا يحكم بإسلامه

وهذا القول هو الصواب بل هو إجماع قديم من السلف والخلف بل هو ثابت بالسنة التي لا ريب فيها

فقد علم أن اهل الذمة كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ووادي القرى وخيبر ونجران وارض اليمن وغير ذلك وكان فيهم من يموت وله ولد صغير ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام يتامى اهل الذمة وكذلك خلفاؤه كان اهل الذمة في زمانهم طبق الأرض بالشام ومصر والعراق وخراسان وفيهم من يتامى اهل الذمة عدد كثير ولم يحكموا بإسلام احد منهم فإن عقد الذمة اقتضى أن يتولى بعضهم بعضا فهم يتولون حضانة يتاماهم كما كان الابوان يتولون حضانة اولادهما

واحمد رضي الله عنه يقول أن الذمي إذا مات ورثه ابنه الطفل مع قوله في احدى الراويتين انه يصير مسلما لأن أهل الذمة ما زال اولادهم يرثونهم ولأن الإسلام حصل مع استحقاق الارث لم يحصل قبله والقول الآخر هو الصواب كما تقدم

". (١)

"

والمقصود هنا أن قوله

كل مولود يولد **على الفطرة لم** يرد به في احكام الدنيا بل في نفس الأمر وهو ما ترتب عليه الثواب والعقاب ولهذا لما قال هذا سألوه فقالوا يا رسول الله ارأيت من يموت من أطفال المشركين فقال

الله اعلم بما كانوا عاملين فإن من بلغ منهم فهو مسلم أو كافر بخلاف من مات

وقد تنازع الناس في اطفال المشركين على اقوال

فقال طائفة انهم كلهم في النار وقالت طائفة كلهم في الجنة وكل واحد من القولين اختاره طائفة من أصحاب احمد الأول اختاره القاضي أبو يعلي وغيره وحكوه عن احمد وهو غلط على احمد كما اشرنا اليه

والثاني اختاره أبو الفرج بن الجوزي وغيره ومن هؤلاء من يقول هم خدم اهل الجنة ومنهم من قال هم من اهل الاعراف

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٣٤

والقول الثالث الوقف فيهم وهذا هو الصواب الذي دلت عليه الاحاديث الصحيحة وهو منصوص احمد وغيره من الأئمة

وذكره ابن عبد البر عن حماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن المبارك واسحاق بن راهويه قال وعلى ذلك اكثر أصحاب مالك وذكر ايضا في اطفال المسلمين نزاعا ليس هذا موضعه

". (١)

"

وهذا القول منقول عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم

وقد روى به آثار متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم حسان يصدق بعضها بعضا وهو الذي حكاه ألاشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث وذكر انه يذهب اليه وعلى هذا القول تدل الاصول المعلومة بالكتاب والسنة كما قد بسط في غير هذا الموضع وبين أن الله لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا

والمقصود هنا الكلام على الأقوال المذكورة في تفسير هذا الحديث وقد تبين ضعف قول من قال الفطرة الكفر والايمان وان الإقرار كان من هؤلاء طوعا ومن هؤلاء كرها

ومما يضعف هذا القول قول طائفة أخرى بأن جميع أولئك كان اقرارهم جميعهم له بالربوبية من غير تفصيل بطوع وكره

قال ابن عبد البر وقال آخرون معنى الفطرة المذكورة في المولودين ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرج ذرية آدم من ظهره فخاطبهم

ألست بربكم قالوا بلى فأقروا جميعا له بالربوبية عن معرفة منهم به ثم اخرجهم من اصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة وذلك الإقرار

". (٢)

"سورة الاعراف ١٠٢

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٥/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٧/٨

قال فكان في علم الله من يكذب به ومن يصدق قال وكان روح الله عيسى من تلك الارواح التي اخذ عهدها وميثاقها في زمن آدم

فهذا القول يحقق القول الأول في أن كل مولود يولد **على الفطرة التي** هي المعرفة بالله والاقرار به وفيه زيادة أن ذلك كان قد حصل لهم قبل الولادة حين استخرجوا من صلب آدم وقد فسر فطرة الله في الحديث بذلك

وأما قول صاحب هذا القول أن هذا الإقرار ليس هو بإيمان يستحق عليه الثواب فهذا لا يضر فإنه قد بين فيه أن المعرفة بالله ضرورية وانه بذلك صح أن يأمرهم فإن المأمور أن لم يعرف الأمر امتنع أن يعرف انه امره ولو لم تكن المعرفة ثابتة **في الفطرة لكان** الرسول إذا قال لقومه ادعوكم إلى الله لقالوا مثل ما قال فرعون وما رب العالمين انكارا له وجحدا كأن يكون قولهم متوجها

وفرعون لم يقل هذا لعدم معرفته في الباطن بالخالق لكن اظهر خلاف ما في نفسه كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ سورة النمل ١٤ وكما قال له موسى ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾

". (١)

"جمهور الخلق بل ولأكثر من سلك هذه الطرق ايضا إذا عرف حقيقتها

قال ابن عبد البر وقال آخرون في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم

كل مولود يولد **على الفطرة لم** يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم **بذكر الفطرة ها** هنا كفرا ولا ايمانا ولا معرفة ولا انكار وانما اراد أن كل مولود يولد على السلامة خلقة وطبعا وبنية ليس معها كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا

واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء يعني مقطوعة الأذن فمثل قلوب بني آدم بالبهائم لأنها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها فيقال هذه بحاير وهذه سوايب يقول فكذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر حينئذ ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهائم السالمة فلما بلغوا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٤٠

". (١)

"استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم وعصم الله اقلهم وعصم الله اقلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شيء من الكفر والايمان في أولية أمرهم ما انتقلوا عنه أبدا وقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون قالوا ويستحيل في العقول أن يكون الطفل في حال ولادته يعقل كفرا أو ايمانا لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون فيها شيئا

قال تعالى ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ سورة النحل ٧٨ فمن لم يعلم شيئا استحال منه كفر أو ايمان أو معرفة أو انكار

قال أبو عمر هذا القول اصح ما قيل في **معنى الفطرة التي** يولد الولدان عليها وذلك **ان الفطرة السلامة** والاستقامة بدليل قوله في حديث عياض بن حمار

اني خلقت عبادي حنفاء يعني على استقامة وسلامة فكأنه والله اعلم اراد الذين خلصوا من الافات

". (٢)

"كلها والزيادات ومن المعاصي و الطاعات فلا طاعة منهم ولا معصية إذا لم يعملوا بواحدة منهما

ومن الحجة ايضا في هذا قول الله تعالى ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ سورة التحريم ٧ و ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ سورة المدثر ٣٨ ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء قال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ سورة الاسراء ١٥

قلت هذا القائل أن اراد بهذا القول انهم خلقوا خالين من المعرفة والانكار من غير أن **تكون الفطرة تقتضي** واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان وكتابة الكفر وليس هو لأحدهما اقبل منه للآخر وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام فهذا قول فاسد لأنه حينئذ لا فرق بالنسبة **إلى الفطرة بين** المعرفة والانكار والتهويد والتنصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغي أن يقال فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما ذكر أن ابويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام علم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل غير حكم الكفر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤٢/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤٣/٨

وايضا فإنه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة ولا عطب ولا استقامة ولا زيغ إذ نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة وليس هو بأحدهما

". (١)

"اولى منه بالآخر كما أن الرق قبل الكتابة فيه لا يثبت له حكم مدح كالمصحف ولا حكم ذم كقرآن مسيلمة والتراب قبل أن يبنى مسجدا أو كنيسة لا يثبت له حكم واحد منهما

ففي الجملة كل ما كان قابلا للممدوح والمذموم على السواء لم يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ سورة الروم ٣٠ فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها فكيف لا يكون فيها مدح ولا ذم

وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الانف والاذن ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة

وان كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من الناس من أن المراد انهم ولدوا **على الفطرة السليمة** التي لو تركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الانكار والايمان على الكفر ولكن بما عرض من الفساد خرجت عن **هذه الفطرة فهذا** القول قد يقال انه لا يرد عليه ما يرد على ما قبله فإن صاحبه يقول **في الفطرة قوة** يميل بها إلى المعرفة والايمان كما

". (٢)

"في البدن السليم قوة يحب بها الاغذية النافعة وبهذا كانت محمودة وذم من افسدها لكن يقال **فهذه الفطرة التي** فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية هل هي كافية في حصول المعرفة أو تقف المعرفة على أدلة يتعلمها من خارج

فإن كانت المعرفة تقف على أدلة يتعلمها من خارج امكن أن توجد تارة وتعدم أخرى ثم ذلك السبب الخارج يمتنع أن يكون موجبا للمعرفة بنفسه بل غايته أن يكون معرفا ومذكرا فعند ذلك أن وجب حصول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤٤/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤٥/٨

المعرفة كانت المعرفة واجبة الحصول عند وجود تلك الاسباب وألا فلا وحينئذ فلا يكون فيها إلا قبول المعرفة والايمان إذا وجدت من يعلمها اسباب ذلك

ومعلوم أن فيها قبول الانكار والكفر إذا وجدت من يعلمها اسباب ذلك وهو التهويد والتنصير والتمجيس وحينئذ فلا فرق فيها بين الإيمان والكفر والمعرفة والانكار إنما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج

وهذا هوالقسم الأول الذي ابطلناه وبينا انه ليس في ذلك مدح للفطرة وان كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها وان لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة لزم حصول المعرفة فيها بدون ما نسمعه من أدلة المعرفة سواء قيل أن المعرفة ضرورية فيها أو قيل انها تحصل بأسباب كالادلة التي تنتظم في النفس من غير أن يسمع كلام مستدل فإن النفس

". (١)

"بفطرتها قد يقوم بها من النظر والاستدلال ما لا يحتاج معه إلى كلام أحد فإن كان كل مولود يولد على **هذه الفطرة لزم** أن يكون المقتضى للمعرفة حاصلا لكل مولود وهو المطلوب

والمقتضى التام يستلزم مقتضاه فتبين أن أحد الامرين لازم إما **لكون الفطرة مستلزمة** للمعرفة وإلا استوى الكفر والإيمان بالنسبة اليها وذلك ينفي مدحها

وتلخيص النكتة أن يقال المعرفة والايمان بالنسبة اليها ممكن بلا ريب فإما أن تكون هي موجبة مستلزمة له واما أن يكون ممكنا بالنسبة اليها ليس بوجب لازم لها فإن كان الثاني لم يكن فرق بني الكفر والايمان إذ كلاهما ممكن بالنسبة اليها فتبين أن المعرفة لازمة واجبة لها إلا أن يعارضها معارض

فإن قيل ليست موجبة مستلزمة للمعرفة ولكنها اليها اميل مع قبولها للنكرة

قيل فحينئذ إذا لم تستلزم المعرفة وجبت تارة وعدمت أخرى وهي وحدها لا تحصلها فلا تحصل إلا بشخص آخر كالابوين فيكون الإسلام كالتهويد والتنصير والتمجيس

ومعلوم أن هذه الانواع بعضها ابعد **عن الفطرة من** بعض كالتمجيس

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٤٦

". (١)

"ولكن مع ذلك لما لم تكن الفطرة مقتضية لشيء منها اضيفت إلى السبب فإن لم تكن الفطرة مقتضية للاسلام صار نسبتها إلى ذلك كنسبة التهويد والتنصير إلى التمجيس فوجب أن تذكر كما ذكر ذلك وهذا كما أن الفطرة لو لم تقتض الاكل عند الجوع مع القدرة عليه لم يوجد الاكل إلا بسبب منفصل

والنبي صلى الله عليه وسلم شبه اللبن بالفطرة لما عرض عليه الخمر واللبن واختار اللبن فقال له جبريل اصبت الفطرة ولو اخذت الخمر لغوت امتك

والطفل مفطور على انه يختار شرب اللبن بنفسه فإذا تمكن من الثدي لزم أن يرتضع لا محالة فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض وهو مولود على أن يرتضع فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية له لا محال إذا لم يوجد معارض

وايضا فإن حب النفس وخضوعها لله واخلاص الدين له مع

". (٢)

"الكبر والشرك والنفور إما أن يكون نسبتها إلى الفطرة سواء أو الفطرة مقتضية للأول دون الثاني فإن كانا سواء لزم انتفاء المدح كما تقدم لم يكن فرق بين دعائها إلى الكفر ودعائها إلى الإيمان ويكون تمجيسها كتحنيفها وقد عرف بطلان هذا

وان كان فيها مقتض لهذا فإما أن يكون المقتضي مستلزما لمقتضاه عند عدم المعارض واما أن يكون متوقفا على شخص خارج عنها فإن كان الأول ثبت أن ذلك من لوازمها وانها مفطورة عليه لا تفقد إلا إذا فسدت الفطرة

وان قيل انه متوقف على شخص فذلك الشخص هو الذي يجعلها حنيفية كما يجعلها مجوسية وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا

واذا قيل هي إلى الحنيفية اميل كان كما يقال هي إلى النصرانية اميل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤٧/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤٨/٨

فتبين أن فيها قوة موجبة لحب الله والذل له واخلاص الدين له وانها موجبة لمقتضاها إذا سلمت من المعارض كما فيها قوة تقتضي شرب اللبن الذي فطرت على محبته وطلبه

ومما يبين هذا أن كل حركة ارادية فإن الموجب لها قوة في المريد فإذا امكن في الانسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضي ذلك إذ الأفعال الارادية لا يكون سببها إلا من نفس الحي المريد الفاعل ولا يشترط في ارادته إلا مجرد الشعور بالمراد فما في النفوس من

". (١)

"قوة المحبة له إذا شعرت به يقتضي حبه إذا لم يحصل معارض

وهذا موجود في محبة الاطعمة والاشربة والنكاح ومحبة العلم وغير ذلك واذا كان كذلك وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والذل له واخلاص الدين له وان فيها قوة الشعور به لزم قطعا وجود المحبة فيها والذل بالفعل لوجود المقتضى الموجب إذا سلم عن المعارض وعلم أن المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل يكلمها بكلام وان كان وجود هذا قد يذكر ويحرك كما لو خوطب الجائع بوصف طعام أو خوطب المغتلم بوصف النساء فإن هذا مما يذكر ويحرك لكن لا يجب ذلك في وجود الشهوة للطعام ووجود الاكل

فكذلك الاسباب الخارجة لا يتوقف عليها وجود ما **في الفطرة من** الشعور بالخالق والذل له ومحبته وان كان ذلك مذكرا ومحركا أو مزيلا للمعارض المانع لكن المقصود انه لا يحتاج حصول ذلك **في الفطرة اليه** مطلقا

وايضا فالاقرار بالصانع بدون عبادته بالمحبة له والذل له واخلاص الدين له لا يكون نافعا بل الإقرار مع البعض اعظم استحقاقا للعذاب فلا بد أن يكون **في الفطرة مقتض** للعلم ومقتض للمحبة والمحبة مشروطة بالعلم فإن ما لا يشعر به الانسان لا يحبه والحب للمحبوبات لا يكون بسبب من خارج بل هو جبلي فطري واذا كانت

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٤٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٥٠

"المحبة جبلية فطرية فشرطها وهو المعرفة أيضا جبلي فطري فلا بد أن يكون **في الفطرة محبة** الخالق مع الإقرار به

وهذا أصل الحنيفية التي خلق الله خلقه عليها وهو فطرة الله التي أمر الله بها

وأيضا فإذا كانت المحبة فطرية وهي مشروطة بالشعور لزم أن يكون الشعور أيضا فطريا والمحبة له أيضا فطرية لأنها لو لم تكن فطرية لكانت النفس قابلة لها ولضدها على السواء وهذا ممتنع كما تقدم وإذا كانت **في الفطرة أرجح** لزم وجودها **في الفطرة وإلا** كانت ممكنة الحصول وعدمه كما في المجوسية وغيرها من الكفر فتبقى الحنيفية مع المجوسية كاليهودية مع المجوسية وهذا باطل كما تقدم

فعلم أن الحنيفية من **موجبات الفطرة ومقتضياتها** والحب لله والخضوع له والإخلاص له هو أصل أعمال الحنيفية وذلك مستلزم للإقرار والمعرفة ولازم اللازم لازم وملزوم الملزوم ملزوم فعلم **أن الفطرة ملزومة** لهذه الأحوال وهذه الأحوال لازمة لها وهو المطلوب قال أبو عمر قد مضى **في الفطرة ومعناها** عند العلماء ما بلغنا عنهم والحمد لله وأما أهل البدع فمنكرون لكل ما قاله العلماء في تأويل

". (١)

"قادرين على المعرفة وقول من يقول ولدوا قابلين لها وللتهود والتنصر إما مع التساوي وإما مع رجحان القبول للإسلام

وأما قول من يقول ولدوا على فطرة الإسلام أو على الإقرار بالصانع وإن لم يكن ذلك وحده إيمانا أو على المعرفة الأولى يوم أخذ الميثاق عليهم فهذه الثلاثة لا منافاة بينها بل يحصل بها المقصود

والكتاب والسنة دل على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم وبمقتضاها يجب حصوله فيها إذا لم يحصل ما يعوقها فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط بل على انتفاء مانع

ولهذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم **لموجب الفطرة شرطا** بل ذكر ما يمنع موجبها حيث قال كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٥١/٨

منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ سورة الروم ٣٠ ٣٢ فأخبر أن المشركين مفترقون

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح

إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا

". (١)

"

ولهذا ذم الله تعالى المشركين على هذين النوعين في غير موضع من كتابه كسورة الأنعام والأعراف يذكر فيها ذممهم على ما حرموه من المطاعم والملابس وغير ذلك وذممهم على ما ابتدعوه من العبادات التي لم يشرعها الله تعالى

وفي الحديث أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة فنعبده وحده بفعل ما أحبه ونستعين على ذلك بما أحله

كما قال تعالى ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾ سورة المؤمنون ٥١

وهذا هو الدين الذي فطر الله عليه خلقه فإنه محبوب لكل أحد فإنه يتضمن الأمر بالمعروف الذي تحبه القلوب والنهي عن المنكر الذي تبغضه وتحليل الطيبات النافعة وتحريم الخبائث الضارة

وهذا الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن كل مولود يولد **على الفطرة مما** تقوم الأدلة العقلية على صدقه كما أخبر الصادق المصدوق وتبين أن من خالف مدلول هذا الحديث فإنه مخطئ في ذلك

وبيان ذلك من وجوه

أحدها أن يقال لا ريب أن الإنسان قد يحصل له تارة من

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٥٤/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٥٦/٨

"واحدة بحيث لا يترجح أحد الصنفين على الآخر بمرجح من نفسه أو لا بد أن تكون نفسه مرجحة لأحد النوعين

فإن كان الأول لزم أن لا يوجد أحد الصنفين إلا بمرجح منفصل عنه ثم ذلك المرجح المنفصل إذا قدر مرجحان أحدهما يرجح الصدق الذي ينفعه والآخر يرجح الكذب الذي يضره فإما أن يتكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما فإن تكافأ المرجحان لزم أن لا يحصل واحد منهما وهو خلاف المعلوم بالضرورة فإنا نعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يصدق وأن ينتفع وأن يكذب ويتضرر مال بفطرته إلى أن يصدق وينتفع وإذا كان لا بد من ترجيح لأحدهما فترجح الكذب الضار مع فرض تساوي المرجحين أولى بالامتناع من تكافيهما فتعين أنه إذا تكافأ المرجحان فلا بد أن يترجح عنده الصدق والنفع وهو المراد باعتقاد الحق وإرادة الخير

فعلم أن في فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النافع وحينئذ فالإقرار بوجود الصانع ومعرفته والإيمان به هو الحق أو نقيضه والثاني معلوم الفساد قطعا فتعين الأول وحينئذ فيجب أن يكون **في الفطرة ما** يقتضي معرفة الصانع والإيمان به

وأيضا فإنه مع الإقرار به إما أن تكون محبته أنفع للعبد أو عدم محبته والثاني معلوم الفساد وإذا كان الأول أنفع له كان في فطرته محبة ما ينفعه

". (١)

"

وأيضا فإنه إما أن تكون عبادته وحده لا شريك له أكمل للناس علما وقصدا أو الإشراك به والثاني معلوم الفساد فوجب أن يكون في فطرته مقتض يقتضي توحيده

وأيضا فإما أن يكون دين الإسلام مع غيره من الأديان متماثلين أو الإسلام مرجوحا أو راجحا والأول والثاني باطلان باتفاق المسلمين وبأدلة كثيرة فوجب أن يكون **في الفطرة مقتض** يقتضي خير الأمرين لها وامتنع أن تكون نسبة الإسلام وسائر الملل **إلى الفطرة واحدة** سواء كانت نسبة قدرة أو نسبة قبول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٥٨/٨

وإذا لزم أن يكون **في الفطرة مرجح** للحنيفية التي أصلها معرفة الصانع ومحبته وإخلاص الدين له فإما أن يكون مع ذلك لا يوجد مقتضاها إلا بسبب منفصل مثل من يعلمه ويدعوه أو يمكن وجود ذلك بدون هذا السبب المنفصل

فإن كان الأول لزم أن يكون موجبها متوقفا على مخاطب منفصل دائما فلا يحصل بدونه البتة ثم القول في حصول موجبها لذلك المخاطب المنفصل كالقول في الأول وحينئذ فيلزم التسلسل في المخاطبين ووجود مخاطبين لا يتناهون وهم أيضا مخاطبون وهذا تسلسل في الفاعلين وهو ممتنع

وإن كان في المخاطبين من حصل له **بموجب الفطرة بلا** مخاطب منفصل دل على إمكان ذلك **في الفطرة فبطل** هذا التقدير وهو كون

". (١)

"**موجب الفطرة لا** يحصل قط إلا لمخاطب منفصل وإذا أمكن حصول **موجب الفطرة بدون** مخاطب منفصل علم أن **في الفطرة قوة** تقتضي ذلك وأن ذلك ليس موقوفا على مخاطب منفصل لكن قد يكون لذلك المقتضي معارض مانع وهذا **هو الفطرة**

وهذا الدليل يقتضي أنه لا بد في الفطر ما يكون مستغنيا عن مخاطب منفصل في حصول **موجب الفطرة لكن** لا يقتضي أن كل واحد كذلك لكن إذا عرف أن ما جاز على أحد الإنسانين يجوز على الآخر لتماثلهما في النوع أمكن ذلك في حق كل شخص وهو المطلوب

الوجه الثاني أن يقال إذا ثبت أن **نفس الفطرة مقتضية** لمعرفته ومحبته حصل المقصود بذلك وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب معين للفطرة كالتعليم والتخصيص فإن الله قد بعث الرسل وأنزل الكتب ودعوا الناس إلى **موجب الفطرة من** معرفة الله وتوحيده فإذا لم يحصل مانع **يمنع الفطرة وإلا** استجابت لله ورسله لما فيها من المقتضي لذلك ومعلوم أن قول

كل مولود يولد **على الفطرة ليس** المراد به أنه حين ولدته أمه يكون عارفا بالله موحدا له بحيث يعقل ذلك فإن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٥٩/٨

". (١)

"الله يقول ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ سورة النحل ٧٨

ونحن نعلم بالاضطرار أن الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أن الفطرة تقتضى ذلك وتستوجبه بحسبها

فكلما حصل فيه قوة العلم والإرادة حصل من معرفتها بربها ومحبتها له ما يناسب ذلك كما أنه ولد على أنه يحب جلب المنافع ودفع المضار بحسبه وحينئذ فحصول موجب الفطرة سواء توقف على سبب وذلك السبب موجود من خارج أو لم يتوقف على التقديرين يحصل المقصود

ولكن قد يتفق لبعضها فوات الشرط أو وجود مانع فلا يحصل مقصود الفطرة

الوجه الثالث أن يقال من المعلوم أن النفوس إذا حصل لها معلم ومخصص حصل لها من العلم والإرادة بحسب ذلك ومن المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق ومعلوم أن مجرد التعليم والتخصيص لا يوجب العلم والإرادة لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك وإلا فلو علم البهائم والجمادات وحضضها لم يحصل لها ما يحصل لبني آدم والسبب في الموضعين واحد فعلم أن ذلك لاختلاف القوابل

ولهذا يشترك الناس في سماع القرآن ويتفاوتون في آثاره فيهم من العلم والحال وهكذا في سائر الكلام وإذا كان كذلك علم أن في النفوس قوة تقتضي العلم والإرادة

". (٢)

"

يبين ذلك أن ذلك المرجح إذا حصل من خارج فمعلوم أنه نفسه لا يوجب بنفسه حصول العلم والإرادة في النفس إلا بقوة منها تقبل ذلك وتلك القوة لا تتوقف على أخرى وإلا لزم التسلسل الذي لا يتناهى بين طرفين متناهين أو الدور القبلي وكلاهما ممتنع بالضرورة واتفاق العقلاء

فهذا يدل على أن في النفس قوة ترجح الدين الحق على غيره وحينئذ فالمخاطب إنما عنده تنبيهها على ما لا تعلمه لتعلمه أو تذكيرها بما كانت ناسية لتذكره أو تحضيضها على ما لا تريده لتريده ونحو ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٦٠/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٦١/٨

وكل هذه الأمور يمكن أن تحصل بخواطر في النفس تقتضي تنبيهها وتذكيرها وتخضيضها واعتبار الإنسان ذلك من نفسه يوجب علمه بذلك فإن ما يسمعه الإنسان من كلام البشر يمكن أن يخطر له مثله في قلبه فعلم **أن الفطرة يمكن** حصول إقرارها بالصانع والمحبة والإخلاص له بدون سبب منفصل وأنه يمكن أن تكون الذات كافية في ذلك

ومن المعلوم أنه إذا كان المقتضي لذلك قائما في النفس وقدر عدم المعارض فالمقتضي السالم عن المعارض المقاوم يوجب مقتضاه فعلم **أن الفطرة السليمة** إذا لم يحصل لها من يفسدها كانت مقرة بالصانع عابدة له

فإن قيل هذه الخواطر التي تخطر للإنسان قد تحصل لبعض الناس دون بعض بحسب ما يتفق من الأسباب كما أن بعض الناس يحصل له

". (١)

"من يخاطبه دون بعض فليسوا مشتركين في أسباب الخواطر والخطاب

قيل إذا لم تكن الخواطر متوقفة على مخاطب من خارج **كانت الفطرة الإنسانية** هي المقتضية لذلك وإن كان ذلك بأسباب يحدثها الله من إلهام ملك أو غيره لكن المقصود أنه لا يحصل لها ذلك بواسطة تعلم إنسان ودعائه وهذا هو المقصود بيانه من كونها ولدت **على الفطرة ليس** المراد أنه يجب وجود الهدى لكل إنسان فإن هذا خلاف الواقع والحديث قد بين أن المولود يعرض له من يغير فطرته

الوجه الرابع أن يقال هب انه لا بد من الداعي المعلم من خارج لكن في النفس ما يوجب ترجيح الحق على الباطل في الاعتقادات والارادات وهذا كاف في كونها ولدت **على الفطرة**

الوجه الخامس أن يقال المقصود انه إذا لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج **كانت الفطرة مقتضية** للصلاح لأن المقتضي فيها للعلم والارادة النافعة قائم والمانع زائل إذ ليس **في الفطرة نفسها** مانع من ذلك ومع وجود المقتضي السالم عن المعارض المقاوم يجب وجود مقتضاه

والاول استدلال بوقوع الإقرار بدون سبب منفصل على وجود المقتضي التام **في الفطرة وهذا** استدلال بوجود المقتضي التام على حصول مقتضاة

وليس المقصود هنا أن المقتضي التام يجب وجوده لكل أحد فان هذا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٦٢/٨

". (١)

"ممتنع بل **أن الفطرة تقتضي** وجوده كما تقتضي فطرة الصبي شرب لبن امه فلو لم يعرض له مانع للزم وجود الشرب لكن قد يعرض له مرض فيه أو في امه أو غير ذلك يوجب نفوره عن شرب لبنها وحب العبد لربه هو مفطور فيه اعظم مما فطر فيه حبه للبن امه

قال الله تعالى ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ سورة البقرة ٢٠٠

فلو لم يكن المقتضي التام ممكن وجوده **في الفطرة لم** يحصل موجبها إلا بمرجح من خارج وهو خلاف الواقع ولانها إذا خلت عن الاسباب الخارجة لم يكن بد من وجود صلاحها أو فسادها والثاني ممتنع فتعين الأول

الوجه السادس أن السبب الذي **في الفطرة إما** أن يكون مستلزما للمعرفة والمحبة واما أن يكون مقتضيا لها بدون استلزام وعلى التقديرين يحصل المقصود

الوجه السابع أن النفس لا تخلو عن الشعور والارادة بل هذا الخلو ممتنع فيها فان الشعور والارداة من لوازم حقيقتها ولا يتصور أن تكون النفس إلا شاعرة مريدة ولا يجوز أن يقال انها قد تخلو في حق الخالق تعالى عن الشعور بوجوده وعدمه وعن محبته وعدم محبته وحينئذ فلا يكون الإقرار به ومحبته من لوازم وجودها ولولم يكن لها معارض بل هذا باطل

". (٢)

"شهادة على أنفسهم أي انطاقهم بالاقرار بربوبيته وجعلهم شهداء على أنفسهم بما اقروا به من ربوبيته

وقوله أشهدهم يقتضي انه هو الذي جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنه ربهم وهذا الاشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آبائهم وهذا الاخذ المعلوم المشهود الذي لا ريب فيه هو اخذ المني من اصلاب الاباء ونزوله في ارحام الامهات لكن لم يذكر هنا الامهات لقوله فيما بعد ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ سورة الاعراف ١٧٣ وهم كانوا متبعين لدين آبائهم لا لدين الامهات كما قالوا ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ سورة الزخرف ٢٢٠

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٦٣/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٦٤/٨

ولهذا قال ﴿ قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ سورة الزخرف ٢٤ فهو يقول اذكر حين اخذوا من اصلاب الاباء فخلقوا حين ولدوا **على الفطرة مقرين** بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم فهذا الإقرار حجة لله عليهم يوم القيامة فهو يذكر اخذه لهم واشهاده اياهم على أنفسهم إذ كان سبحانه خلق فسوى وقدر فهدى

فالاخذ يتضمن خلقهم والاشهاد يتضمن هداه لهم إلى هذا الإقرار فإنه قال اشهدهم أي جعلهم شاهدين وقد ذكرنا أن الاشهاد يراد به تحميل الشهادة كقوله ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ سورة الطلاق ٢ أي احملوا هذه الشهادة على هؤلاء المشهود عليهم

(١) ".

"اشركوا ونحن كنا ذرية لهم بعدهم اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة ولم يكن عندنا ما يبين خطأهم فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم فإذا احتجوا بالعادة الطبيعة من اتباع الاباء كانت الحجة **عليهم الفطرة الطبيعية** العقلية السابقة لهذه العادة الابوية

كما قال صلى الله عليه وسلم

كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه **فكانت الفطرة الموجبة** للاسلام سابقة للتربية التي يحتجون بها وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد حجة في بطلان الشرك لا يحتاج ذلك إلى رسول فانه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا

وهذا لا يناقض قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ سورة الاسراء ١٥ فإن الرسول يدعو إلى التوحيد لكن أن لم يكن **في الفطرة دليل** عقلي يعلم به إثبات الصانع لم يكن في مجرد الرسالة حجة عليهم فهذه الشهادة على أنفسهم التي تتضمن اقرارهم بأن الله ربهم ومعرفتهم بذلك وان هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم به تقوم حجة الله تعالى في تصديق رسله فلا يمكن أحدا أن يقول يوم القيامة اني كنت عن هذا غافلا ولا أن الذنب كان لابي المشرك دونى لانه عارف بان الله ربه لا شريك له فلم يكن معذورا في التعطيل ولا الاشراك بل قام به ما يستحق به العذاب

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٨٧/٨

". (١)

"الفعل محمود ومذموم ودل على انه لا يعذب احدا إلا بعد ارسال رسول والله سبحانه أعلم

وقال الشيخ أبو محمد بن عبد البصري في كتابه في اصول السنة والتوحيد فصل في الخلق **على الفطرة قال** وخلق الله الخلق **على الفطرة وهو** قوله سبحانه ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ سورة الروم ٣٠ وهي الإقرار له بالربوبية مع معرفة الوحدانية وذلك انه سبحانه خلق الخلق على علم منه بهم مشاهد لما يؤول أمرهم وعواقبهم اليه فخلقهم على ما علم منهم وشاء غير مؤمنين ولا كافرين صبغة بل مقرين عارفين لا موحدين ولا جاحدين وكذلك قد روى في الاثر يقول الله تعالى خلقت خلقي حنفاء مقرين لا منكرين ولا موحدين وذلك إثبات ونفي الجبر فثابت في نظره وعلمه عامة عواقبهم وله التحكم فيهم وهو اعدل من أن يضطرهم إلى كفر وغيره فيبطل بذلك الكسب واذا بطل الكسب بطل التكليف والامتحان إذ التكليف لا يكون جبلا ولا يقع اضطرارا وجبرا ولا يكون إلا اختيارا إذ قد امروا بها وانزل الكتب وارسل الرسل وكل

". (٢)

"ما منه حق غير عابث عدل غير ظالم عالم لا يخفي عليه شيء شاء لم يزل يشاء أن يثيبهم ويعاقبهم على افعال تكون كسبا لهم

وهو عادل في عباده ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ﴾ سورة يونس ٤٤ وقال عز من قائل ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ سورة هود ١٠١ مع ما انه لم يزل مالكا لهم وقادرا عليهم ومتصرفا فيهم لا غناء لهم عنه ولا محيص لهم منه فخلقهم عز وجل **على الفطرة كما** اخبر وخلق الاعمال كما ذكرنا ولم يضطر احدا إلى شيء من ذلك ولو خلقهم كفارا صبغة لما قال لهم ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾ سورة البقرة ٢٨ إذ لا يليق بالحكيم أن يخلق صبغة ويغير نفس ما خلق من غير كسب

وقال سبحانه ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ﴾ سورة فصلت ٩ ولو خلقه كافرا لما صح منه الإيمان وكان معذورا مدليا بحجته والله تعالى يقول ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ سورة الروم ٣٠ وكان ذلك تكليف ما لا يطاق كما أن يصرف الاسود فيقال له ابيض والابيض اسود وذلك مستحيل من حكيم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٩١/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٩٤/٨

واما قوله سبحانه ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾

(١) ".

"سورة التغابن ٢ يعني انه خلق الكل وقد اعترفوا له بذلك فمنهم من شكر خالقه واعترف له بالنعم وبالاخراج من العدم إلى الوجود فحقق فعله وقبل من رسله ووحد ربه ومنهم من كفر ولم يشكر خالقه واشرك به مالا يجوز له وكذب برسله فصار كافرا بفعله

وقد روى نحو من هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

كل مولود يولد **على الفطرة حتى** يعرب عنه لسانه فإذا اعرب عنه لسانة فإما شاكرا وإما كفورا

وقد قال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ سورة البقرة ١٥٢ فلما امتثل ذلك قوم وعدل عنه آخرون كانوا هم المرادين من قوله ﴿ فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ سورة التغابن ٢

وقد قال سبحانه في حال المؤمنين ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ سورة الحجرات ٧ فأخبر عنه فعل ذلك بهم بعد ما خلقهم ولم يقل خلقكم مؤمنين وكره اليكم الكفر فدل على انه لم يفعل بالكافر ما فعل بالمؤمن وذلك ابلغ دليل على انهم لم يخلقوا صبغة كافرين ولا مؤمنين

(٢) ".

"

إلى أن قال وقد رأينا من كان على الكفر برهة ثم آمن ومن كان مؤمنا ثم كفر ولو كان ذلك صبغة لما انتقلوا ولما كان من الكسب صح عليه النقلة والتحويل وقد قال تعالى ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ﴾ سورة آل عمران ٨٦ فأضافه اليهم حقيقة

وقال ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ سورة المنافقون ٣ ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا ﴾ سورة يونس ٩٨ إلا ترى انهم لما لم يخلقوا صبغة كفارا نفعهم ايمانهم

ولما قال فرعون آمنت لم ينفعه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٩٥/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٩٦/٨

وقد أشفى في الحديث بما فيه مقنع بقوله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهو إجماع المسلمين أن الكافر لا يعاقب ويجلد على ما خلق إنما يعاقب ويجلد على نيته وكسبه وهو موضع ايثارهم لما نهاهم عنه على ما أمرهم به من الإيمان فكان تكذيبه لهم على كسب اكتسبوه وفعل فعلوه ونهى ارتكبوه وامر خالفوه وهو ما أحدثوه لا شيء جبلوا عليه ولا اضطروا له ولا خلقوا مجبولين عليه إذ لو خلقهم كفارا لكانوا إلى ذلك مضطرين ولم يقل بذلك أحد من المسلمين إلا ترى انه لما خلقهم على معرفة لم يصح لهم ولم يقع غير ذلك ولم يثابوا على ذلك اعني معرفة الربوبية وهي الفطرة ووجدنا الكفر يصح النقل عنه إلى

" (١) .

"

مجازا واعمالهم لا صنع لهم فيها فهو اخس القدرية واعتى المجبرة وهو الغالي في دين الله المرجئ المحيل بمعاصيه على ربه وبفجوره على من تقدس عن كسبه بل تنزه عما يقول الظالمون ولم يزل عليما شائيا حكيما عادلا متفضلا منصفا محققا مجبرا خالقا آمرا ناهيا غير عابث ولا تارك لأمورهم سدى ولا لها مهملا فخلق الكافر على الفطرة وخلق كفره وشاءه في ملكه ولم يجبره عليه ولا اضطره اليه ولم يتوله بل تبرأ منه وتركه معه ونهاه عن اعتقاده والتلبس به وبفعاله وجعل له قدرة واستطاعة على كسبه وتركه مع هواه فما دخل تحته واعتقده في نفسه واتصل به اختاره واحبه كان كما ذكرنا في الجمع والتفرقة والخلقة والكسب فصار بما اعتقد واكتسب كافرا وسمى فاجرا ولا هو لنفسه خالقا ولا لكفره مخترعا بل له مكتسبا وبه اجتمع ففارق الإيمان والاحسان الذي أمر بمواصلتهما فصار لذلك مجانبا وخالط الكفر فصار فيه والجا فتوجه نحوه التهديد ولزمه الوعيد فألزمه ما اكتسب ورده إلى ما علم وادخله في وعيده واستحق عقوبته وخلده بنيته ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ سورة فصلت ٤٦

وقد قال صلى الله عليه وسلم

يقول الله عز وجل خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وهذا نص من صاحب الشريعة جلي واضح لا شبهة فيه يسفر عن ايضاح ما اوردناه حنفاء عارفين على فطرته

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٩٧

". (١)

"وهي معرفة ربوبيته والاقرار بوحدانيته لا يقع بذلك كفر ولا ايمان بل ذلك عليهم طارئ بالحكم الجاري فخلق الكل **على الفطرة وامر** الكل بالايمان لصحة الدعوة وعموم النصيحة واقدر الكل على ما أمر واراد

قلت فهذا الكلام يوافق قول من قال خلقهم **على الفطرة التي** هي المعرفة والاقرار بالصانع وان ذلك لا يصير به العبد مؤمنا ولا كافرا وقد ابطل قول من يقول انهم خلقوا على الكفر والايمان وهو ظاهر القول الذي تقدم عن طائفة من العلماء وصاحب هذا الكلام يقول الذي خلقوا عليه من المعرفة والاقرار لا يمكن تغييره وهذا موافق لقول من قال لا تبديل لخلق الله انها بمعنى الخبر لكن ذاك يقول انهم لا يخلقون إلا **على الفطرة لا** يبدل الخلق فيخلقون على غير ذلك

وصاحب هذا الكلام يقول لا يبدل الخلق بعد ذلك أي لا يمكن أن يصيروا غير عارفين مقرين بالخالق بل هذه المعرفة والاقرار أمر لازم لهم وهو يقول كل ما خلق عليه العبد فلا يمكن انتقاله عنه وهو يثبت القدر وان الله خالق افعال العباد وينكر أن يكونوا جبلوا على ذلك واضطروا اليه أو جبروا عليه

فأما الكلام في الجبر فهو مبسوط في غير هذا الموضع وقد بينا أن مذهب الأئمة كالاوزاعي والثوري واحمد بن حنبل وغيرهم انهم بنكرون إثبات الجبر ونفيه معا ومذهب الزبيدي وطائفة نفي الجبر

". (٢)

"وانكار اثباته فقط وهو موافق لهذا الكلام

واما ما حكاه عن احمد ونحوه أن الله لا يجبر على طاعة ولا معصية فهو حكاه بحسب ما بلغه واعتقده والمنصوص الصريح عنه الانكار على من قال جبر وعلى من قال لم يجبر

وفي الجملة الكلام في هذا الباب له موضع آخر والمقصود هنا ما ذكره في **تفسير الفطرة وانه** فسر ذلك بأن الخلق فطروا على المعرفة والاقرار

واما قوله أن ذلك ليس بايمان وان ذلك لا يمكن تحويله فقد قدمنا الكلام على ذلك وبينا أن النصوص تدل على أن ما ولدوا عليه يتغير وان كان ذلك بقضاء الله وقدره كما تغير الشاة المولودة سليمة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٥٠٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٥٠١

بجدع الانف والاذن والمقصود هنا كلامه في أن المعرفة بالصانع فطرية ضرورية وقد بسط ذلك بسطا مستوفيا في أول كتابه

وهذا الشيخ أبو محمد بن عبد البصري المالكي طريقته طريقة أبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي وامثالهما من المنتسبين إلى السنة والمعرفة والتصوف واتباع السلف وائمة السنة والحديث كمالك وسفيان الثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي واحمد ابن حنبل وأمثالهم وكذلك ينتسبون إلى سهل بن عبد الله التستري وامثاله من الشيوخ

". (١)

"

وتكلم على هذه الاية وعلى قوله ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ سورة الأنبياء ٢٢ بما يناسب ذلك إلى أن قال قال سبحانه ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء ﴾ سورة الروم ٢٨

وقال سبحانه ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ﴾ الاية سورة الزمر ٢٩

وقال ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ﴾ سورة النحل ٧٥ مثلا لمن عبد غيره إذا ضرب العبد مثلا لمن عبد من دونه لأنه ذليل عاجز مفتقر مدبر مملوك لا يقدر على شيء لا نفعا ولا ضرا ولا خلقا ولا أمرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ومن رزقناه جعله مثلا يستدل به على توحيده وكمال ربوبيته لأنه الواسع الجواد القادر الرازق للعباد سرا وجهرا فضرب الله سبحانه لهم الامثال ليوبخهم ويريهم عجزهم فيما اضافوا اليه من الشركاء مع اقرارهم بمعرفة ربوبيته تعالى الله عما يشركون فعز من لم يشارك في قدرته وجل من لم يرام في وحدانيته وتعظم من تفرد بالربوبية فجل أن يكون له شريك في خلقه

إلى أن قال فخلقهم **على الفطرة وبعث** اليهم السفراء وعلمهم العلم وركب فيهم العقل بالفكر فالبفطرة عرفوه وبالوسائل عبدوه فلولا الله سبحانه ما عرفناه من طريق ربوبيته ولولا ارسال الرسول مع ما

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥٠٢/٨

". (١)

"

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الأدلة نوعان اقيسة وآيات فأما الاقيسة فلا تدل إلا على معنى كلي لا تدل على معنى معين

فإذا قيل هذا محدث وكل محدث فله محدث قديم أو كل ممكن فلا بد له من واجب فإنما يدل على قديم واجب الوجود بنفسه لا يدل على عينه بل نفس تصور هذا لا يمنع من وقوع الشركة فيه فإذا قدر انه عرف انه واحد لا يقبل الشركة فإنه لم تعرف عينه فلا بد أن تعرف عينه بغير هذه الطريق والايات تدل على عينه لكن كون الاية دليلا على عينه مشروطة بمعرفة عينه قبل إذ لو لم تعرف عينه لم يعرف أن هذه الاية مستلزمة لها

فعلم انه **في الفطرة معرفة** بالخالق نفسه بحيث يميز بينه وبين ما سواه كما ذكره أبو محمد بن عبد وغيره ولهذا كل من تطلب معرفته بالدليل فلا بد أن يكون مشعورا به قبل هذا حتى يطلب الدليل عليه أو على بعض احواله

واما ما لا تشعر به النفس بوجه فلا يكون مطلوبا لها واذا كان مطلوبا لها فلا يمكن أن يستدل عليه بشيء حتى يعلم انه يلزم من تحقق

". (٢)

"وآياته الفعلية التي خلقها في الانفس والآفاق تدل عليه تحصل بها التبصرة الذكرى وان كان الرب تعالى قد **عرفته الفطرة قبل** هذا ثم حصل لها نوع من الجهل أو الشك أو النسيان ونحو ذلك

ومما ينبغي أن يعرف أن علم الانسان بالشيء وتصوره له شيء وعلمه بأنه عالم به شيء وعلمه بأن علمه حصل بالطريق المعين شيء ثالث وكذلك ارادته وحبه شيء وعلمه بأنه مريد محب له شيء وكون الارادة والمحبة حصلت بالطريق المعين شيء ثالث

فالمتوضئ والمصلى والصائم يحصل في قلبه نية ضرورية للفعل الاختياري لا يمكنه دفع ذلك عن نفسه وان لم يتكلم بالنية ثم قد يظن أن النية إنما حصلت بتكلمه بها وهو غالط في ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥٢٨/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥٣٢/٨

وكذلك قد يحصل له علم ضروري بمخبر الأخبار المتواترة ثم ينظر في دلالة الخبر فيظن أن العلم الحاصل له لم يحصل إلا بالنظر وهو قد كان قبل النظر عالما وقد يقال أن النظر وكد ذلك العلم أو احضره في النفس بعد ذهول النفس عنه وهذا مما يبين لك أن كثيرا من النظار يظنون انهم لم يعرفوا الله بالطريق المعين من النظر الذي سلكوه وقد يكون صحيحا وقد يكون فاسدا فإن كان فاسدا فهو لا يوجب العلم وهم يظنون أن العلم إنما حصل به وهم غالطون

". (١)

"

بل العلم قد حصل بدونه وان كان صحيحا فقد يكون مؤكدا للعلم ومحضرا له ومبينا له وان كان العلم حاصلا بدونه

هذه الأمور من تصورها حق التصور تبين له حقيقة الأمر في اصول العلم وعلم أن من ظن أن الأمر الذي يعرفه عامة الخلق وهو اجل المعارف عندهم من حصره في طريق معين لا يعرفه إلا بعضهم كان جاهلا لو كان ذلك الطريق صحيحا فكيف إذا كان فاسدا

ومما يوضح الكلام في هذا أن الذكر المشروع لله هوكلام تام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر

فأما مجرد ذكر الاسم المفرد وهو قول القائل الله الله فلم تأت به الشريعة وليس هو كلاما مفيدا إذ الكلام المفيد أن يخبر عنه بإثبات شيء أو نفيه واما التصور المفرد فلا فائدة فيه وان كان ثابتا **بأصل الفطرة وان** كان المعلوم بالفطرة ما تدخل فيه امور ثبوتية وسلبية درء تعارض العقل والنقل

". (٢)

"متعددة ضرورية ونظرية كما قد بسط في موضع آخر وبين أن معرفة الصانع فطرية ضرورية معرفته بعينه وأن السماوات والأرض وما بينهما مخلوقة له حادثة بعد أن لم تكن وأن كل مولود يولد **على الفطرة وأن**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥٣٤/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥٣٥/٨

الله خلق عباده حنفاء ولكن شياطين الإنس والجن أفسدوا فطرة بعض الناس فعرض لهم ما أزاحهم عن **هذه الفطرة**

ولهذا قالت الرسل ﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ سورة إبراهيم ١٠

ولما قال فرعون لموسى على سبيل الإنكار لما قال موسى إني رسول من رب العالمين قال ﴿ وما رب العالمين ﴾ سورة الشعراء ٢٣ قال له موسى ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ سورة الشعراء ٢٤ ٢٨

ولما قال لموسى وهارون ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴾ سورة الشعراء ١٦

قال ابن رشد وأما المقدمة الثانية وهي القائلة إن الجائز

". (١)

"

والقاضي أبو بكر يذكر ما كان يشبهها في الأصلين من استدلاله على افتقار المحدث إلى محدث بالتخصيص والاستدلال على ذلك بالقياس

والأشعري أحسن استدلالا منه مع أنهم كلهم سلكوا سبيل المعتزلة في هذا الأصل وسلموا كلامهم وهي طريقة أثبتوا فيها الجلي بالخفي وأرادوا بها إيضاح الواضح كمن يقرر القضايا البديهية بقضايا نظرية يسندها إلى قضايا أخرى بديهية وذلك أن العلم بأن المحدث لا بد له من محدث أبين في العقل من العلم بأن ما جاز حدوثه لم يكن بالحدوث أولى من ألا يحدث لولا شيء اقتضى حدوثه وبأن ما وجب حدوثه وجب في كل حال

فإن هذه القضايا وإن كانت حقا وهي ضرورية فالعلم بأن المحدث لا بد له من محدث أبين منها والعقل يضطر إلى التصديق بهذه أعظم مما يضطر إلى التصديق بتلك وتصور طرفي هذه القضية أبده في العقل من تصور تلك ولا تعرض هذه القضية وتلك على **سليم الفطرة إلا** صدق بهذه قبل تلك

وهذا كقول أبي المعالي ومن وافقه على طريقه إذ أثبت حدوث العالم فالحادث جائز وجوده وكل وقت صادفه وقوعه كان من المجوزات تقدمه عليه بأوقات ومن الممكنات استئخار وجوده عن وقته بساعات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٢٢/٩

فإذا وقع الوجود الجائز بدلا عن استمرار العدم المجوز قضت العقول ببداهتها بافتقاره إلى مخصص خصصه بالوقوع وذلك أرشدك

". (١)

"دينهم الحق وما أدخلوه فيه من البدع وأن ذلك إما أن يكون باطلا وإما أن يكون حقا طولوه بما لا ينفع بل قد يضر واستدلوا على الجلي بالخفي بمنزلة من يحد الشيء بما هو أخفى منه

وإذا كانت الحدود والأدلة إنما يراد بها البيان والتعريف والدلالة والإرشاد فإذا كان المعروف المعلوم **في الفطرة ويجعل** خفيا يستدل عليه بما هو أخفى منه أو يدفع ويذكر ما هو نقيضه ومخالفه وكانت هذه طرق السلف والأئمة التي دل عليها الكتاب والسنة وهي الطرق الفطرية العقلية اليقينية الموافقة للنصوص الإلهية تبين أن من عارض تلك الطرق الشرعية معقولها ومنقولها بمثل هذه الطرق البدعية بل عدل عنها إليها كان في ضلال مبين كما هو الواقع في الوجود والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ سورة يونس ٢٥

وأما طريق شيوخ المعتزلة التي ذكرها أبو الحسين وعدل عنها فهي أبعد وأطول والأسولة عليها أكثر كما لا يخفى ذلك مع أن هذه الطرق لم تتضمن كذبا ولا باطلا من جهة أنها إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه أو من جهة أنها قضايا كاذبة بل من جهة الاستدلال على الشيء بما هو أخفى منه بخلاف كلامهم في الترجيح بلا مرجح والحدوث بلا سبب وإبطال دوام الحوادث فإن منازعيهم يقولون كلامهم في ذلك

". (٢)

"

وإلى **هذه الفطرة الأولى** المغروزة في طباع البشر الإشارة بقوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم ﴾ إلى قوله ﴿ قالوا بلى شهدنا ﴾ سورة الأعراف ١٧٢

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٦١/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٧١/٩

ولهذا يجب على كل من كان وكده طاعة الله تعالى في الإيمان به وامتثال ما جاءت به رسله أن يسلك هذه الطريقة حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بربوبيته مع شهادته لنفسه وشهادة ملائكته له

كما قال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ سورة آل عمران ١٨

قال ودلالة الموجودات من هاتين الجهتين عليه هو التسبيح المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ سورة الإسراء ٤٤

قلت في هذه الآية وآية أخذ الميثاق من الكلام ما ليس هذا موضعه وكذلك دعواه انحصار الطريق في هذين النوعين

". (١)

"والماء إلى فوق ففي طبعه الهوى والنزول فهي تابعة للقسرية فكل من الطبيعية والقسرية تابعة لغيرها فمبدأ الحركات كلها هي الإرادية وكل إرادة لا يكون الله هو المراد المقصود بالقصد الأول بها كانت ضارة لصاحبها مفسدة له غير نافعة ولا مصلحة له

وليس ما يستحق أن يكون هو المحبوب لذاته المراد لذاته المطلوب لذاته المعبود لذاته إلا الله كما أنه ليس ما هو بنفسه مبدع خالق إلا الله فكما أنه لا رب غيره فلا إله إلا هو فليس في المخلوقات ما يستقل بإبداع شيء حتى يكون ربا له ولكن ثم أسباب متعاونة ولها فاعل هو سببها

وكذلك ليس في المخلوقات ما هو مستحق لأن يكون المستقل بأن يكون هو المعبود المقصود المراد بجميع الأعمال بل إذا استحق أن يحب ويراد فإنما يراد لغيره وله ما شاركه في أن يحب معه وكلاهما يحب أن يحب لله لا يحب واحد منهما لذاته إذ ليست ذاته هي التي يحصل بها كمال النفوس وصلاحها وانتفاعها إذا كانت هي الغاية المطلوبة

والله فطر عباده على ذلك وهو أعظم من كونه فطرهم على حب الأغذية التي تصلحهم فإذا تناولوا غيرها أفسدتهم فإن ذلك وإن كان كذلك ففي الممكن أن يجعل في غير ذلك ما يغذيهم وأما **كون الفطرة يمكن** أن تصلح على عبادة غير الله فهذا ممتنع لذاته كما يمتنع لذاته

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٣٣٠

". (١)

"أن يكون للعالم مبدع غير الله قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ سورة الروم ٣٠ الآية

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

والفطر تعرف هذا أعظم مما تعرف ما يلائمها من الطعام والشراب لكن قد يحصل للفطرة نوع فساد فيفسد إدراكها كما يفسد إدراكها إذا وجدت الحلو مرا وهذا هو أعرف المعروف الذي أمر الله الرسل أن تأمر به والشرك أنكر المنكر الذي أمرهم بالنهي عنه والشرك لا يغفره الله فإنه فساد لا يقبل الصلاح

ولهذا وجب التفريق بين الحب مع الله والحب لله فالأول شرك والثاني إيمان

قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ سورة البقرة ١٦٥ فليس لأحد أن يحب شيئا مع الله

". (٢)

"سائر الأدلة الشرعية والعقلية فإن ثبوت العلم بكل شيء مما هو معلوم بالاضطرار من دين المرسلين ومما هو ثابت بقواطع البراهين

فإذا كان مستلزما لإبطال هذين الأصلين اللذين هما من البدع التي أحدثها الجهمية كان هذا من الأدلة الدالة على اتفاق الحق وتناسبه وتصديق ما جاء به الرسول وموافقته لصريح العقل وأنه لا اختلاف فيما جاء من عند الله بخلاف الأقوال المخالفة لذلك فإنها كلها متناقضة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٤/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٥/٩

وتدبر حجج النفاة فإنها كلها من أسقط الحجج كالقول الذي يقوله بعض الفلاسفة إن العلم ليس بزيادة شرف فلا يكون من يعلم أشرف ممن لا يعلم ويقول إنه إذا كان عالما فقد جعل ناقصا بذاته مستكملا بغيره

أما الأول فمن القضايا البديهية المستقرة في الفطر أن الذي يعلم أكمل من الذي لا يعلم كما أن الذي يقدر أكمل من الذي لا يقدر

ولهذا يذكر سبحانه هذه القضية بخطاب استفهام الإنكار الذي يبين أنها مستقرة في الفطر وأن النافي لها قال قولا منكرا **في الفطرة**

كقوله تعالى ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ سورة الزمر ٩ فإنه يدل على أنه لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم ويدل على أن التسوية منكرة في الفطر تنكر على من سوى بينهما

كقوله تعالى ﴿ قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ﴾ سورة الأنعام ١٤٣

". (١)

"

ولكن لولا القدر المشترك لما كان في الكلام فائدة ثم القدر المميز يحصل بالإضافة فيعلم أنه نور ليس كالأنوار موجود ليس كالموجودين حي لا كالأحياء

وهذا الجواب هو جواب أهل التحقيق من المثبتين الذين ينفون علم العباد بماهيته وكيفيته ويقولون لا تجرى ما هيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال ويقولون الاستواء معلوم والكيف مجهول ويقولون حجب الخلق عن معرفة ماهيته ونحو ذلك

وأما من نفى ثبوت هذه الأمور في نفس الأمر فقال لا ماهية له فتجري في مقال ولا كيفية له فتخطر ببال كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم من أصحاب الفقهاء الأربعة فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الجواب الطبيعي وأرادوا **تغيير الفطرة الإنسانية** كما غيروا النصوص الشرعية وإنما الكمال بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة والرسل صلوات الله عليهم بعثوا **بتقرير الفطرة وتكميلها** لا **بتغيير الفطرة وتحويلها**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/١٥٣

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يجاب عن سؤال السائل بما هو بما يجاب إذا سئل عن الأنواع فإن الله لا مثل له سبحانه وإذا كان المخلوق الذي انحصر نوعه في شخصه كالشمس مثلا لا يمكن ذلك فيها فالخالق سبحانه أولى بذلك

وإذا كان تعريف عين الشيء لا يمكن إلا بمعرفته أو معرفة نظيره

". (١)

"

والاسم الذي يسمى به غيره وهو عند الإطلاق ينصرف إليه كالملك والعزيز والحليم يختص بكماله وإطلاقه فلا يشركه في ذلك غيره

والاسم الذي يسمى به غيره ولا ينصرف إطلاقه إليه كالموجود والمتكلم والمريد يختص أيضا بكماله وإن لم يختص بإطلاقه

ومن المعلوم أن الأسماء التي يختص بها بكل حال أو عند الإطلاق أو تنصرف إليه بالنية يجب أن يعلم المتكلم بها اختصاصه بها وإلا لم يخصه بها وتخصيصه بها مستلزم لمعرفة ما يختص به ويمتاز به غيره فلا بد أن يكون في القلوب من المعرفة ما يختص به ويمتاز به عن غيره

وهذه المعرفة لا تكون بقياس كلي مدلوله معنى كلي إذ الكلي لا تخصيص فيه بل قد يحصل عن قياسين مثل أن يعلم أن كل محدث له محدث وأن المحدث للمحدثات ليس هو شيئا من هذا العالم ولا يكون اثنين فيعلم أنه واحد خارج عن العالم ومع هذا فإشارة القلوب إلى عينه خارجة عن موجب قياس الكلي

وهكذا سائر المعلومات لا يمكن أن تعلم بمجرد القياس الكلي غير معينة في الخارج وقد بسط الكلام على هذا في موضعه

ولهذا إذا ذكر الله توجهت القلوب إليه سبحانه لما في الفطرة من معرفته أبلغ مما توجه إلى معين غيره إذا ذكر فإذا قيل الشمس أو

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٧/١٠

". (١)

" بينات كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ولهذا تغلب عليهم الحيرة والارتياب والشك والاضطراب وقد صارت تلك الشبهات عندهم مقدمات مسلمة يظنونها عقليات أو برهانيات وإنما هي مسلمات لما فيها من الاشتراك والاشتباه فلا تجد لهم مقدمة إلا وفيها ألفاظ مشتبهة فيها من الإجمال والالتباس ما يضل بها من يضل من الناس وكيف تكون النتيجة المثبتة بمثل هذه المقدمات دافعة لتلك القضايا الضروريات

وهذا الذي قد نبه عليه في هذا المقام كلما أمعن الناظر فيه وفيما تكلم أهل النفي فيه ازداد بصيرة ومعرفة بما فيه فإنه لا يتصور أن يبني النفي على مقدمات ضرورية تساوى في جزم العقل بها مقدمات أهل الإثبات الجازمة لفساد نتيجتهم وهو قولهم إنه موجود لا داخل العالم ولا خارجه جزما لا يساويه فيه جزم العقل بالمقدمات التي تبنى عليها هذه النتيجة الثابتة امتنع أن يزول ذلك الجزم العقلي الضروري بنتيجة ليست مثله في الجزم

وهذا الكلام قبل النظر في تلك المقدمات المعارضة لهذا الجزم هل هي صحيحة أو فاسدة وإنما المقصود هنا أنه لا يصح للمناظرة ولا يقبل في المناظرة أن يعارض هذا الجزم المستقر **في الفطرة بما** يزعمه من الأدلة النظرية وهذا المقام كاف في دفعه وإن لم تحل شبهاته كما يكفي في دفع السوفسطائي أن يقال إنما تنفيه قضايا ضرورية فلا يقبل نفيها بما يذكر من الشبهة النظرية

قال أبو عبدالله الرازي

الثاني أنا إذا عرضنا على العقل وجود موجود لا يكون حالا في العالم ولا مباينا ." (٢)

" والآخرين وجميع المؤمنين الباقين **على الفطرة الصحيحة** دع ما قد تنازع فيه من ذلك فإنهم لا يطلقون على الله هذا الإطلاق الذي ذكره وإن كان فيهم وفي سائر الطوائف من نص بالصفات التي يطلق عليها هو وأمثاله أنها أجزاء وأبعاض لكنهم لا يطلقون الألفاظ الموهمة المحتملة إلا إذا نص الشرع فأما ما لم يرد به الشرع فلا يطلقونه إلا إذا تبين معناه الصحيح الموافق للشرع ونفي المعنى الباطل كالفظ الأجزاء والأبعاض كما سنذكره إنشاء الله وما علمت أحدا من الحنابلة من يطلقه من غير بيان بل كتبهم مصرحة بنفي ذلك المعنى الباطل ومنهم من لا يتكلم في ذلك بنفي ولا إثبات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٢٨٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/١١

فلا ريب أن الكتب الموجودة بأيدي الناس تشهد بأن جميع السلف من القرون الثلاثة كانوا على خلاف ما ذكره وأن الأئمة المتبوعين عند الناس والمشايخ المقتدى بهم كانوا على خلاف ما ذكره وهذه أئمة المالكية والشافعية والحنفية وأهل الحديث والصوفية على ذلك بل أئمة الصفاتية من الكلابية ." (١)

" بنفسه حيا قيوما فإن ما كان قيوما واجب الوجود بنفسه لم تكن ذاته قابلة للعدم إذ الذات القابلة للعدم تقبل العدم والوجود فإن كانت ممكنة لا تقبل الوجود إن كانت ممتنعة والممكن لذاته والممتنع لذاته لا يكون واجبا لذاته وكذلك أيضا لو قبل التفرق والمرض ونحو ذلك من التغيرات والاستحالات التي هي مقدمات للعدم والفناء وأسبابه لم يكن حيا قيوما صمدا واجب الوجود بنفسه لأن هذه الأمور توجب زوال ما هو داخل في مسمى ذاته وعدم ذلك مما هو صفة له أو جزء ولو زال ذلك لم تكن ذاته واجبة الوجود بل كان من ذاته ما ليس بواجب الوجود ثم ذلك يقتضي أن لا يكون شيء منها واجب الوجود إذ لا فرق بين شيء وشيء ولهذا كان تجويز هذا عليه يستلزم تجويز العدم عليه لأن ما جاز عليه الاستحالات جاز عليه عدم صورته وفسادتها كما هو المعروف في الأجسام التي يجوز عليها التفرق والاستحالة فهذا وأمثاله مما يعلم به تقديسه وتنزهه عن هذه الأمور التي هي عدم ذاته أو عدم ما هو من ذاته ولهذا كان تنزهه عن ذلك بينا في الفطرة معروفا في العقول للعلم بأنه حق واجب الوجود بنفسه يستحيل عليه ما يناقض ذلك فتبين أن ما ذكره من المساواة وإن كان حقا فلم يذكره على الوجه المحقق ولا ذكر دليله المقرر له بل ذكر شيئا يحتاج إليه مع ما فيه من الإيهام

الوجه الثالث والعشرون أنه لو قال لو جازت عليه هذه الصفات لزم افتقاره إلى خالق آخر أو لزم أن الإمكان والحدوث غير محوج إلى الخالق لكان قد نبه على دليل نفي هذه الأمور وإن كان لم يبينه ويقرره إذ تجويز هذه الأمور إنما يستلزم الافتقار إلى الخالق وكون الإمكان أو الحدوث ليس محوج إلى الخالق إذا تبين أن بهذه الأمور يجب أن يكون محدثا وممكنا وهو ." (٢)

" بين بأدنى تأمل معلوم بالعقل الصريح فليس المحكي عنهم في ذلك إلا ما اتفق العقلاء على نظيره وما هو ثابت معلوم بصريح العقل وإن كان بقية الطوائف بينهم نزاع في ذلك قيل له والحنابلة أيضا بينهم نزاع فمنهم من ينفي هذه الصفات ويوجب تأويل النصوص ومنهم من يجوز التأويل ولا يوجبه ومنهم من

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٢/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٥٩/١

يفوض معنى النصوص مع نفي ومنهم من لا يحكم فيها بنفي ولا إثبات وهذه المقالات هي الممكنة الموجودة في غيرهم

وأما قوله إنهم يصرحون بأنا نثبت هذا المعنى لله على خلاف ما هو ثابت للخلق فلا ريب إنما يثبتونه وإلا لزم التمثيل والتشبيه المنفي بالعقل والشرع لكنهم لا يقولون نثبت معنى الجوارح والأعضاء ولكن نثبت المعاني التي دل عليها الكتاب والسنة والإجماع

قوله فأثبتوا لله وجها بخلاف وجوه الخلق وبدا بخلاف أيدي الخلق ومعلوم أن اليد والوجه بالمعنى الذي ذكروه مما لا يقبله الوهم والخيال فإذا عقل إثبات ذلك على خلاف الوهم والخيال فأي استبعاد في القول بأنه تعالى موجود وليس بداخل العالم ولا خارج العالم وإن كان الوهم والخيال قاصرين عن إدراك هذا الموجود

يقال له أكثر ما في هذا أنهم أثبتوا ما لا يعلمون حقيقته لقيام الأدلة الشرعية عليه وهذا لا محذور فيه كما أثبتوا ما أخبر به من الجنة والنار وما فيهما والملائكة وصفاتها وهم لم يعلموا حقيقة ذلك فهم عن معرفة حقيقة الخالق أبعد وأما إثبات ما ليس بداخل العالم ولا خارجه فإنه ممتنع **في الفطرة البديهية** والفرق ". (١)

" في هذه الدعوى أئمة السلف وأهل الحديث والفقه والتصوف وطوائف من أهل الكلام من أصحابه وغيرهم فإن عندهم دلالة النصوص على ذلك قطعية وأما الأخبار فمذهب أكثر أصحابه أنها إذا تلقيت بالقبول أفادت العلم كما تقدم ذكرهم لذلك عن الأستاذ أبي إسحاق وهذا الذي ذكره أبو بكر ابن فورك هو معنى ما ذكره الأشعري في كتبه عن أهل السنة والحديث وذكر أنه قوله وأن الإيمان بموجب هذه الأخبار واجب وإذا كان يمكن أن يكون له صفات لا تعلم بمجرد العقل وكان كثير من المثبتين لهذه الصفات الخبرية من أئمته ومن الحنبلية وغيرهم يثبتون ما لا يعلمون معناها ومالا يعلمون حقيقته ولم يثبتوا ما يعلمون انتفاء ظهر ما تقدم من الجواب من الفرق بين ما يعلم امتناعه وهو وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه وبين ما لا تعلم حقيقته كهذه الصفات عند هؤلاء

الرابع والستون أن ما أثبتوه من الصفات جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وقد يقول طوائف أن العقل أيضا يوجب ثبوت أصل هذه الصفات وإن لم يثبتها مفصلة كما أنه في العلو يعلم علوه لكن لا يعلم وما نفوه من كون الخالق ليس داخل العالم ولاخارجه جاء فيه الأثبات الكتاب والسنة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٧٧/١

واتفق عليه سلف الأئمة وأئمتها مع حكم العقل الصريح به فهم في كلا الموضعين آمنوا بالله وكتبه ورسله وأقروا ما شهدت **به الفطرة وما** علمه العقل الصريح وأقروا بموجب السمع والعقل ولم يكونوا من أصحاب النار الذين يقولون لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ١٠٦٧ فأين هذا ممن خالف صريح العقل بإثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه وخالف مع ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها ونفى مع ذلك ." (١)

" فإن أراد به المعنى الأول فليس هو الذي حكاه عن الحنبلية فإنه قال وأما الحنابلة الذين التزموا الأجزاء والأبعاض فهم أيضا معترفون بأن ذاته مخالفة لسائر الذوات إلى أن قال وأيضا فعمدة مذهب الحنابلة أنهم متى تمسكوا بآية أو خبر يوهم ظاهره شيئا من الأعضاء والجوارح صرحوا بأنا نثبت هذا المعنى لله على خلاف ما هو ثابت للخلق فأثبتوا لله وجها بخلاف وجوه الخلق ويدا بخلاف أيدي الخلق ومعلوم أن اليد والوجه بالمعنى الذي ذكروه عما لا يقبله الوهم والخيال فإذا كان هذا قوله فمعلوم أن هذا القول الذي حكاه هو قول من يثبت هذه بالمعنى الذي سماه هو أجزاء وأبعاضا فتكون هذه صفات قائمة بنفسها كما هي قائمة بفسها في الشاهد كما أن العلم والقدرة قائم بغيره في الغائب والشاهد لكن لا تقبل التفريق والانفصال كما أن علمه وقدرته لا تقبل الزوال عن ذاته وإن كان المخلوق يمكن مفارقة ما هو قائم به وما هو منه يمكن مفارقة بعض ذلك بعضا فجوزا ذلك على المخلوق لا يقتضي جوازه على الخالق وقد علم أن الخالق ليس مماثلا للمخلوق وأن هذه الصفات وإن كانت أعيانا فليست لحما ولا عصبا ولا دما ولا نحو ذلك ولا هي من جنس شيء من المخلوقات

فإذا كان هذا القول الذي ذكر تنفي الحنابلة وإن هذا هو الظاهر فلو كان هذا مما لا يقبله الوهم والخيال لوجب نفرة من سمع القرآن والحديث عن ذلك من الكفار والمؤمنين ولوجب أن يكون المشركون يقدحون فيه بأنه جاء بما **تنكره الفطرة ولوجب** أن المؤمنين عوامهم وخواصهم يكون عندهم يفي ذلك شبهة وإشكالا حتى يسألوا عن ذلك كما وقعت الشبهة عند من سمع ذلك واعتقد نفي هذا المعنى إذ يرى ذلك متناقضا ولوجب أن علماء السلف وأئمة الأمة يتكلمون بما ينفي هذا المرض ويزيل هذه الشبهة ويكون ذلك من أعظم الطاعات بل من ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٨٧/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٩٢/١

" أكبر الواجبات فلما لم يمكن شيء من ذلك علم أن هذا الذي ذكرته عنهم ليس هو مما ينكره الوهم والخيال

ألا ترى أن ما نقوله من أنه ليس بداخل العالم ولا خارجه متى صرحت به لجمهور الناس تلقوه بالرد والإنكار ولهذا كان الحذاق من أهل هذا القول يتواصون بكتمانه وإخفائه وكان السلف والأئمة في ذلك يفصحون به في المجالس العامة والخاصة وهكذا الأمر فيما قبل شريعتنا فإن التوراة فيها من هذا الباب نحو ما في القرآن وكان موسى عليه السلام يبلغ ذلك لبني إسرائيل تبليغا عاما والأنبياء بعده ولم يكن بنو إسرائيل ينكرون ذلك ولا كان الأنبياء يأمروهم بترك ما فهموه من ذلك فلو كان الوهم والخيال يرد ذلك للعامة لكان يجب أن يكثر في العامة من يرد ذلك وهمه وخياله وإن كان في الخاصة فكذلك فلما لم يوجد في العامة ولا الخاصة من رد ذلك لكونه لا يمكنه أن يتصور خياله ووهمه علم بطلان ما ذكره إذ الذين ينفون ذلك يزعمون أن القياس دل على نفيه

الوجه السبعون أن جميع الناس من المثبتة والنفاة متفقون على أن هذه المعاني التي حكيناها عن خصمك هي التي تظهر للجمهور ويفهمونها من هذه النصوص من غير إنكار منهم لها ولا قصور في خيالهم ووهمهم عنها والنفاة المعتقدون انتفاء هذه الصفاة العينية لم يعتقدوا انتفاءها لكونها مردودة في التخيل والتوهم ولكن اعتقدوا أن العين التي تكون كذلك هو جسم واعتقدوا أن الباري ليس بجسم فنفوا ذلك

ومعلوم أن كون الباري ليس جسما ليس هو مما **تعرفه الفطرة بالبديهة** ." (١)

" ولا بمقدمات قريبة **من الفطرة ولا** بمقدمات بينة **في الفطرة بل** مقدمات فيها خفاء وطول وليست مقدمات بينة ولا متفقا على قبولها بين العقلاء بل كل طائفة من العقلاء تبين أن من المقدمات التي نفت بها خصومها ذلك ما هو فاسد معلوم الفساد بالضرورة عند التأمل وترك التقليد وطوائف كثيرون من أهل الكلام يقدحون في ذلك كله ويقولون بل قامت القواطع العقلية على نقيض هذا المطلوب وأن الموجود القائم بنفسه لا يكون إلا جسما وما لا يكون جسما لا يكون معدوما ومن المعلوم أن هذا أقرب **إلى الفطرة والعقول** من الأول

وإن قال النفاة إن هذا حكم الخيال والوهم فقد اتفقوا على أن الوهم والخيال يثبت الصانع على قول مثبتة الجسم لا على قول نفاته فإذا كان الوهم والخيال يثبته كذلك بإقرار النفاة فكيف تكون هذه الصفات

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٩٣/١

منفية عنه في حكم الوهم والخيال هذا خلاف ما اتفق عليه النفاة والمثبتة بل على هذا التقدير يكون الوهم والخيال مقرا بما قاله أهل الإثبات في الذات والصفات دون ما قاله النفاة وهذا أمر بين لا يتنازع فيه عاقلان

الوجه الحادي والسبعون أن هذا الذي حكيته عن هؤلاء الذين قلت إنهم التزموا الأجزاء والأبعاض غايته أنهم يثبتون ما هو الموصوف الذي تسميه جسما وأنهم لا يجوزون عليه ما يجوز على الأجسام من الفناء والآفات ومضمو ذلك أنه جسم يمتنع عليه أن يوصف بما توصف به سائر الأجسام بل هو مختلف عنها في الحقيقة وكذلك ما ذكرته من أنهم يصرحون متى تمسكوا بآية أو خبر يوهم ظاهره شيئا من الأعضاء والجوارح بأنا نثبت هذا المعنى لله على خلاف ما هو ثابت للخلق فأثبتوا لله وجها بخلاف وجوه الخلق ويدا بخلاف أيدي الخلق فهذا الذي ذكرته غايته أنهم يثبتون ." (١)

" وصفة بنقيض ذلك لكان هذا القول أقرب بل هذا القول الذي اتفق عليه العقلاء من أهل الإثبات والنفي اتفقوا على أن الوهم والخيال لا يتصور موجودا إلا متحيزا أو قائما وهو الجسم وصفاته ثم المثبتة قالوا وهذا حق معلوم أيضا بالأدلة العقلية والشرعية بل بالضرورة وقالت النفاة إنه قد يعلم بنوع من دقيق النظر أن هذا باطل فالفريقان اتفقوا على أن الوهم والخيال يقبل قول المثبتة الذين ذكرت أنهم يصفونه بالأجزاء والأبعاض وتسميهم المجسمة فهو يقبل مذهبهم لا نقيضه في الذات

فصل

التخيل والوهم الصحيح لا يتصور الموجود معدوما فعلم أن **إنكاره الفطرة لذلك** ورد التخيل والوهم له لما فيه من الأمور العدمية كالتناقض الذي فيه لا لعظمته في الوجود والذي يوضح هذا أن كثيرا من الخطباء والقصاص إذا أخذوا يصفون الرب ويعظمونه بهذه الصفات السلبية أخذت العامة الذين لا يفهمون حقيقة ما يقولون وإنما يستشعرون من حيث الجملة أن هذا تعظيم للرب يسبحونه ويمجدونه فلولا أنهم تخيلوا وتوهموا أن هذا السلب متضمن لوجود عظيم كبير وإلا لم يكونوا كذلك فعلم أنهم لم ينكروه لما فيه من الأمور الوجودية بل هم يتخيلون الموجود العظيم في الجملة ولكن إذا فهموا حقيقة هذه الألفاظ وما تشتمل عليه من الأمور العدمية أنكروه حينئذ وردته فطرتهم وذلك لأن السلب والعدم ليس فيه مدح أصلا ولا تعظيم فعلم أنه تعظيم فيها عند من توهمها

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٩٤

ولهذا لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم والصحابة والتابعون يعظمون الرب بشيء من ذلك ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في آثار الأنبياء وسلف الأمة وأئمتها شيء من ذلك بل أعظم ما نقل عن النبي صلى الله عليه و سلم في تعظيم الرب وتمجيده ." (١)

" الخامس أنه إذا عرض **على الفطرة وجود** موجود لا داخل العالم ولا خارجه نفت ذلك وأنكرته وقضت بعدمه وإذا عرض عليها يد ليست جسما كأيدي المخلوقين وعلم ليس عرضا كعلم المخلوقين لم يقض بعدم فهمه ومعرفته أو بعلمه من وجه دون وجه ولهذا **تنفر الفطرة عن** الأول مالا تنفر عن الثاني وتحرير الأمر أن يقال

الوجه السابع والسبعون أن لفظ الجسم والعرض والمتحيز ونحو ذلك ألفاظ اصطلاحية وقد قدمنا غير مرة أن السلف والأئمة لم يتكلموا في ذلك حق الله لا بنفي ولا بإثبات بل بدعوا أهل الكلام بذلك وذموهم غاية الذم والمتكلمون بذلك من النفاة أشهر ولم يذم أحد من السلف أحدا بأنه مجسم ولا ذم المجسمة وإنما ذموا الجهمية النفاة لذلك وغيره وذموا أيضا المشبهة الذين يقولون صفاته كصفات المخلوقين ومن أسباب ذمهم للفظ الجسم والعرض ونحو ذلك ما في هذه الألفاظ من الاشتباه ولبس الحق كما قال الإمام أحمد يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بما يشبهون عليهم

وإنما النزاع المحقق أن السلف والأئمة آمنوا بأن الله موصوف بما وصف به نفسه وصفه به رسوله من أن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ويدين ووجها وغير ذلك والجهمية أنكرت ذلك من المعتزلة وغيرهم

ثم المتكلمون من أهل الإثبات لما ناظروا المعتزلة تنازعوا في الألفاظ الاصطلاحية فقال قوم العلم والقدرة ونحوهما لا تكون إلا عرضا وصفة حيث كان فعلم الله وقدرته عرض وقالوا أيضا إن اليد والوجه لا تكون إلا جسما فيد الله ووجهه كذلك والموصوف بهذه الصفاة لا يكون إلا جسما ." (٢)

" بل عندهم أن علو الله على العرش معلوم بالفطرة الضرورية وقد تواطأت عليه الآثار النبوية واتفق عليه خير البرية ويقولون نفي ذلك تعطيل للصانع معلوم بالضرورة العقلية فلو فرض أن هذا القياس عارضه ما أبطله لم يبطل ما علموه بالفطرة الضرورية من أن الله فوق خلقه وأنه يمتنع كونه لا داخل العالم ولا خارجه ولا يلزم من كون العبد مضطرا إلى العلم بحكم الشيء المعين أن يجعل نقيض ذلك قضية عامة كلية فإن العلم بالمعين الموجود يلزمه نفي النقيض وذلك شيء غير العلم بنفي المطلق الكلي وطوائف من **أهل الفطرة**

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٩٧

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٠٠

الصحيحة والأثبات للشريعة يعلمون أن الله تعالى فوق العالم ولا يخطر بقلوبهم تقدير وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه حتى ينفوه إذ الأقوال المنافية للإيمان لا يجب أن تخطر لكل مؤمن لكن لما حدث من ابتدع هذا النفي تكلم المسلمون في رده تارة ببيان أن الله تعالى فوق خلقه من غير تعرض لغيره وتارة ببيان استحالة نقيض ذلك وتارة ببيان استحالة وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه ومن علم أن الله عز و جل فوق العالم نفى أن يكون لا داخل العالم ولا خارجه وأما هل يمكن وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه فقد يخطر بقلبه وقد لا يخطر

الوجه الثالث أن هذه الحجة المذكورة ليست نظير ما ذكره من حجة الدهرية وذلك أن هؤلاء قالوا الخالق والمخلوق موجودان فكل موجودين فإما أن يكون أحدهما حالا في الآخر أو بائنا عنه وكذلك إذا قيل إما أن يكون أحدهما داخلا في الآخر أو خارجا منه وكذلك إذا قيل إما أن يكون أحدهما متصلا بالآخر مقارنا له أو منفصلا عنه بائنا منه ثم قالوا وليس هو فيه فوجب أن يكون خارجا منه وهذا مقصودهم فنظيره أن يقال الباري والعالم موجودان وكل موجودين فإما أن يكون وجودهما معا وهما متقارنان وإما ." (١)

" عليهم الفلاسفة الدهرية رأوا احتجاجهم بهذه الحجة الضعيفة وكان ذلك مما سلط عليهم المسلمون المثبتون وهذا كما ذكره الإمام أحمد في مناظرة جهم للسمنية

فهكذا أجاب أهل الكلام الذين تكلموا في مناظرة الكفار وأهل الأهواء في المذاهب والحجج بما ليس موافقا للشريعة وما ينكره العقل الصريح فصاروا كمن جاهد الكفار جهادا ظلمهم به وخرج فيه عن الشريعة وظلم فيه المؤمنين جميعا حتى كان مضرة ذلك الجهاد على المسلمين وعلى أنفسهم وعلى عدوهم أكثر من منفعته وقد بسطنا الكلام في أمثال هذا في غير هذا الموضع

ثم غاية ذلك أنه جواب إلزامي لا علمي وهو لا ينفع لا للناظر ولا للمناظر وذلك أن المثبت إذا قال لهم كل موجودين فإما أن يكون أحدهما حالا في الآخر أو بائنا عنه كان من المعروف بنفسه أن هذا **حكم الفطرة الإنسانية** الموجودة لبني آدم **وهذه الفطرة الضرورية** لا تندفع بمعارضة ولا جدل فإذا قالوا هذا من حكم الوهم الباطل وبمنزلة قول الدهرية من الفلاسفة وغيرهم كل موجودين فإما أن كون أحدهما متقدما على الآخر أو مقارنا قيل له هب أن الأمر كذلك فهذا الذي مثلت به هو حق أيضا **تقبله الفطرة وتحكم** به فإذا قال هذا من حجة الدهرية القائلين بقدم العالم فإذا صححناه لزمنا القول بقدم العالم وهو باطل وما

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١١٠

استلزم الباطل فهو باطل قيل له هذه القضية معلومة بينة بنفسها فطرية ضرورية وأما كونها مستلزمة للقبول بقدم العالم فهذا ليس بين ." (١)

" تسميه حدوث العالم أبين عندي من العلم بهذه القضية إذ هذه المقدمة ضرورية فطرية وتلك تحتاج إلى مقدمات طويلة خفية وفيها نزاع كثير

ولا أيضا دلالة الكتاب والسنة على حدوث جميع الأجسام بأظهر من دلالة الكتاب والسنة على أن الله تعالى فوق العالم بل القرآن مملوء بما يدل على أن الله تعالى فوق العالم وهو دال على أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولكن هو يذكر مع ذلك أنه استوى على العرش والذي نطق به القرآن في جميع الآيات لا يمكن أن يستدل به على أن جميع الأجسام محدثة إلا بتوسط مقدمات مستنبطة بأن يبين أن هذا المذكور في القرآن هو الأجسام وأن لا جسم إلا ما أخبر بخلقه وأما دلالة القرآن على العلو فلا تحتاج إلى مقدمات مستنبطة فإذا كان العلم بأن الله تعالى فوق العالم أبين **في الفطرة والشرعة** من كون الأجسام كلها محدثة لم يجب علي أن أترك ذلك المعلوم البين **في الفطرة خوفا** أن يلزمني إنكار هذا الذي ليس هو مثله في ذلك وهذا الجواب بين ظاهر

وملخصه أن هذه الملازمة التي ذكرها وهو أن هذا يستلزم أن يقال هذا مثل حجة الفلاسفة المستلزمة قدم الزمان إما أن تكون حقا في نفس الأمر أو باطلا فإن كانت باطلا بطلت المعارضة وإن كانت حقا لزم إما ثبوت اللازم وإما انتفاء الملزوم لا يلزم انتفاء الملزوم عينا وإذا كان كذلك فليس العلم بانتفاء اللازم بأظهر من العلم بثبوت الملزوم بل ثبوت الملزوم أبين في الشرع والعقل فلا يجوز على هذا التقدير انتفاء اللازم فلا تصح المعارضة وهكذا يقول الفيلسوف وذلك يظهر

بالوجه السابع وهو أن الفيلسوف يقول وعلمي بأن الموجودين إما أن يكون أحدهما مع الآخر أو قبله علم بديهي فطري وأما قولك إن هذا مثل قول المجسم ." (٢)

" الموجودان إما أن يكون أحدهما محايثا للآخر أو بائنا عنه أقول لا يخلو إما أن تكون هذه المماثلة حقا أو باطلا فإن كانت باطلا لم يرد علي وإن كانت حقا وجب علي التزام المماثلة وذلك يقتضي أن أقول بثبوت النقيضين جميعا أو انتفائهما جميعا لا يقتضي أن أثبت الزمانية وأنفي المكانية فإذا كنت قد فرقت بينهما بإثبات هذه ونفي الأخرى أكون مخطئا في هذا التفريق لم يتعين خطأي في المكانية حتى أنفيها

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١١٢/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١١٥/١

وأسوي الأخرى بها في النفي بل إذا سويت بينهما في الإثبات يلزمني أن أقول إن واجب الوجود مباين للعالم وإذا سويت بينهما في النفي وسلم أن ذلك يبطل دلالة هذه الحجة على قدم العالم كان غاية ما يلزمني إما بطلان القول بقدم العالم وإما بطلان دليل معين يدل على قدمه ولا ريب أن قدم العالم أو صحة هذه الحجة أخفى وأبعد عن المعلوم من كون واجب الوجود تعالى فوق العالم فإن الإقرار بهذا ثابت في الفطرة وقد تواتر عن الأنبياء والرسل القول به فإذا كان على أحد التقديرين أخالف المعلوم بفطرتي من العلوم الضرورية فأنفي كل واحد من القضيتين وأخالف الأنبياء والمرسلين وعلى الآخر إنما أخالف الحجج الدالة على قدم العالم وأبطل هذه الحجة المعينة كانت مخالفة هذه أولى في عقل كل عاقل وهذا لكلام في غاية الإنصاف والبيان

فعلم أن ما ذكروه من المعارضة لم يندفع به واحدة من الطائفتين لا في المناظرة ولا في نظر الإنسان بينه وبين ربه تعالى ولكن أوهموا هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء والتزموا مخالفة الفطرة الضرورية العقلية التي اتفق عليها العقلاء في كل من الإيهامين مع ما في ذلك من مخالفة الكتب والرسل ببعض ما قالوه في كل واحدة من المسألتين مسألة حدوث الأجسام ومسألة علو الله تعالى على خلقه ." (١)

" من الأجسام ما هو قديم أمكنني التزام ذلك على قول طوائف من أهل الكلام بل على قول كثير منهم ولم أكن في ذلك موافقا للدهرية الذين يقولون إن الأفلاك قديمة أزلية حتى يقال هذا مخالف للكتاب والسنة أو هذا كفر بل الذي نطق به الكتاب والسنة واتفق عليه المسلمون من خلق المخلوقات وحدوث المحدثات أقول به وأما كون الباري جسما أو ليس بجسم حتى يقال الأجسام كلها محدثة فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة بخلاف قولي بأن الله تعالى ليس فوق العالم وأنه موجود لا داخل العالم ولا خارجه فإن فيه من مخالفة الفطرة والشرعة ما هو بين لكل أحد وهو قول لم يقله إمام من أئمة المسلمين بل قالوا نقيضه فكيف التزم خلاف المعقول الفطري وخلاف الكتاب والسنة والإجماع، لقديم خوفا أن أقول قولا لم أخالف فيه كتابا ولا سنة ولا إجماعا ولا معقولا فطريا

بل يقول في الوجه التاسع هذه المعارضة تؤكد مذهبي وتقوية وتكون حجة ثانية لي على صحة قولي فإن احتججت علي بأن الله تعالى مباين للعالم بأن الموجودين إما أن يكون أحدهما مباينا للآخر أو محايثا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١١٦/١

له فقلتم هذا معارض بقول الفيلسوف إن الموجودين إما أن يكون أحدهما متقدما على العالم أو مقارنا له وذلك يستلزم القول بقدم الزمان المستلزم للقول بقدم بعض الأجسام فأقول إذا كانت هذه الحجة التي عارضتموني بها مستلزمة لكون بعض الأجسام قديمة من غير أن تعين جسما أمكن أن يكون ذلك الذي يعنونه بأنه الجسم القديم هو الله سبحانه وتعالى كما يقوله المثبتون وأن ذلك هو ملازم لقولنا إنه موصوف وقائم بنفسه ونحو ذلك فتكون هذه الحجة التي عارضتم بها دليلا على أن الله ." (١)

" متناقضون في أقوالهم لم يكن نفي قول الأثبات الذين صرحوا به عنهم لقولهم بما يناقضه بأولى من نفي القول النافي عنهم لقولهم ما يناقضه لا سيما إذا كان المعروف عنهم أن الأثبات آخر القولين وإذا كان أبو المعالي والشهرستاني وطوائف غيرهما قد خالفوه من أئمة أصحابهم وقدمائهم في الأثبات لم يجز أن يجعل قولهم هو قول أولئك بل نقل لمذهب إمامه أنا قد ذكرنا بنقل العدول الأئمة أن أبا المعالي تحير في هذه المسألة في حياته ورجع إلى دين **أهل الفطرة كالعجائز** عند مماته وكذلك الرازي أيضا حيرته وتوبته معروفة وكذلك أئمة هؤلاء

ثم يقال هب أنه قول هؤلاء أفهؤلاء ومن وافقوه من المعتزلة هم أهل التوحيد والتنزيه دون سائر النبيين والمرسلين والصحابة والتابعين وسائر أئمة الفقهاء والصوفية والمحدثين وأصناف المتكلمين الذين لم يوافقوا هؤلاء في هذا السلب بل يصرحون بنقيضه أو بما يستلزم وكلامهم في ذلك ملء العالم مع موافقتهم للكتب المنزلة من السماء وللفطرة الضرورية التي عليها عموم الدهماء والمقاييس العقلية السليمة عن المراء وقد ذكر هذا الإمام لأتباعه أبو عبدالله الرازي في كتابه أقسام اللذات لما ذكر اللذة العقلية وأنها العلم وأن أعرف العلوم العلم بالله لكنه العلم بالذات والصفات والأفعال وعلى كل واحدة من ذلك عقدة هل الوجود هو الماهية أم قدر زائد وهل الصفات زائدة على الذات أم لا وهل الفعل مقارن أو محدث ثم قال ومن الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ." (٢)

" نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال ... وأرواحنا في وحشة من جسومنا ...
وحاصل دنيانا أذى ووبال ... ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقال ...

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن إقرأ في الاثبات الرحمن على العرش استوى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١١٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٢٨

يرفعه واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ثم قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ومثل هذا كثير عن هؤلاء أئمة هذه المقالة النافية يعترفون بعدم العلم بها ويرجعون إلى ما عليه **أهل الفطرة وما** عليه أهل الظاهر الحشوية عندهم فكيف يكونون هم أهل التوحيد والتنزيه مع هذا الريب والشك والحيرة والتمويه

الوجه السادس والثلاثون أن يقال له دعواكم الرد على الدهرية بمثل جحد هذه المقدمة وأمثالها مما تبين فيها أنكم جحدتم العلوم الفطرية أوقعكم في أمورا أربعة

أحدها اتفاق سلف الأمة وأئمتها على ذمكم وذم كلامكم

الثاني نفور أهل الإيمان عن طريقكم وما قذف الله تعالى في قلوبهم من البغض لذلك وهم شهداء الله تعالى في الأرض

الثالث طمع الفلاسفة الدهرية فيكم أهل جدل وكلام لا أهل علم وبرهان حتى ارتد خلق كثير منكم إليهم بل أن ابن الراوندي ." (١)

" فهذه الدلالة هي الصراط المستقيم الذي دعا الله تعالى الناس منه إلى معرفة وجوده ونبههم على ذلك بما جعل في فطرهم من إدراك هذا المعنى وإلى **هذه الفطرة الأولى** المغروزة في طباع البشر الإشارة بقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم إلى قوله تعالى بلى شهدنا ولهذا قد يجب على من كان وكده طاعة الله في الإيمان به وامتثال ما جاء به رسله أن يسلك هذه الطريقة حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية مع شهادته لنفسه وشهادة ملائكته له كما قال تبارك وتعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ودلالة الموجودات من هاتين الجهتين هو التسبيح المشار إليه بقوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم

فقد بان من هذا أن الأدلة على وجود الصانع تعالى منحصرة في هذين الجنسين دلالة العناية ودلالة الاختراع وأن هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص وأعني بالخواص العلماء وإنما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل أعني أن الجمهور يقتصرون في معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس وأما العلماء فيزيدون إلى ما يذكرون من هذه الأشياء بالحس ما يدركون بالبرهان أعني من العناية والاختراع حتى لقد قال بعض العلماء إن الذي أدرك العلماء من معرفة منافع أعضاء

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٢٩

الإنسان والحيوان هو قريب ألف منفعة وإذا كان هذا هكذا فهذه الطريقة هي الطريقة الشرعية والطبيعية وهي التي جاءت بها الرسل ونزلت بها الكتب والعلماء ليسوا يفضلون الجمهور في هذين الاستدلالين من قبل الكثرة فقط بل ." (١)

" . وطريقا إلى غيره فالذي هو المقصود بذاته يجب أن يكون أكمل في الوجود من الذي ليس يراد منه إلا أن يكون وسيلة إلى غيره والمعني بالشرف كمال الوجود وبالخسة نقص الوجود وهذا أمر معقول بل على مثل ذلك تبنى عامة البراهين الصحيحة بل **معرفة الفطرة بمثل** هذه القضية أبين عندها من كثير من القضايا البديهية لأنه يجتمع فيها العلم والحب فتبقى معلومة بالعقل موجودة مذوقة بوجد القلب وذوقه وإحساسه فتكون من القضايا العقلية المحسوسة بالحس الباطن وإلا فهل يقول عاقل إن الموجود الذي يكون وجوده أكمل من غيره لا يقصد به إلا أن يكون وسيلة إلى الموجود الذي هو دونه وأنقص منه

وأما ما ذكره من التمثيل بالنبي والراعي فيقال منشأ الغلط في مثل هذا هو اشتباه المقصود بالقصد الأول بالمقصود بالقصد الثاني وذلك أن الراعي ليس مقصوده الأول برعاية الغنم مجرد نفعها بدون غرض يحصل له هو من ذلك بل إنما يقصد أولا ما كان مصلحة له ونفعا وكمالا إما تحصيل الأجرة وهو المال الذي ينتفع به ويقضي به حاجاته أو يتشرف وإما رحمة للغنم وإحسانا إليها ليدفع عن نفسه الألم الحاصل لنفسه إذا كان الحيوان محتاجا متألما وهو لا يزيل ألمه أو لتحصل له العافية والرحمة من هذا الألم ويحصل له تنعم وفرح وسرور بالإحسان إليها أو أن تكون به أو لصديقه أو لقريبه فيقصد برعايته ما يحصل له له من المنفعة والفرح والسرور وزوال الضرر بمثل ذلك وكذلك النبي صلى الله عليه و سلم فإنه بالإحسان إلى الأمة إنما يقصد ما يناله من التقرب إلى الله تعالى وعبادته والإحسان إلى عباده من أنواع المطالب والمقاصد التي هي أشرف وأعظم من فعله بهم فمطلوبه ومقصوده أعظم من العباد الذين ينفعهم فأما أن تكون الغاية المقصودة له بذاتها هي مجرد نفعهم من غير مقصود آخر يكون أشرف من هذا فهذا إنما يقوله جاهل شديد الجهل بالمقاصد والنيات ." (٢)

" ومثله قوله صلى الله عليه و سلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٧٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٠٠

الخامس أن يقال النقص الذي ذكرته هو إما من قبل **نقص الفطرة وأما** من قبل سوء العادة وإما من قبل عدم أسباب التعلم فيقال لك أما النقص فنقص بني آدم ليس له حد فمن الناس من ينقص عن فهم ما يفهمه جمهور الناس ومن المعلوم أن نهاية ما عند الفلاسفة يفهمه أوسط المتفقهة في مدة قريبة والشريعة قد جاءت بما هو أبعد عن الفطر الناقصة من هذا وأما العادة والتعليم فالرسول هو المعلم الأعظم الذي علمهم الكتاب والحكمة وقد نقلهم عن كل عادة سيئة إلى أحسن العادات والسير والشرائع فإن كان التصريح بهذه الأمور مشروطا بالعلم التام والعادة الصالحة فلا أكمل من هذا المعلم ولا في السير التي عودها فهل لاعلمها وبينها إذا كان الأمر كذلك

السادس أن يقال هب أن العامة لا يمكنهم فهمها فهل لا بينها للخاصة ومن المعلوم بالاضطرار أن الشريعة ليس فيها دلالة على ما يقوله الدهرية والجهمية من الأمور السلبية في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب

السابع أن يقال فإذا صرح فيها بنقيض ما هو الحق وإن قلت إنه أمثال والحق المطلوب لم يبينه لا للعامة ولا للخاصة ألا يكون هذا تلبيسا وإضلالا

الثامن أن يقال قولكم الأشياء التي لخفائها لا تعلم إلا بالبرهان وأن الباطن هو تلك المعاني التي لا تتجلى إلا لأهل البرهان كلام من أبطل القول وذلك أن هذه الأمور قد فسرتها بما تتأول من صفات الله وصفات المعاد حتى ." (١)

" إبداع تراب أو ماء بعد عدمه والله سبحانه وتعالى لما خلق السموات والأرض خلق آدم آخر المخلوقات كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ومن خلق آخر المخلوقات لم يمكنه أن يشهد خلق نفسه ولا ما خلق قبله كما قال تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وله فيما شهده في المخلوقات عبرة فيما لم يشهده

الوجه الثالث قوله أما حدوث الذوات ابتداءا فهذا شيء ما شاهدناه البتة ولا يقضي بجوازه وهمنا ولا خيالنا

فيقال له قولك لا يقضي بجوازه وهمنا ولا خيالنا أتريد أن وهمنا وخيالنا يحيل ذلك ويمنعه أو تريد أنه لا يعلم جوازه وأيما أردت فعنه جوابان

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٣٠

أحدهما أن لا نسلم أن وهمنا وخيالنا يحيل ذلك ويمنعه لوجهين أحدهما أن الوهم والخيال لا يمنع كل ما لم يعلم نظيره وإن قيل إنه لا يدركه إلا أن يريد الوهم والخيال الفاسد فهذا لا نزاع فيه الثاني إن الوهم والخيال قد أدرك نظير هذا كما قدمناه من تخيل ما أحسه من إبداع الجواهر وأعراضها بعد عدمها

الجواب الثاني عن التقدير الأول أنا لو سلمنا أن وهمنا وخيالنا يحيل ذلك فليس محذورا إذا علمنا جوازه بعقلنا أو حسنا فإن أحدا لم يقل إن كل ما أحاله مجرد التوهم والتخيل يكون ممتنعا وإنما قيل ما **أحالته الفطرة الإنسانية** والبديهة والفرق بينهما ما تقدم

وأما الجوابان على التقدير الثاني وهو أن الوهم والخيال لا يعلمان جواز ذلك فأحدهما أن لا نسلم أن الوهم والخيال لا يعلم جواز ذلك فإن الإنسان ." (١)

" أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظائره في القرآن فإذا كان مستقرا **في الفطرة العقلية** أن ابتداء الخلق أعظم من إعادته فمستقر فيها أن إبداع المركبات وتركيبها وصفاتها بعد العدم أبلغ من إبداع البسائط المفردات لكن المركب لا بد أن يكون مسبوقا

قال الرازي وثانيها أنا لا نعقل حدوث شيء وتكوينه إلا في زمان مخصوص ثم حكمنا بأن الزمان حدث لا في زمان البتة

فيقال لو قال لم نتوهم أو لم نتخيل أ لم نحس لكان مناسبا للفظ دعواه حيث ادعى أن معرفة أفعال الله على خلاف الحس والخيال ولم يدع أنها على خلاف المعقول فإن ذلك سد عليه طريق الإقرار بها ويوجب جحودها حيث لا يثبت ما يخالف المعقول إلا أن يفسر المخالف للمعقول بعدم النظير وحينئذ فلا فرق بين مخالفة المعقول والمحسوس في أن ذلك لا يكون مانعا في وجود ما يخالف المحسوس والمعقول وهو لا يتم غرضه إلا أن يبين الفرق بينهما بثبوت ما يحيله الحس دون العقل كما قدمناه

وتلخيص النكتة أن يقال إذا لم تعقل حدوث شيء إلا في زمان وأثبتت ما لم تعقله فهل هذا حجة لك في إثبات ما تعلم بعقلك امتناعه أم لا فإن كان هذا حجة لك في إثبات ما يعلم العقل امتناعه لم يكن له بعد هذا أن يحيل وجود شيء بعقله بل يجوز الممتنعات المعلوم امتناعها بالعقل ضرورة ونظرا وهذا لا يقوله عاقل وإن قال ليس هذا حجة في إثبات ما يعلم بالعقل امتناعه لم يكن ذلك نافعا لك في محل النزاع

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٩٣/١

لأن المنازع يدعي أنه يعلم امتناع ما أثبتته بفطرته وهذا لم يدل على إحالة ما عيلم امتناعه بالعقل كما سلمته ولا بالحس لأنك لم تذكره ." (١)

" والصفات غير ذلك وما الموجب لتخصيصه بذلك دون غيرها إلى غير ذلك مما ليس هذا موضعه إذ الغرض جواب ما ذكره الرازي وهو من نمط الذي قبله أيضا لوجوه

أحدها أن غاية ما يذكره إثبات فاعل ليس له نظير وثبوت فعل ليس له نظير وهذا لا نزاع فيه وليس ذلك ممتنعا لا في حس ولا خيال ولا عقل حتى يكون نظيرا لمورد النزاع وكون ذلك على خلاف حكم الحس والخيال هو مثل كونه على خلاف حكم العقل والقياس

الوجه الثاني أن الانتهاء إلى فاعل لا فاعل له مما يعلم بالفطرة والضرورة العقلية كما يعلم بالفطرة والضرورة العقلية امتناع حدوث فعل بلا فاعل وكما قالوه في امتناع موجود لا داخل العالم ولا خارجه فإذا كان هذا مما يعلم بالضرورة الفطرية كيف يجعل معارضا أيضا لما يعلم بالضرورة الفطرية فالفطرة الضرورية تعلم امتناع أن يكون لكل فاعل فاعلا وامتناع أن يكون الفعل بلا فاعل وأن يكون الفاعل لا داخل المفعول القائم بنفسه ولا خارجه وإذا كان كذلك فتمثيل الفاعل الذي لا فاعل له بالفاعل له فاعل ممتنع أيضا **في الفطرة الضرورية**

الوجه الثالث أن قوله لم نشهد فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا إلا لتغير حال وتبدل صفة إن أراد به استحالته من حال إلى حال بحيث أن ذاته تستحيل فليس الأمر كذلك فإن الشمس والقمر والكواكب كل في فلك يسبحون ومع هذا لم يتغير حالها ولم تتبدل صفاتها ." (٢)

" الثالث أن المنازع له قال أنا أعلم بالفطرة الإنسانية التامة امتناع هذا الموجود لا يقول إن ذلك نعتقده بوهمنا وخيالنا دون علمنا وعقلنا

الرابع أن جميع ما ذكره إنما يدل على ثبوت مالا نظير له لا يدل على ما نعتقد انتفاءه والأول مسلم ومورد النزاع من الثاني

الخامس أن الوهم والخيال المطابق والعلم والعقل والإحساس فيما ذكره سواء كما تقدم بيانه ثم إنه لم يعزل العلم والعقل في معرفة الله تعالى فلا يعزل الحس الصحيح وأما الفاسد فهو معزول وإن قيل إنه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٩٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٠٢

معقول ومعلوم كما يعزل ما يذكره الجهمية وغيرهم من أهل الإلحاد من العقليات التي يسمونها عقليات وهي جهليات

السادس أن المنازع له قد يسلم أن يعزل الوهم والخيال في معرفة أفعال الله تعالى وصفاته وذاته لكن لم **يعزل الفطرة الإنسانية** والمعارف الضرورية ومسألتنا من هذا الباب ولم يذكر حجة واحدة تنفي كون ذلك معلوما بالضرورة ولا يقبل الاحتجاج على خلاف ما يعرف بالضرورة

السابع أنه إنما أثبت أن أفعال الله تعالى وصفاته ليست مماثلة لأفعالنا وصفاتنا وذلك لا يقتضي كونها ثابتة على خلاف الوهم والخيال فإن الوهم والخيال لا ينفي ما لم يكن مثاله موجودا فيه بل غاية ما ذكره انتفاء المثل في الوجود والوهم والخيال لا ينفي مالا مثل له بل الوهم والخيال من أعظم الأشياء إثباتا لما لا نظير له في ما يقدره ويصوره من الأمور التي تكون موجودة فيه وليس لها نظير في الخارج ." (١)

" ذلك من الأوصاف السلبية التي يجب أن يوصف بها ما يقال إنه ليس بجسم ولا متحيز لقال حاكما بصريح عقله هذه صفة المعدوم لا الموجود كما سمعنا ورأينا إنه يقول ذلك عامة من يذكر له ذلك من أهل العقول الصحيحة الذكية وكما يجده العاقل في نفسه إذا تأمل هذا القول وأعرض عما تلقنه من الاعتقادات السلبية وما اعتقده من يعظمها ويعظم قائلها واعتقاده أنهم حرروا هذه المعقولات فإن هذه العقائد التقليدية هي التي تصد القلوب عما فطرت عليه كما قال النبي صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه

ثم إن هذه المقالات السلبية لم يقل شيئا منها إمام من أئمة المسلمين ولا نطق بها كتاب ولا سنة والطوائف المتكلمون قد أنكرها من حذاقهم من لا يحصيه إلا الله

فإن قيل الاستغناء عن المحل وصف سلبي فإذا كان القيام بالنفس وصفا سلبيا لم يدل على معنى ثبوتي وهو كونه متحيزا أو جسما

قال له منازعه أولا هذا منقوض بوصف الأجسام والجواهر بأنها قائمة بنفسها غنية عن المحل فإن هذا السلب يستلزم هذا الثبوت

وقالوا ثانيا نحن لم نجعل نفي السلب هو الثبوت وإنما قلت الشيء الموجود المحكوم عليه المخبر عنه بهذا السلب هو الذي يعلم القلب أنه محكوم عليه مخبر عنه بهذا الثبوت ونعلم أن لا يكون هذا السلب عن أمر موجود إلا مع هذا الثبوت

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣١٣/١

وقالوا ثالثا المستلزم لهذا الثبوت هو الأمر الوجودي المسلوب عنه المحل فهذا الأمر الوجودي هو الذي سموه المتحيز والجسم ." (١)

" الاستحالة وعلى كل تقدير فيجب أن يكون ما ليس بمتحيز إذا كان قائما بنفسه أن لا يكون مانعا لغيره أن يداخله وهذا باطل قطعا وإذا كانت القلوب تعلم بالضرورة أن القائم بنفسه مانع لغيره من المداخلة وهذا الحكم مختص بالمتحيز علم أنها لا تعلم قائما بنفسه إلا المتحيز

الوجه السادس أن يقال ما علم به أن الموجود الممكن والمحدث لا يكون إلا جسما أو عرضا أو لا يكون إلا جوهرا أو جسما أو عرضا أو لا يكون إلا متحيزا أو قائما بمتحيز أو لا يكون إلا موصوفا أو لا يكون إلا قائما بنفسه أو بغيره يعلم به أن الموجود لا يكون إلا كذلك **فإن الفطرة العقلية** التي حكمت بذلك لم تفرق فيه بين موجود وموجود ولكن لما اعتقدت أن الموجود الواجب القديم يمتنع فيه هذا أخرجته من التقسيم لا **لأن الفطرة السليمة** والعقل الصريح مما يخرج ذلك ونحن لم نتكلم فيما دل على نفي ذلك عن الباري فإن هذا من باب المعارض وسنتكلم عليه وإنما المقصود هنا بيان أن ما به يعلم هذا التقسيم في الممكن والمحدث هو بعينه يعلم به التقسيم في الموجود مطلقا والمعتزلة ومن اتبعهم الذين يخرجون القديم من هذا التقسيم مما اعتقدوه لما اعتقدوه وهذا قول طائفة من الفلاسفة لا جميعهم وكذلك ذاك قول طائفة من المتكلمين لا جميعهم وكما أن قول هؤلاء الفلاسفة لم يكن مانعا للمتكلمين ومن وافقهم من الفلاسفة من هذا التقسيم فكذلك قول هؤلاء المتكلمين ليس مانعا لمن خالفوه من جماهير الناس وأهل الكلام والفلسفة من هذا التقسيم

ولهذا قال أئمة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية ومن أخذ ذلك عنهم من متكلمي الصفاتية كالأستاذ أبي المعالي إمام الحرمين وأمثاله في ." (٢)

" أو حكما لهذين القسمين هو للموجود مطلقا من غير تقييد بحدوث أو قدم ويبين ذلك أن الذكر يضبط هذين القسمين قبل علمه بانقسام الموجود إلى محدث وقديم وقبل علمه باستحالة وصف القديم بأحدهما أو بهما أو جواز ذلك عليه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٣٦

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٣٨

وبالجملة **فحكم الفطرة إن** كان مقبولا في هذا التقسيم فهو مقبول مطلقا وإن لم يكن مقبولا فليس مقبولا مطلقا **إذ الفطرة لا** تفرق ولهذا كان يقول غير واحد من الفضلاء العالمين بالفلسفة والشريعة ما ثم إلا مذهب المثبتة أو الفلاسفة وما بينهما متناقض وثبت أن الفلاسفة أكثر تناقضا

الوجه السابع أن ما به يعلم أنه لا بد لكل موجود في الخارج من صفة وخاصة ينفصل بها ويتميز بها عما سواه يعلم أنه لا بد لكل موجود من حد ومقدار ينفصل به عما سواه إذ كل موجود فلا بد له من صفة تخصه وقدر يخصه وليس المراد بالحد هنا الحد النوعي فإن ذلك هو القول الدال على المحدود وهو كلي لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه وإذا أريد بالحد نفس المحدود وحقيقته فليس في الخارج محدود كلي بشرط كونه كليا بل يقال حقيقة هذا تشبه حقيقة هذا فالحدود على هذا تتشابه وتتماثل إذا عني بها حقيقة الموجودات الخارجية ولا بد لكل موجود من هذه الحدود والحقائق كما ذكرنا وتقدير موجود قائم بنفسه ليس له صفة ولا قدر هو الذي يراد بالكيفية والكمية كتقدير موجود ليس قائما بنفسه ولا بغيره وهو الذي يراد بالعرض والجوهر ولهذا كان السلف والأئمة يقولون إن الكيف غير معقول وغير معلوم ويقولون إن لله عز و جل حدا لا يعلمه إلا هو فهم دائما ينفون علم العباد بكيفية الرب وكيفية صفاته وبحده وحد صفاته لا ينفون ثبوت ذلك في نفسه بل ينفون علمنا به ." (١)

" فهو بصر وسمع معا وعلى هذا فتكون الأشياء كلها شيئا واحدا حتى المتضادات وهذا شيء فيما أحسبه يسلمه المتكلمون من أهل ملتنا أو يلزمهم تسليمه يعني هؤلاء الأشعرية وهو رأي سوفسطائي لأقوام قدماء مشهورين بالسفسطة

وأما الطريقة الثانية التي سلكها المتكلمون في جواز الرؤية فهي الطريقة التي اختارها أبو المعالي في كتابه المعروف بالإرشاد وتلخيصها أن الحواس إنما تدرك ذوات الأشياء وما تنفصل به الموجودات بعضها من بعض فهو أحوال ليست بذوات فالحواس لا تدركها وإنما تدرك الذوات والذات هي نفس الموجود المشترك لجميع الموجودات فإذا الحواس إنما تدرك الشيء من حيث هو موجود وهذا كله في غاية الفساد ومن أبين ما يظهر به فساد هذا القول أنه لو كان البصر إنما يدرك الأشياء لما أمكنه أن يفرق بين الأبيض والأسود لأن الأشياء لا تفترق بالشيء الذي تشترك فيه وإلا لكان بالجملة لا يمكن في الحواس لا في البصر أن يدرك فصول الألوان ولا في السمع أن يدرك فصول الأصوات ولا في الطعم أن يدرك فصول المطعومات وللزم أن تكون مدارك المحسوسات بالحس واحدا فلا يكون فرق بين مدرك البصر وهذا كله

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٤٢

في غاية الخروج عما يعقله الإنسان وإنما تدرك الحواس ذوات الأشياء المشار إليها لمحسوساتها الخاصة بها فوجه المغالطة في هذا هو أن ما يدرك ذاتيا أخذ أنه مدرك بذاته ولولا النشأ على هذه الأقاويل وعلى التعظيم للقائلين بها أمكن أن يكون فيها شيء من الإقناع ولا وقع بها التصديق لأحد **سليم الفطرة**

والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعة في الشريعة حتى ألجأت القائمين بنصرتها في زعمهم إلى مثل هذه الأقاويل الهجينة التي هي ضحكه من عنى بتمييز أصناف ." (١)

" لم يقل ذلك من العقلاء **ولأن الفطرة والشرعة** يقضي ذلك فيها أيضا فإنهم يعلمون بهذه الطرق أن جميع هذه الأمور داخلة في العالم وجزء منه يمتنع أن تكون لا داخلة فيه ولا خارجة منه

فصل

ثم قال الرازي ولنختم هذا الباب بما روي عن أرسطا ليس أنه كتب في أول كتابه في الإلهيات من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطرة أخرى

قال أبو عبدالله الرازي وهذا الكلام موافق للوحي والنبوة فإنه ذكر مراتب تكوين الجسد في قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين فلما آل الأمر إلى تعلق الروح بالبدن قال ثم أنشأناه خلقا آخر وذلك كالتنبيه على أن كيفية تعلق الروح ليس مثل انقلاب النطفة من حال إلى حال بل هذا نوع آخر مخالف لتلك الأنواع المتقدمة فلهذا السبب قال ثم أنشأناه خلقا آخر فكذلك الإنسان إذا تأمل في أحوال الأجرام السفلية والعلوية وتأمل في صفاتها فذلك له قانون فإذا أراد أن ينتقل منها إلى معرفة الربوبية وجب أن يستحدث لنفسه فطرة أخرى وعقلا آخر بخلاف العقل الذي به اهتدى إلمعرفة الجسمانيات وهذا آخر الكلام في هذه المقدمة

قلت والكلام على هذا من وجوه

أحدها أن هذا الكلام هو وما ذكره من الحجة أشبه بكلام أهل الجهل والضلال ومن لا يدري ما يخرج منه من المقال من كلام أهل العقل ." (٢)

" من درجة إلى درجة كما ينقلهم من المنطق والرياضي إلى الطبيعي ثم إلى الإلهي الذي لهم فجعل ذلك معلقا على إرادة الشرع في المعارف الإلهية وأنت جعلت ما تذكره من النظر في هذا الباب اعتقادا واجبا على جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم بل كفرت في الكتاب من خالفك فلو تركت الناس على ما

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٦٤/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٣٦٩/١

هم عليه إلا من أراد أن يشرع في معارفك لكنت متابعا لهذا الإمام المضل لكنك ابتدأت بخطاب ذلك الملوك والعامة وغيرهم ممن لم يرد الشروع في معارفك الإلهية

الوجه السادس أن يقال ما معنى قوله فليستحدث لنفسه فطرة أخرى والفطرة هي الخلقة التي فطر الله عباده عليها أتريد أن يبدل خلقته وما فيها من قوى الإدراك والحركة وهذا غير مقدور للبشر فإن الله تعالى فطر عباده على ذلك أم تريد أن يترك ما فطر عليه من المعارف والعلوم ويستحدث لنفسه معارف تخالف ذلك وهذا هو الذي يصلح أن يريده فهذا أمر بتبديل فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده وهي طريقة المبتدعة المبدلين لفطرة الله تعالى وشرعته كما قال النبي صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه فأهل الكتاب المنزل بدلوا وحرفوا من كتاب الله تعالى ما به بدلوه وحرفوه وهم مع الصابئين والمشركين القائمين بالنظر العقلي بدلوا من فطرة الله التي فطر الله عباده عليها وغيروا منها ما غيروه

ولهذا قيل إن آرسطو هذا بدل طريقة الصابئة الذين كانوا قبله والذين كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر الذين أثنى عليهم القرآن فهذا الكلام المنقول عنه يوافق ذلك وهؤلاء المحرفة المبدلة في هذه الأمة من الجهمية وغيرهم اتبعوا سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى وفارس والروم فغيروا فطرة الله تعالى وبدلوا كتاب الله والله سبحانه وتعالى خلق عباده **على الفطرة التي** فطرهم عليها وبعث إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه فصلاح العباد وقوامهم بالفطرة المكملة بالشريعة ." (١)

" لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله كفارس والروم قال فمن الناس إلا أولئك

ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المجوس والصابئين والمشركين فكان أول ما ظهر من البدع فيه شبه من اليهود والنصارى والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهورا فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين فظهرت الملاحدة الباطنية الذين

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧٣/١

ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلا وكفرا كفرهم من جنس كفر فرعون بل شر منه

الوجه السابع أن يقال هذه الوصية مخالفة لما بعث الله تعالى به رسله وأن يقروهم على فطرتهم التي فطروا عليها وبذلك جاءتهم الرسل لم يأمروهم باستحداث فطرة **غير الفطرة التي** فطروا عليها ولا بتغيير **تلك الفطرة كما** أمرهم هؤلاء المبدلون لفطرة الله تعالى وكتبه والله سبحانه وتعالى قد فطر عباده على الإقرار به وعبادته وحده قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله ." (١)

" فأمر الأمة بقبول وصية أمثال هؤلاء دون أن يذكر في ذلك ما أوصى الله تعالى به عباده وما وصت به رسله والوصية متضمنة تبديل فطرة الله تعالى بفطرة أخرى من أعظم **تبديل الفطرة في** العلوم والأعمال وذلك من تبديل دين الله

فصل

قال أبو عبدالله الرازي المقدمة الثانية اعلم أنه ليس كل موجود يجب أن يكون له نظير وشبيه وأنه ليس يلزم من نفي النظير والشبيه نفي ذلك الشي واحتج عليه بثلاث حجج ثم قال فظهر فساد قول من يقول لا يمكن أن نعقل وجود موجود لا يكون متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه إلا إذا وجدنا له نظيرا فإن عندنا الموصوف بهذه الصفة ليس إلا الله وبينا أنه لا يلزم من عدم النظير والشبيه عدم الشيء فثبت أن هذا الكلام ساقط بالكلية

قلت نفي النظير والمثل والكفئ والسمي ونحو ذلك عن الله سبحانه وتعالى متفق عليه بين المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن وقد بينا فيما تقدم بالدلائل القاطعة الشرعية والعقلية أنه يمتنع أن يكون لله مثل بوجه من الوجوه وبينا أن التماثل بينه وبين خلقه ممتنع لذاته وأنه يستلزم كون الشي الواحد موجودا معدوما قديما محدثا خالقا مخلوقا ممكنا والحجج الثلاثة التي ذكرها الرازي في هذا المطلوب ضعيفة كما سنبينه إن شاء الله وإن كانت ." (٢)

" ولم يقل موقنين بكذا وكذا بل أطلق فأي يقين كان لكم بشيء من الأشياء فأول اليقين اليقين بهذا الرب كما قالت الرسل لقومهم أفي الله شك وإن قلتم لا يقين لنا بشيء من الأشياء بل سلبنا كل علم فهذه دعوى السفسطة العامة ومدعيها كاذب ظاهر الكذب فإن العلوم من لوازم كل إنسان فكل إنسان عاقل لا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٧٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٧٨

بد له من علم ولهذا قيل في حد العقل إنه علوم ضرورية وهي التي لا يخلو منها عاقل فلما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وهذا من افتراء المكذبين على الرسل لما خرجوا من عاداتهم التي هي محمودة عندهم نسبوهم إلى الجنون ولما كانوا مظهرين للجحد بالخالق أو للاسترابة والشك فيه هذه حال عامتهم ودينهم وهذا عندهم دين حسن وإنما إلههم الذي يطيعونه فرعون قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون فبين له موسى إنكم الذين سلبتم العقل النافع وأنتم أحق بهذا الوصف فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون فإن العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينيه وأعظمها **في الفطرة الإقرار** بالخالق فلما ذكر أولا أن من أيقن بشيء فهو موقن به واليقين بشيء هو من لوازم العقل بين ثانيا أن الإقرار به هو من لوازم العقل ولكن المحمود هو العلم النافع الذي يعمل به صاحبه فإن لم يعمل به صاحبه قيل أنه ليس له عقل ويقال أيضا لمن لم يتبع ما أيقن به إنه ليس له يقين فإن اليقين أيضا يراد به العلم المستقر في القلب ويراد به العمل بهذا العلم فلا يطلق الموقن إلا على من أستقر في قلبه العلم والعمل وقوم فرعون لم يكن عندهم إتباع لما عرفوه فلم يكن لهم عقل ولا يقين وكلام موسى يقتضي الأمرين إن كان لك يقين فقد عرفته وإن كان لك عقل فقد عرفته وإن ادعيت أنه لا يقين لك ولا عقل لك فكذلك قولك فهذا إقرار منكم بسبكم خاصية الإنسان ومن يكن هكذا لا يصلح له ما أنتم عليه من ." (١)

" على اصلين كلاهما تدفعه بديهية العقل والفطرة احدهما اثبات موجود لا في شيء من الجهات ولا داخل العالم ولا خارجه ولهذا كان عامة **السليمي الفطرة على** انكار ذلك والثاني اثبات رؤية هذا بالابصار فان هذا يخالفك فيه من وافقك على الاول فان كونه موجودا ايسر من كونه مرئيا فاذا كنت تجوز رؤية شيء بالابصار لا مقابل للرائي ولا في شيء من جهاته الست فكيف تنكر وجود موجود فوق العالم وليس بمركب ولا بجزء حقير وهو انما فيه اثبات وجوده على خلاف الموجود المعتاد من بعض الوجوه وذاك فيه اثباته على خلاف الموجود المعتاد من وجوه اعظم من ذلك

ودليل ذلك ان جميع فطر بني آدم السليمة تنكر ذلك اعظم من انكار هذا وان المخالفين لك في ذلك اعظم من المخالفين لك في هذا فان كون الرب فوق العالم اظهر في فطر الاولين والاخرين من كونه يرى بل العلم بالرؤية عند كثير من المحققين انما هو سمعي محض اما العلم بأنه فوق العالم فانه فطري بديهي معلوم بالادلة العقلية واما دلالة النصوص عليه فلا يحصيها الا الله

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٥٥/١

وما وقع في هذا من الغلط يكشفه الوجه الرابع عشر هو ان معرفة القلوب واقرارها بفطرة الله التي فطرها عليها ان ربها فوق العالم ودلالة الكتاب والسنة على ذلك وظهور ذلك في خاصة الامة وعامتها وكلام السلف في ذلك اعظم من كونه تعالى يرى بالابصار يوم القيامة او ان رؤيته بالابصار جائزه

ويشهد لهذا ان الجهمية اول ما ظهروا في الاسلام في اوائل المأة الثانية وكان حقيقة قولهم في الباطن تعطيل هذه الصفات كلها كما ذكر ذلك الائمة لا يصفونه الا بالسلوب المحضة التي لا تنطبق الا على المعدوم وقد ذكر هذا المؤسس ان جهما ينفي الاسماء كلها ان تكون معانيها ثابتة لله تعالى ." (١)

" ولا تكون الحجب حاصلة وزعموا ان هذه الشروط متى وجدت وجبت الرؤية واذا انتفى بعضها امتنعت الرؤية

قال الرازي وهاتان الطريقتان يعني حجة الموانع وحجة المقابلة عليها تعويل المعتزلة في العقليات يعنى في مسألة نفي الرؤية لله تعالى

وقال في الجواب عن هذه الحجة من وجوه ثلاثة الاول ما بينا فيما مضى ان المقابلة ليست شرطا لرؤيتنا لهذه الاشياء وابطلنا ما ذكروه من دعوى الضرورة والاستدلال في هذا المقام الثاني سلمنا ان المقابلة شرط في صحة رؤيتنا لهذه الاشياء فلم قلتم انها تكون شرطا في صحة رؤية الله تعالى فإن رؤية الله تعالى بتقدير ثبوتها مخالفة لرؤية هذه الاشياء فلا يلزم من اشتراط نوع من جنس اشتراط نوع آخر من ذلك الجنس بذلك الشرط الثالث سلمنا انه يستحيل كوننا رآئين لله ولكنه لا يدل على انه لا يرى نفسه وانه في ذاته ليس بمرئي لا يقال ليس في الامة احد قال انه يصح ان يكون مرئيا مع انه يستحيل منا رؤيته فيكون مردودا بالاجماع ولا نا نقول لا نسلم ان احدا من الامة لم يقل بذلك فإن اصحاب المقالات قد حكوا ذلك عن جماعة

وهو قد ذكر قبل في مسألة كون الله سميعا بصيرا من دعوى الضرورة في هذه الامور ومن مقابلة الدعوى بالمنع ما هو اعظم مما يكون في مسألة العرش

فان قيل هذا يبين ان مسألة العلو اظهر **في الفطرة والشريعة** من مسألة الرؤية فلأي شيء هؤلاء اقروا بهذه وانكروا تلك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٧٨/٢

قيل سببه ان الجهمية كانت متظاهرة بدعوى خلق القرآن وانكار الرؤية ولم تكن متظاهرة بانكار العلو كما تقدم فكان الذين يناظرونهم ." (١)

" فانه يصح ان يرى وان يلمس فيحس به ويلمس الذي هو ابلغ من الاشارات الحسية وان الله يصح ان يرى وان يتعلق به ادراك اللمس وان كل واحد من الرؤية واللمس مشترك بين الجواهر والاعراض فيتعلق بالله تعالى وهذا يوجب ان يكون الله يمكن ان يشار اليه ويمكن ان يحس به خلاف ما ذكره هنا كما تقدم وقرر هنا ان ما كان كذلك فانه يكون ذا حيز ومقدار وانه يلزمه ان يكون منقسما مركبا الانقسام والتركيب العقلي الذي الزم به مخالفة هنا وهذا يقتضي ان من لوازم اصولهم التي هم معترفون بالاصل وبلازم الأصل لم يلزمهم اياه غيرهم بالدليل بل هم اعترفوا به ان يكون الله له حيز ومقدار وانه مركب مؤلف له اجزاء وابعاض وهذا هو الذي انكره في هذا الموضع وليس هذا من جنس ما يلزم الرجل غيره شيئا بالحجة لكن هذا اقر بان الله سبحانه وتعالى موصوف بوصف واقر في موضع آخر انه اذا كان موصوفا بذلك الوصف لزم ان يكون كذا وكذا فمجموع الاقرارين اقر فيهما بما ذكرناه

الوجه العشرون انه اعترف هنا انه يكون اشد حقاره من الجوهر الفرد وان يكون معدوما اذا كان ذا حيز ومقدار وقلنا انه لا يمكن ان يشار اليه ولا يمكن ان يحس وقد ذكر هنا انه لا يمكن ان يشار ولا يمكن ان يحس به فلزم ان يكون معدوما احقر من الجوهر الفرد ولا ريب ان هذا حقيقة قولهم وقد اعترف هو بمقدمات ذلك لكن مفرقة لم يجمعها في موضع واحد اذ لو جمعها لم يخف عليه وهذا شأن المبطل

الوجه الحادي والعشرون ان منازعه يقول قد ثبت بالفطرة الضرورية وبالضرورة الشرعية واتفاق كل عاقل سليم الفطرة من البرية ان رب العالمين فوق خلقه وان من قال انه ليس فوق السموات رب يعبد ولا هناك اله يصلي ." (٢)

" له ويسجد وانما هناك العدم المحض فانه جاحد لرب العالمين مالك يوم الدين فان اعتقد انه مقر به وهذا يقتضي كما قلت انه ذو حيز ومقدار وكلما كان ذا حيز ومقدار وهو لا يمكن الاشارة الحسية اليه ولا يمكن الاحساس به فانه معدوم كما اعترف به وكما هو معروف في الفطر وهو احقر من الجوهر الفرد بلا ريب فثبت ان قولك يستلزم ان الباري معدوم وانه احقر من الجوهر الفرد وهذا مما اتفق علماء السلف

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٨٦/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١٠٣/٢

وائمة الدين ان قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا داخل العالم ولا خارجه يتضمن انه معدوم لا حقيقة له ولا وجود قد صرحوا بذلك في غير موضع وكذلك هو في جميع الفطر السليمة

وان اردت ان تلزمه عدمه من غير بناء على المقدار فيقال

الوجه الثاني والعشرون انه اذا عرض علىالفطر السليمة التي لم تتقلد مذهبا تتعصب له شيء لا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا يمكن ان يشار اليه ولا يمكن ان يحس به ولا هو في شيء من الجهات الست **فان الفطرة تقضي** بأن هذا لا يكون موجودا لان يكون معدوما وهذا قبل ان يخطر بفكر الانسان الحيز والمقدار نفيا واثباتا ثم بعد ذلك اذا علم ان الموجود او ان هذا لايكون الا ذا حيز ومقدار كان ذلك لانها آخر يقرر مذهب المنازع لهذا المؤسس

الوجه الثالث والعشرون ان المنازعين له في مسألة الرؤية قالوا لهم ما ذكرتموه من الحجة يقتضي كون الباري مدركا بادراك اللمس وذلك لانا من حيث اللمس نميز بين الطويل والاطول كما اننا نميز من حيث البصر الطويل والاطول فان اقتضى ذلك كون الاجسام مرئية اقتضى ان تكون ملموسة ." [١]

" النزاع بينهم لفظيا لكن اهل السنة والحديث فيهم رعاية لالفاظ النصوص والفاظ السلف وكثير من مبتغي ذلك يؤمن بألفاظ لا يفهم معناها وقد يؤمن بلفظ ويكذب بمعنى آخر غايته ان يكون فيه بعض معنى اللفظ الذي آمن به ولهذا يطعن كثر من اهل الكلام في نحو هؤلاء الذين يتكلمون بألفاظ متناقضة لا يفهمون التناقض فيها لكن وجود هذا وامثاله في اهل الكلام اكثر منه في اهل الحديث باضعاف مضاعفة كما قد بيناه في غير هذا الكتاب

واذا كان كذلك فالجواب عن هذه الحجة وامثالها مبين على مقامين

المقام الاول مقام من يقول انه نفسه تعالى فوق العرش ويقول انه بيس بجسم ولا متحيز كما يقول ذلك ابن كلاب والاشعري وكثير من الصفاتية فقهائهم ومحدثيهم وصوفيتهم وهو كثير فيهم فاش ظاهر منتشر والمنازعون لهم في وكونه فوق العرش كالرازي ومتأخري الاشعرية وكالمعتزلة يدعون ان هذا تناقض مخالف للضرورة العقلية وقد تكلمنا بين الطائفتين فيما تقدم بما ينبه على حقيقة الامر وتبين ان الاولين اعظم مخالفة للضرورة العقلية واعظم تناقضا من هؤلاء وان هؤلاء لا يسع احدهم في نظره ولا مناظرته ان يوافق اولئك على ما سلكوه من النفي فرارا مما الرموه اياه من التناقض لانه يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار فيكون الذي

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/١٠٤

وقع فيه من التناقض **ومخالفة الفطرة الضرورية** العقلية اعظم مما فر منه مع ما في ذلك من مخالفة القرآن والسنة وما اتفق عليه سلف الامة وان كان قد يضطر الى نوع ." (١)

"كلامهم يؤول إلى التعطيل وجميع أوصافهم تدل على النفي في التأويل ويريدون بذلك زعموا التنزيه ونفي التشبيه فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل فاحتجاجه بقوله ثم ردوا إلى الله وقوله وقفوا على ربهم وقوله عرضوا على ربك وقوله ناكسو رؤسهم عند ربهم على أن الله فوق العرش كل ذلك لأن هذه الآيات تدل على النهايات والغايات والحدود والتباين الذي بينه وبين خلقه

فإذا نتكلم على حجته في هذا المقام فإنه يقال له قولك لو كان مختصا بالحيز والجهة لكان لا يخلو إما أن يكون متناهيا أو غير متناه فإن قلت نحن نقول هو موجود في غير جهة ولا حيز أصلا وهو غير متناه من جميع الجوانب أو بعضها أو غير متناه من جميعها يعارضونه بأن يقولوا هذه الحجة ترد عليك أيضا بأن يقال ولو كان موجودا أو قائما بنفسه كان متناهيا في ذاته بمعنى أن ذاته يمتنع أن يكون لها طرف ونهاية وحد

يقال لك اذا عقل موجود لا نهاية له فهل التفسير يعقل موجود فوق العرش لا يوصف بالتناهي وعدمه أولى وأحرى بمعنى أنه يمتنع أن يكون له نهاية أو يكون ذا مسحة لا نهاية لها فانه إذا عقل هذا في موجود مطلق لم يمتنع وصف هذا الموجود بأنه فوق العرش ويكون كذلك بل يكون هذا أقرب إلى العقل لأن الفطر تقر بأن الله فوق العالم وتنكر وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه فإذا أقررت بوجوده خارج العالم كان أقرب **إلى الفطرة والعقل** وإذا جاز أن يقال في هذا إنه لا يتناهى بمعنى أن ذاته لا تقبل الوصف بتناهي المقدار وعدمه كذلك يقال فيه مع وجوده فوق العرش ." (٢)

" الشريعة وهذا من أعظم المفاسد وحينئذ فلا يصح قولهم إنه ليس بجسم ولا متحيز ولا في جهة وأنه ليس فوق العالم يشار إليه

وإن كان مثل الكلام والعقل الذي به ينظر في الأجسام وصفاتها مقبولا في العلم الالهي بطلت مقدمته كلها وكان من أعظم العلوم في العقل أن الباري فوق العالم وأنه يمتنع أن يكون لا داخل العالم ولا خارجه بل يمتنع أن يكون شيء من الموجودات كذلك كما تقدم وهذا بين وله الحمد والمنة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/١١٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/١٧٩

وأما أن يخالفوا ما فطر الله عليه عباده وما أنزل به كتبه وأرسل به رسله بمقاييس لا تدل لهم إلا بمقدمات كثيرة مركبة لابد فيها من الاستدلال بما هو **في الفطرة دون** ما دفعوه أو مثله مع مافيها من الألفاظ المشتركة وغيرها فهذا لا يفعله إلا جاهل أو ظالم أو من جمع الأمرين بل هو من أعظم العالمين جهلا وظلما لكونه يتكلم في الله وأسمائه وآياته بمثل هذا العقل الفاسد وكان من أعظم المطففين في أصول الدين فإذا كان المطففون في الأموال قد قال الله تعالى فيهم ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد جاء في الحديث الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين فكيف في أصول الدين بل في أعظم أبواب أصول الدين وهو الكلام في رب العالمين وأسمائه وصفاته يكون فيه هذا التطفيف والاخبار العظيم فيبطلون ما فطر الله عباده عليه وأنزل به كتبه بمقاييسهم ويمنعون غيرهم أن يحتج بها عليهم وهي عليهم أدل منها لهم وهذا من أعظم الجهل والظلم والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرا من عباده وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ." (١)

" وإذا ظهر ذلك فيقال لارسطو الذي ذكر عنه هذا المؤسس الذي قال من أراد النظر في العلم الالهي فليحدث لنفسه فطرة أخرى وقد قرره المؤسس بأن الانسان إذا تأمل في أحوال الاجرام السفلية والعلوية وتأمل في صفاتها فذلك له قانون فإذا أراد أن ينتقل منها إلى معرفة الربوبية وجب أن يستحدث لنفسه فطرة أخرى ونهجا آخر وعقلا آخر بخلاف العقل الذي به اهتدى إلى معرفة الجسمانيات أنت يا معلم هؤلاء الصابئة الفلاسفة المبتدعين لما تكلمت في أقسام العلم بالمقولات العشر وهي الجوهر وأعراضه التسعة الكم والكيف والاضافة والأين ومتى والوضع وأن يفعل وأن ينفعل والملك فهذا وإن كلاما في الوجود المطلق الذي قد يقولون إنه العلم الأعلى وهو الناظر في الوجود ولواحقه من حيث هو وجود ومنه العلم الالهي وهم يجعلون العلم الالهي يعم هذا كله فهذا نزاع بينكم فهذه المقولات العشرة إذا أثبتها للعقول والنفوس ونفس الانسان ونفيتها عنها أو نفيت شيئا منها أو نفيتها عن واجب الوجود أو أثبتها أو شيئا منها له أتحكم في هذا النفي والاثبات بالفطرة التي علمت بها هذه الأمور أم بفطرة أخرى فإن قال بفطرة أخرى كان هذا اعترافا **بان الفطرة التي** يحكم فيها على الشيء بنفيه وإثباته **غير الفطرة التي** يتصور بها الشيء فتكون فطرة التصديق غير فطرة التصور ومن المعلوم أن الحاكم بالتصديق العالم به الناطق به إن لم يكن هو العالم

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٥٤

بالتصور المدلول له الناطق به كان حكمه باطلا فيلزم أن يكون جميع ما ذكروه في العلم الالهي باطلا لكون الحاكم بالتصديق فيه ليس هو المتصور

وإن قلتم بل بالفطرة التي عرفت بها هذه الأمور يحكم بنفيها وإثباتها بطلت تلك القعقعة التي تشبه قعقعة الشنان التي يقعقع بها للصبيان لتخوفوا بما لا حقيقة له عند الانسان وعلم إنما خالفتم **به الفطرة والشرعة** فكله هذيان بل من ." (١)

" نحن نقول إن من وصفه بهذا فقد جعله معدوما والمعدوم أحقر من الجوهر الفرد وإذا كان كذلك لم نسلم لك مادمت مصرا على هذا النفي أنه أحقر من الجوهر الفرد فإن ذلك يستلزم تسليم النقيضين فيكون قد سلمنا أنه معدوم وأنه ليس أحقر من الجوهر الفرد وذلك باطل وإذا لم يسلم له على هذا التقدير أنه أحقر من الجوهر الفرد لم يكن له أن يحتج بالاجماع كما تقدم نظير هذا

وتقدم ما قرره في أول نهايته أن الاحتجاج بمثل هذا الاجماع الذي يختلف فيه المأخذ لا يصح نظرا ولا مناظرة فإن المناظر ليس له أن يحتج بموافقة موافق بناءا على مأخذ لا يعتقد صحته والمناظر يجيبه خصمه بأنك إن وافقتني على المأخذ وإلا منعتك الحكم على هذا التقدير لأنه عندي تقدير غير واقع فلا يكون له حجة بحال ولو احتج بها **في الفطرة في** إعظام الله أن يكون كذلك قيل له **هذه الفطرة التي** فيها أن الله تعالى فوق العالم وهي تحيل الله أن يقال ليس فوق العالم ولا داخله ولا خارجه كما يحيله أن يقال هو بقدر الجوهر الفرد فإن كان **ما الفطرة من** هذا حقا فكذلك الآخر وحينئذ فلا يبقى معه حجة على نفي كونه بقدر الجوهر الفرد لا عقلية ولا سمعية لأن السمع إما نص وإما إجماع والسمعيات التي وصف الله فيها نفسه بأنه علي وعظيم وكبير معناها عندهم القدرة والقهر لا يعنون بها عظم قدره في نفسه فلا ينافي ما زعموه صغر المقدار لا سيما مع ما يعتمدونه من القول بأن الملك العظيم والآدمي العظيم يكون بقدر الجوهر الفرد لأن الحياة ولازمها لا تحل إلا في قدر ذلك كما تقدم وإذا لم يكن لهم على ذلك حجة بطلت هذه الحجج التي ذكرها وظهر عجزهم عن تنزيه الله تعالى أن يكون فيه نقص فلا يقدرون أن ينزهوه على أصولهم العقلية عن نقص ولا عن صغر

الوجه السابع عشر قوله في الحجة الثانية حصوله في ذلك الحيز إما واجب وإما جائز يقال إن أريد بالحيز ما هو داخل في مسمى اسمه مثل ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٥٦/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٣١٣/٢

" فإن الأشعرية قد ثبت لزوم الخطأ لهم بالضرورة إما لأوليهم وإما لآخريهم إذا كان النزاع معنويا تضادا كما تقدم وأما الكرامية فهم في مسألة كونه على العرش لم يظهر خطؤهم على التقديرين جميعا وفي مسألة الجسم إنما يكونون مخطئين على قول الأولين فقط إذ الآخرون من الأشعرية يوافقونهم على أن العلو يستلزم التجسيم وظهر بذلك أن كلما تنازع فيه هؤلاء لم يظهر فيه نفي أن يكون الله على العرش وذلك لأن هذا هو الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم وهو القائل سبحانه وتعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الآية ودين الحق الذي بعث به رسوله ظاهر على كل تقدير

وأيضا فإن هذا معلوم بالفطرة والبديهة وقد ظهر بذلك أن متقدمي الأشعرية وأئمتهم هم أولى بالحق والصواب من متأخريهم وإن كان في قولهم ما يذكر أنه خطؤ فالخطاء الذي مع المستأخرين أعظم وأكثر وهذا لأن الكلام الذي فيه بدعة كلما كان أقرب **إلى الفطرة والشرعة** كان أقرب إلى الهدى ودين الحق وكلما بعدت البدعة عن ذلك تغلظت

وهذا مما يبين أن فطر الناس وبدائهم ممن ليس به هوى ولا تقليد سواء كان في الأمراء أو الملوك أو غيرهم فإنهم يعرفون بفطرتهم وبديهة عقولهم أن ما ذكره من أنه لا داخل العالم ولا خارجه إنما هو صفة المعدوم وأن الموجودين لابد أن يكون أحدهما قائما بالآخر محايثا له أي يكون حيث هو يكون أو يكون مباينا له منفصلا عنه في جبهه غير جهته

وما زال أئمة السنة يذكرون هذا مثل ما ذكره عبد العزيز الكناني صاحب الشافعي صاحب الحيدة المشهور بالرد على الجهمية والقدرية وغيرهم ." (١)

" تعالى فوق خلقه أعرف **في الفطرة وأشهر** في الشريعة وأعظم استقرارا عند سلف الأمة وأئمتها من العلم بأنه يرى وأن الجهمية كانوا يكتمون إنكار ذلك ويتظاهرون بإنكار الرؤية ونحوها ليتوسلوا بما يظهرونه من إنكار الرؤية والقول القرآن على ما يكتمونه من إنكار وجود الله فوق العرش وكان أئمة السلف يعلمون ذلك منهم فيعرفونهم في لحن القول ويستدلون بما أظهروه على ما أسروه لعلمهم بأصل كلامهم وأنهم إنما أنكروا رؤيته وأنكروا أنه يتكلم حقيقة لأن رؤيته وكلامه مستلزم لوجوده فوق العالم فإذا سلموا الكلام والرؤية وغيرهما لزمهم تسليم أنه فوق العرش وغير ذلك إذ يقال لو كان على العرش لجازت رؤيته ولكان متكلما ومالا يجوز أن يرى يمتنع أن يكون فوق العرش

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٤١/٢

فلما كانت مسألة العلو هي في نفسها أعظم وأدلتها أقوى وأكثر والمقرون بها أكثر وأكثر من السلف والأئمة والعامة كانت الطريقة التي يسلكها أهل الإثبات فيها أقوى من الطريقة التي يسلكوها في مسألة الرؤية

وبيان ذلك أن اعتراف الفطر بأن الله فوق العالم أعظم من اعترافها بأنه يرى ودلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك أعظم من دلالة هذه الأصول على رؤية الله تعالى واعتراف القلوب بأن مالا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلا معدوما أعظم من أعترافها بأن مالا يمكن رؤيته لايكون إلامعدوما وما في القلوب من البديهة والضرورة إلى الأول أعظم مما فيها من الضرورة والبديهية إلى الثاني وكذلك اعترافها بديهة وضرورة بأن كل موجودين لابد أن يكونا متباينين أو متحايثين أعظم من اعترافها بأن كل موجود فلابد وأن تمكن رؤيته

وإذا كان الأمر كذلك ظهر أن الطريقة القياسية التي سلكها ابن الهيصم ونحوه في مسألة العلو أقوى من الطريقة التي سلكها الأشعري ونحوه وابن الهيصم ." (١)

" إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة ولا يوصف بصفة ولا بفعل ولا له غاية ولا له منتهى ولا يدرك بعقل وذكر تمام كلامه وقد كتبناه قبل هذا إلى أن قال فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئا ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية وذكر تمام الكلام

والمقصود أنه بين أن وصفه بأنه لا يعرف بشيء من الحواس هو أصل كلامه الذي لزمه به التعطيل وأنه لا يثبت شيئا لأن مالا يكون كذلك لا يكون شيئا

وهذا أمر مستقر في فطر المؤمنين لا يشكون في أن الله تعالى قادر على أن يريهم نفسه وإنما يشكون هل يكون ذلك أو لا يكون كما سأل المؤمنون النبي صلى الله عليه و سلم هل نرى ربنا يوم القيامة فقال نعم هل تضارون في رؤية الشمس وهذا ثابت في الأحاديث الصحيحة المستفيضة المتواترة فإنما كانوا شاكين هل يرون ربهم لم يكونوا شاكين هل يقدر على أن يريهم نفسه وكذلك في المعاد يعلمون أنهم عاجزون عن رؤيته كما أنهم عاجزون عن رؤية الأشياء البعيدة والأشياء اللطيفة مع علمهم عن أن يقدموا بسمعه م وبصرهم على أكثر مما هم قادرين عليه كما يعجزون أن الله قادر على أن يريهم ذلك وكذلك من قبلهم من الأمم ولهذا سأل موسى ربه الرؤية وسأل قومه أن يروا الله جهرة كما سألوا سائر الآيات فإنهم وإن كانوا مذمومين على مسألة الآيات فليسوا مذمومين على علمهم بأن الله قادر عليها كما يسأل الرجل ما لا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٤٦/٢

يصلح وهو من الاعتداء في الدعاء مثل أن يسأل منازل الأنبياء ونحو ذلك فإن الله قادر على ذلك ولكن مسألة هذا عدوان

ولهذا لا يوجد أن أحدا من الأمم **السليمة الفطرة قال** إن رؤية الله ممتنعة عليه يعني أنه لا يجوز أن يكون مرئيا بحال وليس في مقدوره أن يرى أحدا ." (١)

" لما يقابلها كالمصلى فظهر ان جعل ذلك قبلة باطل في العقل واللغة والشرع بطلانا ظاهرا لكل أحد

الوجه السابع وهو السادس عشر ان القبلة امر يحتاج الى توقيف وسماع ليس **في الفطرة والعقل** ما يخص مكانا دون مكان باستقباله في الصلاة والدعاء او غير ذلك فلو كان الداعون انما يقصدون برفع أيديهم وابصارهم وغير ذلك استقبال بعض المخلوقات مثل العرش والسماء وغير ذلك من غير أن يكون الرفع الى الخالق تعالى لم يفعلوا ذلك الا عن توقيف وسماع ومن المعلوم أنهم يفعلون ذلك بفطرتهم وعقولهم من غير أن يوقفهم عليه احد ولا تلقوه عن أحد

الوجه الثامن وهو السابع عشر أن القبلة لا يجد الناس في أنفسهم معنى يطلب تعيينها ولا فرقا بين قبلة وقبلة ولهذا لما أمر المسلمون باستقبال المسجد الأقصى ثم امروا باستقبال المسجد الحرام كان هذا جميعه عندهم سائغا لا يجد المؤمنون في أنفسهم حرج من ذلك ولا تفريقا بينه فلو كان الرفع والتوجه الى جهة السماء لكونه قبلة لكان ذلك عند الناس مؤمنهم وغير مؤمنهم منزلة التيامن والتياسر والسفل والقفا ومن المعلوم أنهم يجدون في أنفسهم طلبا ضروريا لما فوق فهذه المعرفة والطلب الضروري الذي يجدونه يطلب العلو دون السفل يمنع أن يكون لكونه قبلة وضعية بل ذلك يقتضي ان المطلوب المدعو هناك كما يجدونه ايضا في أنفسهم ويقرون به بألسنتهم

الوجه التاسع وهو الوجه الثامن عشر أنه قد اعترف في نهايته بأن الناس انما يرفعون الى الله واعرض عن هذه الأجوبة الثلاثة التي ذكرها هنا وهو أن الرفع للجهة التي تتعلق بها منافعهم من الأنوار والأرزاق أو لمن فيها من الملائكة او لكون العرش قبلة الدعاء وذلك أنه قد علم علما يقينيا ان ." (٢)

" المعرفة والتحقيق دون من لم يسلك هذه الطريق ويزعم الاتحادية انهم خلاصة الخاصة من أهل الله دون سائر عباد الله ويزعم الرافضة انهم هم أولياء الله المتقون فدعاوى هؤلاء المتكلمين ودعاوي الرافضة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٥٢/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٦٣/٢

والاتحادية والقرامطة والباطنية هي من دعاوي شر البرية فالحمد لله الذي هدانا بالاسلام ومن علينا بالقرآن وارسل الينا رسولا من انفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة ةوان كنا من قبل لفي ضلال مبين

والله سبحانه فطر عباده على شيئين اقرار قلوبهم به علما وعلى محبته والخضوع له عملا وعبادة واستعانة فهم مفطرون على العلم به والعمل له وهو الاسلام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد **على الفطرة وفي** رواية على **هذه الفطرة وفي** الصحيحين عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

ما من مولود الا يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم واخرجاه من حديث همام عن ابي هيريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال من يولد يولد على **هذه الفطرة فابواه** يهودانه او ينصرانه كما تنتجون الابل هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أرأيت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين وروي البخاري من حديث شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال نصلي على كل مولود يتوفى وان كان لعنة من أجل أنه ولد على فطرة الاسلام يدعي أبواه الاسلام أو أبوه خاصة وان كانت أمه على غير الاسلام واذا استهل صارخا ولا نصلى على من لم يستهل من أجل انه سقط فان ابا هريرة كان يحدث أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ما من مولود الا يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه او ينصرانه ." (١)

" او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيتمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها أخرجه البخاري من هذا الوجه وان كان منقطعا لما فيه من كلام الزهري الذي فيه تفسير الحديث بأنه على فطرة الاسلام والبخاري قد أخرجه متصلا من حديث يونس عن الزهري عن ابي هريرة كما تقدم وأخرجه مسلم من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة بنحوه وفي آخره ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وأخرجه مسلم من حديث الاعمش عن أبي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما من مولود الا يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويشركانه فقال رجل يا رسول الله أرأيت لو مات قبل ذلك قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي رواية ابن نمير عن الأعمش

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٨٠

ما من مولود يولد الا وهو على الملة وفي رواية أبي معاوية عن الأعمش

الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه لفظ ابن ابي شيبة عنه ولفظ ابي كريب عن ابي معاوية ليس من مولود ولد الا **على الفطرة حتى** يعبر عنه لسانه ورواه مسلم من حديث الدراوردي عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة

قال كل انسان تلده أمه **على الفطرة وأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه فان كانا مسلمين فمسلم كل انسان تلده امه يلكزه الشيطان في حضنيه الا مريم وابنها

وأعلم أن المتكلمين يحكون هذا القول عمن يذكرونه من أهل الحديث وأهل الكلام لكن يزعمون أن الأكثرين على قولهم بأن الاقرار بالصانع نظري ونقلهم ذلك بحسب ما يحكونه كما نقل هذا الرازي عن أكثر أهل التوحيد انكار أن يكون الله فوق العرش ونقل عن اكثر المسلمين انكار ." (١)

" محلا للصفات والحوادث قالوا وهذان مثل دعوى قائم بنفسه لا يباين غيره ولا يتميز عنه قالوا واثبات موجود قائم بنفسه ليس هو جسما ولا يقوم به صفة مثل اثبات قائم بنفسه ليس حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز كا يقوله من يقوله من الملاحدة والفلاسفة هذا كله جحد لما يعلم بضرورة العقل ومخالفة للبديهة والحس وما زال الأئمة يصفون مقالة الجهمية بأنها مخالفة للعقول وأن العقل يعلم أنهم يصفون العدم لا الوجود ولهذا عندهم نفاة التجسيم من المجسمة لموافقتهم لهم في أصل الاثبات وان خالفوهم في بعض التفاصيل

واذا كان كذلك فهذا الذي مستندا للداعين من الأولين والآخرين أنه هو الرجوع الى القياس العقلي وهو قياس ما غاب عنهم من الموجود على ما شاهدوه لا ينافي ما ذكروه من أن ذلك يقتضي علمهم الضروري بأن الذي يدعي ويسأل هو في جهة فوق لأن العلوم الضرورية الكلية لا بد فيها من قياس كما تقدم وهم كما قد يقولون يعلم بالضرورة ان الله فوق ويقولون أيضا يعلم بالضرورة أن مالا يكون داخل العالم ولا خارجه فانه معدوم ويقول من يفهم معنى الجسم على اصطلاح المتكلمين يعلم بالضرورة انه لا يكون موجود قائم بنفسه الا ما سميتموه الجسم ويقولون كل من رجع الى فطرته وفهم معنى ذلك ولم يصده عن **موجب الفطرة ظن** التقليد او اقيسة فاسدة وهوى من تعصب للمذهب المألوف فانه يعلم ذلك ويثبتون ذلك بالمقاييس العقلية التي هي أقوى من مقاييس النفاة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٨١/٢

واذا كان كذلك فنفي التجسيم لا يمكن ان يكون بنص ولا اجماع بل ولا بأثر عن أحد من سلف الأمة وأئمتها وليس مع نفاته الا مجرد ." (١)

" واذا كان كذلك فهؤلاء الذين يقولون هو في كل مكان بذاته ليس مع ذلك خارج العالم أو هو مع ذلك خارج العالم ببعد متناه او أنه لا نهاية له سواء قالوا هو جسم او قالوا ليس بجسم أو قالوا ليس داخل العالم ولا خارجه فهذه الأقوال السبعة يقابل بعضها بعضا كما تراه وهم كما قال الامام أحمد مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب وهم مع ذلك لا بد أن يقولوا هو مخالف للعالم في حقيقته ليست حقيقته مثل حقيقة العالم كما تقدم وأنه متقدم عليه أيضا فهم يثبتون المباينة بالحقيقة والزمان وأما المباينة بالجهة فلا يثبتها أحد منهم لكن منهم من ينفي المحايثة ومنهم من لا ينفيها بل يثبت المحايثة للعالم فمن نفي المحايثة للعالم لزمه أن يثبت المباينة بالجهة والا جمع بين النقيضين ولم يمكن أن ينفي المحايثة مع نفي المباينة بالجهة كما تقدم ومن أثبت المحايثة لم يجعله مباينا للعالم بالجهة بل غايته أن يجعل مباينته للعالم بالحقيقة والزمان وهذه المباينة تثبت للجوهر مع عرضه ونحن نعلم بالاضطرار أن مباينة الله للمخلوق أعظم من مباينة المخلوق بعضه لبعض ومن مباينة الجوهر للعرض فكل من هؤلاء لا يذكر بجحد الضرورة العقلية

الوجه العاشر أن هؤلاء جميعا فروا بزعمهم من التشبيه ومن المعلوم أن هذا فيه من تشبيههم اياه بكل شيء من الجواهر والأجسام بل ومن المعدومات ما ليس في قول أهل الفطرة والشرعة فان نفي المباينة والمحايثة صفة للمعدوم والقول بالمحايثة تمثيل له بكل جوهر فان أحدهما محايث للآخر مع مباينته له بالحقيقة والزمان على أن فيهم من يجعل الأشياء حالة فيه ومنهم من يجعله حالا فيها فيكون هؤلاء مثلوه بالجواهر وهؤلاء مثلوه بالأعراض ." (٢)

" فاحتج ابو الحسن بما يعلم بالاضطرار انه ليس في الأجواف والحشوش وخص بطن مريم بالذكر لأن ذلك مشاركة للنصارى الذين يقولون ان الله حل في بطن مريم لما تدرع اللاهوت بالناسوت مع ان هذا حين تقوله علماء النصارى لعامتهم تنكره فطرتهم وتدفعه عقولهم لما يجدون في انفسهم من العلم الضروري بنفي ذلك فانهم كما قال النبي صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فالنصارى مولودون على الفطرة التي تنكر ذلك ولكن الدين الذي وجدوا عليه آباءهم هو الذي

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٥٠٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٥١٩

اوجب تغيير فطرتهم وهذه حال هؤلاء الجهمية اجمعين فما منهم من أحد الا حين يذكر قول الجهمية تنكره فطرته وترده ضرورة عقله لكن يتبع سادته وكبراءة في خلاف طاعة الرسول حتى يغيروا فطرته لأجل المذهب الذي وجد عليه أباه وأمه أو من يجري مجري ذلك من سيد مالك او معلم او نحو ذلك

وهم اعنى متكلمة الصفاتية أخذوا ما أخذوه من هذه الحجج عن السلف والأئمة وان كان في كلام السلف ولأئمة ما لم يهتدوا اليه هؤلاء من التحقيق

قال الامام أحمد فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية ومما أنكرت الجهمية الضلال ان الله سبحانه على العرش قلت لم أنكرتم أن الله سبحانه على العرش وقد قال سبحانه الرحمن على العرش استوى وقال ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا قالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان وتلوا آيات من القرآن وهو الله في السموات وفي الأرض فقلنا عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء فقلنا أحشاءكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والاماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب سبحانه وتعالى شيء ." (١)

"ص -٤٤٥- أهل الكتاب وإن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم قلت إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة.قال إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان فابعث جندا أبعث مثليهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق أنفق عليك".وقال: "إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا".وقال النبي في الحديث الصحيح: "كل مولود يولد على الفطرة".وفي رواية: "على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرءوا إن شئتم: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ قيل يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" ومع مقت الله لهم فقد أخبر أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث إليهم رسولا وهذا يدل على إبطال قول من قال أنهم لم يكونوا مسيئين ولا مرتكبين لقبيح حتى جاء السمع وقول من قال أنهم كانوا معذبين بدون السمع أما لقيام الحجة بالعقل كما يقوله من يقوله من القدرية وإما لمحض المشيئة كما يقوله المجبرة.قال تعالى: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ وقال تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٣٤/٢

فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ وقال تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾.." (١)

"ص -١٣٨- المسلمين وبهذا يظهر تقصير من فسر ذلك بتلبية الحجاج.وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذانا أو رأى مسجدا وإلا أغار".وفي لفظ مسلم: "كان يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار".فسمع رجلا يقول الله أكبر الله أكبر فقال رسول الله: "**على الفطرة ثم** قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال خرجت من النار".وكذلك قوله بأيديهم سيوف ذات شفرتين وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد وقوله يسبحونه على مضاجعهم بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويصلي أحدهم قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب فلا يتركون ذكر الله في حال بل يذكرونه حتى في هذه الحال ويصلون في البيوت على المضاجع بخلاف أهل الكتاب.والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾.وقوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر." (٢)

"ص -٣٦٨- وسدرة المنتهى وغير ذلك معروف متواتر في الأحاديث وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله يظهر به تحقيق قوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ فالدرجات التي رفعها محمد ليلة المعراج وسيرفعها في الآخرة في المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون الذي ليس لغيره مثله ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وأبي ذر ومن رواية ابن عباس وأبي حبة الأنصاري وغيرهم فروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى بصره"قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن" فقال جبريل عليه السلام **اخترت الفطرة ثم** عرج بنا إلى السماء

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤٧/٦

فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه قال ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير." (١)

" ممتنع عندهم وإن كانوا في ذلك مخالفين للنصوص وإجماع السلف وأئمة الدين فإن النبي ص سأل بأين فقال أين الله فقال له المسئول في السماء فحكم بأيمان من قال ذلك وكذلك سئل فقيل له أين كان ربنا قبل ان يخلق السماوات والأرض فأجاب عن ذلك ولكن جواب أبى عثمان يوافق قول أهل الإثبات وهم **أهل الفطرة العقلية** السليمة من الاولين والآخرين الذين يقولون إنه فوق العالم إذ العلم بذلك فطرى عقلى ضروري لا يتوقف على سمع

أما العلم بأنه استوى على العرش بعد ان خلق السماوات والأرض في ستة أيام فهذا سمعي إنما علم من جهة أخبار الأنبياء ولهذا شرع الله تعالى لأهل الملل الاجتماع كل أسبوع يوما واحدا ليكون الأسبوع الدائر دليلا على الأسبوع الذي خلق الله فيه السماوات والأرض ثم استوى على العرش ولهذا لا يعرف الأسبوع إلا من جهة أهل الكتب الإلهية بخلاف اليوم فإنه معلوم بالحس وكذلك الشهر والسنة يعلم بالحس وسيرالقمر فيعلم بالحس و الحساب و أما الأسبوع فليس له سبب حسى و كذلك لا يوجد لأيام الأسبوع ذكر عند الأمم الذين لا كتاب لهم و لا أخذوا عن أهل الكتب كالترك الباقين في بواديهم في لغتهم اسم اليوم و الشهر و السنة دون أيام الأسبوع ." (٢)

"ص –٢٠٩– النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون "، وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى.وإذا كان مخالفتهم سببا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة.النهي عن تأخير المغرب إلى أن تشتبك النجوموهكذا روى أبو داود من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزال أمتي بخير – أو **على الفطرة –** ما لم يؤخروا." (٣)

"ص –٣٧٥– قلت: صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، في مسجد بيت القدس في ليلة الإسراء: قد رواها مسلم في صحيحه، من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: " أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٠٧/٦

(٢) الاستقامة، ١٦١/١

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ١١٧/٤

وسلم قال: "أتيت بالبراق – وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه – قال: فركبته حتى أتيت المقدس – قال – فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء – قال – ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام، بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام، اخترت الفطرة، قال: ثم عرج بنا إلى السماء "، وذكر الحديث.وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ينكر أن يكون صلى فيه، لأنه لم يبلغه ذلك، واعتقد أنه لو صلى فيه، لوجب على الأمة الصلاة فيه.فعمر رضي الله عنه عاب على كعب مضاهاة اليهودية، أي مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلى إليها.عمر الخليفة الراشد أذل الكفر وأهله ومنع أهل البدع من النبوغوقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة، ماهي مناسبة لسائر سيرته المرضية، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذنوب الإسلام بيده غربا، فلم يفر عبقري فريه، حتى صدر الناس." (١)

"ص –٤٤٨– فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى: الذي ما جعل الله في الأرض، ولا يجعل أمرا أجل منه وأعظم قدرا – الجاهلية، وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات – الجاهلية، والظلمات الكفرية، التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها فلما تلقوا عنه ذلك الهدي العظيم، زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدى الله الذي أنزل على عبده ورسوله، فأخذوا هذا الهدي العظيم، **بتلك الفطرة الجيدة**، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم –: بمنزلة أرض جيدة في نفسها، لكن هي معطلة عن الحرث، أو قد نبت فيها شجر العضاة، والعوسج، وصارت مأوى الخنازير والسباع، فإذا طهرت عن المؤذن من الشجر والدواب، وازدرع فيها أفضل الحبوب والثمار – جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله، فصار السابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم، من اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: من العرب والعجم،." (٢)

"ولد (١) علي، وقالت اليهود (٢) : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف (٣) من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء، واليهود يؤخرون [الصلاة إلى اشتباك النجوم] ، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٤/٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٠/٨

والحديث عن النبي - صلى [الله عليه وسلم - أنه قال (٤) : («لا تزال] أمتي **على الفطرة ما** لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم.») (٥) ، واليهود تزول عن القبلة شيئا، وكذلك [الرافضة، واليهود] تنود (٦) في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة، [واليهود لا يرون على النساء] عدة، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، واليهود قالوا: [افترض الله علينا خمسين] صلاة، وكذلك الرافضة (* واليهود لا يخلصون السلام على ___________(١) م: أولاد.(٢) وقالت اليهود: كذا في (ن) . وفي (أ) ، (ل) ، (ب) : النصارى، وهو خطأ.(٣) أ، ب: سيد.(٤) أنه قال: ساقطة من (ن) ، (م) .(٥) الحديث عن أبي أيوب الأنصاري وعقبة بن عامر - رضي الله عنهما - في: سنن أبي داود ١٦٩/١ (كتاب الصلاة، باب في وقت المغرب. ونصه: " لا تزال أمتي بخير، أو قال: على الفطرة، ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم. والحديث عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في سنن ابن ماجه ٢٢٥/١ (كتاب الصلاة، باب وقت صلاة المغرب) وعن أبي أيوب الأنصاري في المسند (ط. الحلبي) ١٤٧/٤، ٤١٧/٥، ٤٢٢. وصحح الألباني الحديث في صحيح الجامع الصغير ١٤٥/٦.(٦) ناد الرجل ينود إذا حرك رأسه وأكتافه.." [(١)]

"قالوه الكفار الذين قالوا: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [سورة الملك: ١٠] وفرعوا من الكلام في صفات الله وأفعاله ما هو بدعة مخالفة للشرع، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فهي مخالفة للعقل، كما هي مخالفة للشرع.والذي نبهنا عليه هنا يعلم به دلالة العقل الصريح على ما جاءت به الرسل، ولا ريب أن كثيرا من طوائف المسلمين يخطئ في كثير من دلائله، ومسائله (١) ، فلا يسوغ، ولا يمكن نصر قوله مطلقا، بل الواجب أن لا يقال إلا الحق قال تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩] .وإذا كان المقصود نصر حق اتفق عليه أهل الملة أو رد باطل اتفقوا على أنه باطل نصر بالطريق الذي يفيد ذلك وإن لم يستقم دليله على طريقة طائفة من طوائف أهل القبلة (٢) بين كيف يمكن إثباته بطريقة مؤلفة من قولها وقول طائفة أخرى، فإن تلك الطائفة أن توافق طائفة من طوائف (٣) المسلمين خير لها من أن تخرج عن دين الإسلام، وكذلك أن توافق المعقول الصريح خير من أن تخرج عن المعقول بالكلية، والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فإن الحق لا يتناقض، والرسل إنما أخبرت بالحق، والله فطر عباده على معرفة الحق، والرسل بعثت

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢٥/١

بتكميل الفطرة، لا بتغيير الفطرة. قال تعالى: (٤) ــــــــــــــــ(١) ومسائله: ساقطة من (ب) فقط.(٢) ن، م: السنة.(٣) طوائف: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٤) ن، م: كقوله تعالى.." (١)

"أهل الكلام إنه ليس صفة كمال ولا نقص، وقد قال تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [سورة النحل: ١٧] .وإذا (١) كان كذلك، فمن المعقول أن الفاعل الذي يفعل بقدرته ومشيئته (٢) أكمل ممن لا قدرة له ولا إرادة، والفاعل (٣) القادر المختار الذي يفعل شيئا بعد شيء، أكمل ممن يكون مفعوله لازما له يقدر على إحداث شيء ولا تغييره من حال إلى حال، إن كان يعقل فاعلا يلزمه مفعوله (٤) المعين، فإن الذي يقدر أن يفعل مفعولات متعددة، ويقدر على تغييرها من حال إلى حال، أكمل ممن ليس كذلك. فلماذا يصفون واجب الوجود بالفعل الناقص إن كان ذلك ممكنا؟ كيف وما ذكروه ممتنع، لا يعقل فاعل على الوجه الذي قالوه؟ .بل من قدر شيئا فاعلا للازمه الذي لا يفارقه بحال، كان مخالفا لصريح المعقول عند الناس، وقيل له: هذا صفة له (٥) أو مشارك له ليس مفعولا له. ولو قيل لعامة العقلاء السليمي الفطرة: إن الله خلق السماوات والأرض ومع هذا فلم تزالا معه، لقالوا: هذا ينافي خلقه لهما، فلا يعقل خلقه لهما إلا إذا خلقهما بعد أن لم تكونا موجودتين.وأما إذا قيل: لم تزالا موجودتين (٦) كان القول مع ذلك بأنه خلقهما جميعا ــــــــــــــــ(١) ا، ب: فإذا.(٢) ا، ب: بمشيئته وقدرته.(٣) ا، ب: إرادة الفاعل، وهو خطأ.(٤) ن، م:. . يلزمه (فاعله) مفعوله.(٥) له: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٦) ن، م، ا: يكونا موجودين. . يزالا موجودين.." (٢)

"وكذلك إذا قال: لو كان فوق العالم لكان جسما، ولكان إما أكبر من العالم وإما أصغر وإما مساويا له، وكل ذلك ممتنع، فيقال له: إن كثيرا من الناس يقولون: إنه فوق العالم وليس بجسم.فإذا قال النافي (١) : قول هؤلاء معلوم فساده بضرورة العقل، قيل له: فأنت تقول: إنه موجود قائم بنفسه، وليس بداخل في العالم ولا خارج عنه، ولا مباين له ولا محايث (٢) له، وأنه لا يقرب منه شيء ولا يبعد منه شيء، [ولا يصعد إليه شيء] (٣) ولا ينزل منه شيء، وأمثال ذلك من النفي الذي إذا عرض **على الفطرة السليمة** جزمت جزما قاطعا أن هذا باطل وأن وجود مثل هذا ممتنع، وكان جزمها ببطلان هذا أقوى من جزمها ببطلان كونه فوق العالم وليس بجسم.فإن كان **حكم الفطرة السليمة** مقبولا وجب بطلان مذهبك، فلزم أن يكون فوق العالم، وإن كان مردودا بطل ردك لقول من يقول: إنه فوق العالم وليس بجسم، **فإن الفطرة**

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣٠٠/١

(٢) منهاج السنة النبوية ٣٧٢/١

الحاكمة بامتناع هذا هي الحاكمة بامتناع هذا، فيمتنع قبول حكمها في أحد الموضعين دون الآخر.وذلك أن هؤلاء النفاة يزعمون أن الحكم بهذا المنع من حكم الوهم المردود لا من حكم العقل المقبول، ويقولون: إن الوهم هو أن يدرك في المحسوسات (٤) ما ليس بمحسوس، كما تدرك الشاة عداوة الذئب ـــــــــــــ(١) ب (فقط) : فإذا قال لنا.(٢) ن، م: مجانب.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .(٤) ن، م: في المحسوس.." (١)

"وتدرك السخلة (١) صداقة أمها، ويقولون: الحكم الفطري الموجود في قلوب بني آدم، بامتناع وجود مثل هذا هو حكم الوهم لا حكم العقل (٢) ، فإن حكم الوهم إنما يقبل في المحسوسات لا فيما ليس بمحسوس (٣) .فيقال لهم: إن كان هذا صحيحا فقولكم: إنه يمتنع أن يكون فوق العالم وليس بجسم هو أيضا من حكم الوهم ؛ لأنه حكم فيما ليس بمحسوس عندكم، وكذلك حكمه بأن كل ما يرى (٤) فلا بد أن يكون بجهة من الرائي هو حكم الوهم أيضا.وكذلك سائر ما يدعون امتناعه على الرب [هو] (٥) مثل دعوى امتناع كونه لا مباينا ولا محايثا (٦) ، فإن كان **حكم الفطرة بهذا** الامتناع مقبولا في ـــــــــــــ(١) في اللسان: السخلة ولد الشاة من المعز والضأن، ذكرا أو أنثى. . أبو زيد: يقال لولد الغنم ساعة تضعه أمه من الضأن والمعز جميعا، ذكرا أو أنثى، سخلة.(٢) ن: الفعل، وهو تحريف.(٣) يعرف ابن سينا في كتابه النجاة (ج [٥ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٦٣، نشر محيي الدين الكردي، الطبعة الثانية ١٣٥٧/١٩٣٨) القوة الوهمية بقوله: " ثم القوة الوهمية وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ تدرك المعاني الغير محسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه وأن الولد معطوف عليه ". وانظر كتاب الشفاء، القسم الخاص بالنفس، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٦٠ - ١٦١، ١٧٧ - ١٧٩، نشر يان باكوش، طبع المجمع العلمي التشكوسلوفاكي، براغ، ١٩٥٦ مبحث عن القوة النفسانية، ضمن مجموعة بعنوان: أحوال النفس، نشرها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، ص [٠ - ٩] ٦٦ - ١٦٧، القاهرة، ١٩٥٢.(٤) ن: كل من لا يرى ؛ م: كل ما لا يرى، وكلاهما خطأ.(٥) هو: ساقطة من (ن) فقط.(٦) ن، م: مجانبا.." (٢)

"شيء من ذلك قبل في نظيره، وإلا فقبوله في أحد المتماثلين ورده في الآخر تحكم.وهؤلاء بنوا كلامهم على أصول متناقضة، فإن الوهم عندهم قوة في النفس تدرك في المحسوسات ما ليس بمحسوس،

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٤٧/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ١٤٨/٢

وهذا الوهم لا يدرك إلا معنى جزئيا لا كليا كالحس والتخيل، وأما الأحكام الكلية فهي عقلية، **فحكم الفطرة بأن** كل موجودين إما متحايثان (١) وإما متباينان، وبأن ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلا معدوما، وأنه يمتنع وجود ما هو كذلك، ونحو ذلك، أحكام كلية عقلية، ليست أحكاما جزئية شخصية في جسم معين حتى يقال: إنها من حكم الوهم.وأيضا فإنهم يقولون: [إن] (٢) حكم الوهم فيما ليس بمحسوس باطل ؛ لأنه إنما يدرك ما في المحسوسات من المعاني التي ليست محسوسة، أي: لا يمكن إحساسها، ومعلوم أن كون رب العالمين لا تمكن رؤيته أو تمكن مسألة مشهورة، [فسلف الأمة] (٣) وأئمتها وجمهور نظارها وعامتها على أن الله يمكن رؤيته ورؤية الملائكة والجن وسائر ما يقوم بنفسه، فإذا ادعى المدعي أنه لا يمكن رؤيته ولا رؤية الملائكة (٤) التي يسميها هو (٥) المجردات

__________(١) ن، م: متجانبان.(٢) إن: زيادة في (أ) ، (ب) .(٣) فسلف الأمة: ساقطة من (ن) ، (م) .(٤) أ، ب: أنه لا يمكن رؤيته أو لا يمكن رؤيته ولا رؤية الملائكة. . إلخ.(٥) هو: ساقطة من (ب) فقط.." (١)

"والنفوس والعقول، فهو يدعي وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن الإحساس به بحال.فإذا احتج عليه بالقضايا الفطرية التي تحكم **بها الفطرة كما** تحكم بسائر القضايا الفطرية، لم يكن له أن يقول: هذا حكم الوهم فيما ليس بمحسوس، فلا يقبل ؛ لأن الوهم إنما يدرك ما في المحسوس ؛ فإنه يقال له: إنما يثبت أن هذا مما لا يمكن أن يرى ويحس به إذا ثبت أن هذا الحكم باطل، وإنما يثبت أن هذا الحكم باطل إذا ثبت وجود موجود لا يمكن أن يرى ويحس به، وأنت لم تثبت هذا الموجود، إلا بدعواك أن هذا الحكم باطل، ولم تثبت أن هذا الحكم باطل (١) إلا بدعواك وجود هذا الموجود، فصار حقيقة قولك دعوى مجردة بلا دليل.فإذا ثبت امتناع رؤيته بإبطال هذا الحكم، كان هذا دورا ممتنعا، وكنت قد جعلت الشيء مقدمة في إثبات نفسه، فإنه يقال لك: لم تثبت إمكان وجود غير محسوس إن لم تثبت بطلان هذا الحكم، ولا تثبت بطلانه إن لم تثبت موجودا قائما بنفسه لا يمكن رؤيته ولا الإحساس به.فإذا قلت: الوهم يسلم (٢) مقدمات تستلزم ثبوت هذا، قيل لك: ليس الأمر كذلك، فإنه لم يسلم مقدمة مستلزمة لهذا أصلا، بل جميع ما ينبني عليه ثبوت إمكان هذا، وإمكان وجود ما لا يمكن رؤيته ولا يشار إليه، مقدمات متنازع فيها

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/١٤٩

بين العقلاء، ليس فيها مقدمة واحدة متفق عليها، فضلا عن أن تكون ضرورية أو حسية يسلمها الوهم.

__________(١) ن، م: ولم يثبت به باطل.(٢) أ: يستلزم.." (١)

"ثم يقال لك: إذا جوزت أن يكون **في الفطرة حاكمان** بديهيان: أحدهما حكمه باطل، والآخر حكمه حق، لم يوثق بشيء من حكم الفطرة، حتى يعلم أن ذلك من حكم الحاكم الحق، ولا يعرف عن ذلك حتى يعرف أنه ليس من الحكم الباطل، ولا يعرف أنه باطل حتى تعرف المقدمات البديهية الفطرية، التي بها يعلم أن ذلك الحكم باطل، فيلزم من هذا (١) أن لا يعرف شيء بحكم الفطرة، فإنه لا يعرف الحق حتى يعرف الباطل، ولا يعرف الباطل حتى يعرف الحق، فلا يعرف الحق بحال.وأيضا، فالأقيسة القادحة في تلك الأحكام الفطرية البديهية أقيسة نظرية، والنظريات مؤلفة من البديهيات، فلو جاز القدح في البديهيات بالنظريات لزم فساد البديهيات والنظريات، فإن فساد الأصل يستلزم فساد فرعه، فتبين أن من سوغ القدح في القضايا البديهية الأولية [الفطرية بقضايا] نظرية (٢) ، فقوله باطل يستلزم فساد العلوم العقلية بل والسمعية.وأيضا لفظ " الوهم " في اللغة العامة يراد به الخطأ، وأنت أردت به قوة تدرك ما في الأجسام من المعاني التي ليست محسوسة، وحينئذ فالحاكم بهذا الامتناع إن كان حكم به في غير جسم فليس هو الوهم، وإن كان إنما حكم به في جسم فحكمه صادق فيه، فلم قلت: إن هذا هو حكم الوهم فيما لا يقبل حكمه فيه؟ .ومعلوم أن ما تحكم به (**٣) الفطرة السليمة** من القضايا الكلية المعلومة

__________(١) ن، م: فيعرف من هذا. .(٢) ن (فقط) : البديهية الأولية النظرية، وهو خطأ.(٣) ن، م: ما لا تحكم به، وهو خطأ.." (٢)

"فعلى هذا القول لا يقال: يثيب الطائع لئلا يكون ظلما (١) .[فإن الممتنع لذاته الذي لا يكون مقدورا لا يتصور وقوعه، فأي شيء كان مقدورا وفعل لم يكن ظلما عند هؤلاء، وهؤلاء يجوزون أن يعذب الله العبد في الدنيا والآخرة بلا ذنب، كما يجوزون تعذيب أطفال الكفار ومجانينهم بلا ذنب، ثم من هؤلاء من يقطع بدخول أطفال الكفار النار، ومنهم من يجوزه ويتوقف فيه، وطائفة من أصحاب أحمد يقطعون بذلك وينقلونه عن أحمد، وهو خطاء على أحمد، بل نصوص أحمد المتواترة عنه وعن غيره من الأئمة مطابقة للأحاديث الصحيحة في ذلك.وهؤلاء إنما اشتبه عليهم الأمر لأن أحمد سئل عنهم في بعض أجوبته فأجاب بالحديث الصحيح: " «الله أعلم بما كانوا عاملين» ". فظن هؤلاء أن أحمد أجاب بحديث «روي

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/١٥٠

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/١٥١

عن خديجة أنها سألت الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أطفال المشركين فقال: " إنهم في النار "، فقالت: بلا عمل؟ فقال: " الله أعلم بما كانوا عاملين» . وهذا الحديث كذب موضوع عند أهل الحديث (٢) ، ومن هو دون أحمد من أئمة الحديث يعرف هذا فضلا عن مثل أحمد. ــــــــــــــ(١) في (م) : يثيب المطيع. وفي (ب) (فقط) ظالما. وبعد هذه الكلمة يوجد كلام ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) وينتهي السقط في ص ٣٠٩.(٢) لم أجد هذا الحديث مرويا عن خديجة رضي الله عنها ولكني وجدت حديثا قريبا منه ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣/١٩٦ في شرحه لأحاديث باب " ما قيل في أولاد المشركين " فقال: " وروي عن عبد الرزاق من طريق أبي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة، قالت سألت خديجة النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أولاد المشركين فقال: هم مع آبائهم، فسألته بعد ذلك، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) قال: هم على الفطرة، أو قال: في الجنة. وأبو معاذ هو سليمان بن أرقم وهو ضعيف ". وقد تكلم ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل، ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٠٠ - ١٠١) عن سليمان بن أرقم وأورد أقوال الأئمة فيه، وكلها على تضعيفه منها ما ذكره يحيى بن معين: سليمان بن أرقم أبو معاذ ليس يسوى فلسا وليس بشيء، ومنها حديث عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: سليمان بن أرقم: متروك الحديث. وذكر ابن حجر (فتح الباري ٣/١٩٥) حديثا آخر عن عائشة بنفس المعنى: " وروى أحمد من حديث عائشة: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ولدان المسلمين، قال: في الجنة. وعن أولاد المشركين، قال: في النار. فقلت يا رسول الله لم يدركوا الأعمال؟ قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار ". وعلق ابن حجر على ذلك بقوله: " وهو حديث ضعيف جدا لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك ". وذكر الحديث بألفاظ مقاربة ابن عبد البر في تجريد التمهيد، ص ٣٢٢، وعلق بقوله: وأبو عقيل هذا صاحب بهية لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل ". وانظر ترجمة أبي عقيل يحيى بن المتوكل في: الجرح والتعديل، ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٨٩ - ١٩٠ ؛ لسان الميزان ٦/٧٦٧. ووجدت في المسند (ط. الحلبي) ٦/٢٠٨ جزءا من هذا الحديث، وفي سنده: عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل عن بهية عن عائشة.." (١)

"وأحمد لم يجب بهذا، وإنما أجاب بالحديث الذي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " «كل مولود يولد **على الفطرة فأبواه** يهودانه وينصرانه ويمجسانه

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/٣٠٦

كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ". ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [سورة الروم: ٣٠] قالوا: يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟ فقال:." (١)

"" الله أعلم بما كانوا عاملين» (١) . وفي صحيح البخاري أيضا عن أبي هريرة «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سئل عن أطفال المشركين فقال: ــــــــــــــ(١) روي هذا الحديث عن أبي هريرة مرفوعا من وجوه عدة وبألفاظ متقاربة وجاء مطولا في بعض الروايات ومختصرا في بعض آخر. انظر: البخاري ٩٤/٢ – ٩٥ (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي) ، ١٠٠/٢ (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين) ، ١١٤/٦ (كتاب التفسير، سورة الروم) ، ١٢٣/٨ (كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين) ؛ مسلما ٢٠٤٨/٤ – ٢٠٤٧ (كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة) ؛ سنن أبي داود ٣١٨/٤ – ٣١٦ (كتاب السنة، باب في ذراري المشركين) ؛ سنن الترمذي ٣٠٣/٣ (كتاب القدر، باب كل مولود. . إلخ) وانظر شرح ابن العربي على سنن الترمذي ٣٠٣/٨ – ٣٠٦ ؛ المسند (ط. المعارف) ١٦٩/١٢ – ١٧٠ (رقم ٧١٨١) ، ١٨١/١٣ – ١٨٢ (الأرقام ٤٣٦٦ – ٧٤٣٨) ، ١٢٩/١٤ – ١٣٠ (رقم ٧٦٩٨) ، ٢٠٧ (رقم ٧٧٨٢) ؛ الموطأ (ط. فؤاد عبد الباقي) ٢٤١/١ ؛ صحيح ابن حبان ٢٩٢ – ٢٩٦ (الأرقام ١٢٨ – ١٣٠) ، ٣٠٠/١ (رقم ١٣٣) – وانظر تعليقات المحقق ؛ ترتيب مسند الطيالسي ٢٣٥/٢ (وهو في مسند الطيالسي، رقم ٢٣٥٦ – ٢٤٣٣) . وروى أحمد الحديث عن جابر بن عبد الله في المسند (ط. الحلبي) ٣٥٣/٣. والحديث مروي مع اختلاف في اللفظ عن الأسود بن سريع في: المسند (ط. الحلبي) ٤٣٥/٣، ٢٤/٤ ؛ صحيح ابن حبان ٢٩٧/١ – ٢٩٨ (رقم ١٣٢) ؛ تفسير الطبري (ط. المعارف ٢٣١/١٣ – وانظر التعليق ٢٣١ – ٢٣٢) ؛ الحاكم في مستدركه ١٢٣/٣ ؛ البيهقي في السنن ٧٧/٩ ؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٦/٥ ؛ الاستيعاب لابن عبد البر (في ترجمة الأسود) . وانظر أيضا عن الحديث برواياته المتعددة: شرح مسلم للنووي ٢٠٧/١٦ – ٢٠٨ ؛ تفسير ابن كثير (تفسير آية ٣٠ من سورة الروم) ؛ تجريد التمهيد لابن عبد البر (ط. القدسي، ١٣٥٠) ص ٢٩٠ – ٣٣٢. أما قوله صلى الله عليه وسلم: "كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ": فأكثر أهل اللغة على أن هذا الفعل (نتج) لا يكون إلا مبنيا للمجهول، فيقال: نتجت الناقة تنتج، على ما لم يسم فاعله، بمعنى ولدت. . وقال يقال: نتج الرجل ناقته (بالبناء للمعلوم) إذا ولدها (بتضعيف اللام) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣٠٧/٢

وقال النووي في شرح مسلم ١٦/٢٠٩: " (جمعاء) بالمد، أي مجتمعة الأعضاء، سليمة من نقص، لا يوجد فيها (جدعاء) بالمد، وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء، ومعناه: أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء، لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها ".." [1]

"ولا مماسة (١) ، ولا يتميز (٢) منه جانب عن جانب كان هذا مكابرة.فيقال: لكم: أنتم [يا نفاة الرؤية] (٣) تقولون ومن وافقكم من المثبتين للرؤية: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له (٤) .فإذا قيل لكم: هذا خلاف المعلوم بضرورة العقل (٥) ، فإن العقل لا يثبت شيئين موجودين إلا أن يكون أحدهما مباينا للآخر أو داخلا فيه، كما يثبت (٦) الأعيان المتباينة والأعراض القائمة. بها وأما إثبات موجود قائم بنفسه لا يشار إليه ولا يكون داخل العالم ولا خارجه، فهذا مما يعلم العقل (٧) استحالته وبطلانه بالضرورة.قلتم (٨) : هذا النفي حكم الوهم لا حكم العقل، وجعلتم **في الفطرة حاكمين** (٩) : أحدهما الوهم والآخر العقل، مع أن المعنى الذي سميتموه الوهم قلتم (١٠) هو القوة التي تدرك معاني جزئية غير محسوسة في الأعيان المحسوسة، كالعداوة والصداقة، كما تدرك الشاة معنى في الذئب ومعنى في الكبش، فتميل إلى هذا وتنفر عن هذا. وإذا كان الوهم إنما ______________(١) ب، ا: بمماسة ؛ ن: ميامنة ؛ م: بمباينة، وهو تحريف.(٢) ن، م: ولا يميز.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) .(٤) ن، م، ع، ا: ولا مجانب له.(٥) ب: بالضرورة ؛ أ: بضرورة ؛ ن، م: فضرورة العقل (وهو تحريف) .(٦) ن: ثبتت.(٧) ع: فهذا إنما يعلم بالعقل.(٨) ع: وقلتم.(٩) ن: حالين.(١٠) قلتم: ساقطة من (ب) ، (أ) .." [2]

"يدرك أمورا (١) معينة فهذه القضايا التي نتكلم فيها قضايا كلية عامة، والقضايا الكلية العامة هي للعقل لا للحس ولا للوهم الذي يتبع الحس، فإن الحس لا يدرك إلا أمورا معينة، وكذلك الوهم [عندكم] (٢) . وقد بسط الرد على هؤلاء (٣) في غير هذا الموضع، لكن المقصود هنا بيان أن قول أولئك أقرب من قولهم.فيقال: إذا عرضنا على العقل وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له (٤) ، ووجود موجود مباين للعالم فوقه وهو ليس بجسم (٥) ، كان تصديق العقل بالثاني أقوى من تصديقه بالأول، وهذا موجود في فطرة كل أحد، فقبول (٦) الثاني أقرب **إلى الفطرة ونفورها** عن الأول أعظم فإن وجب تصديقكم في ذلك القول الذي هو **عن الفطرة أبعد** كان تصديق هؤلاء في قولهم أولى.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/٣٠٨

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/٣٣٥

وحينئذ فليس لكم أن تحتجوا على بطلان (٧) (٨ قولهم بحجة إلا وهي على بطلان قولكم أدل ٨) (٨) .فإذا قلتم: [وجود موجود فوق العالم ليس بجسم لا يعقل.قيل لكم: كما أن [(٩)] وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه لا يعقل. ___________(١) ب: ينكر أمورا ؛ أ: يذكرون أمورا ؛ ن، م: يدرك قوى.(٢) ع: عندهم، وهي ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) ن، م: هذا.(٤) ن، م، ع، ا: ولا مجانب له.(٥) ع: وليس بجسم.(٦) ب، ا، م: فقول ؛ ن: فيقول (وهو تحريف) .(٧) ب، ا: إبطال.(٨) (٨ - ٨) : هذا الكلام في نسخة (ن) ناقص ومضطرب. وفي (م) : قولكم بحجة. . أولى.(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .." (١)

"فإذا قلتم: نفي هذا من حكم الوهم.قيل لكم: إن كان هذا النفي من حكم الوهم وهو غير مقبول فذلك (١) النفي من حكم الوهم، وهو غير مقبول بطريق الأولى.فإذا قلتم: حكم الوهم الباطل أن يحكم في أمور غير محسوسة حكمه في أمور محسوسة (٢) .قيل: لكم (٣) (* أجوبة: أحدها (٤) : أن هذا يبطل حجتكم على بطلان قول هؤلاء، لأن قولكم إنه يمتنع (٥) وجود موجود فوق العالم ليس بجسم ليس (٦) أقوى من قول القائل يمتنع (٧) وجود موجود قائم بنفسه لا يشار إليه، [ويمتنع وجود موجودين لا متباينين ولا متحايثين، ويمتنع وجود موجود ليس داخل العالم ولا خارجا عنه] (٨) ، فإن كنتم لا تقبلون هذا الأقوى لزعمكم أنه من حكم الوهم (٩) الباطل لزمكم أن لا تقبلوا ذلك الذي هو أضعف منه بطريق الأولى، فإن كليهما على قولكم من حكم الوهم الباطل، وفساد قولكم أبين في الفطرة من فساد (١٠) قول منازعيكم، فإن كان قولهم (١١) مردودا ____________(١) ن، م: فكذلك.(٢) ن، م: الأمور المحسوسة.(٣) الكلام بين النجمتين ساقط من (ن) ، (م) ، وينتهي في الصفحة التالية.(٤) ب، ا: جوابان أحدهما.(٥) ب: قولهم إنه لا يمتنع ؛ أ: قولهم إنه يمتنع.(٦) ليس: ساقطة من (ب) ، (أ) .(٧) ب: من قول من يقول لا يمتنع ؛ أ: من قول من يقول يمتنع.(٨) ما بين المعقوفتين في (ع) فقط، وفي الأصل: ولا خارج عنه.(٩) الوهم: ساقطة من (ع) .(١٠) فساد: ساقطة من (ع) .(١١) ع: هذا القول.." (٢)

"ومن المعلوم أن من أنذر بعدو يقصده لم يقل لنذيره: قل لله يخلق في قدرة على الفرار حتى أفر، بل يجتهد في الفرار، والله هو الذي يعينه على الفرار.فهذا الكلام لا يقوله إلا مكذب للرسل، إذ ليس في

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/٣٣٦

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/٣٣٧

الفطرة مع تصديق النذير الاعتلال بمثل هذا. وإذا كان هذا تكذيبا حاق به ما حاق بالمكذبين.الوجه الثالث: أن يقول له: أنا ليس لي أن أقول لربي [مثل] (١) هذا الكلام، بل علي أن أبلغ رسالاته، وإنما علي ما حملت وعليك ما حملت، وليس علي إلا البلاغ المبين، وقد قمت به (٢) .الرابع: أن يقول: ليس لي ولا لغيري أن يقول له: لم لم [تجعل] (٣) في هذا كذا وفي هذا كذا، فإن الناس على قولين: من يقول (٤) : إنه لا حكمة إلا محض المشيئة، يقول إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. ومن يقول: [إن] له حكمة (٥) ، يقول: لم يفعل شيئا إلا لحكمة، ولم يتركه (٦) إلا لانتفاء الحكمة فيه. ________(١) مثل: زيادة في (ع) فقط.(٢) أ، ب: وقد تمت به.(٣) تجعل: ساقطة من (ن) ، (م) .(٤) ب، أ: منهم من يقول، وهو خطأ.(٥) ب، أ: ومنهم من يقول أن له حكمة، ن، م: ومن يقول له حكمة.(٦) ن، م: ولا تركه.." (١)

"[منه] (١) حتى يخلق [الله] (٢) في الهرب، بل يحرص على الهرب ويسأل الله الإعانة على ذلك، ويفر منه إذا عجز. وكذلك إذا كان محتاجا إلى طعام أو شراب أو لباس (٣) ، فإنه لا يقول: لا آكل ولا أشرب ولا ألبس حتى يخلق الله (٤) في ذلك، بل يريد ذلك ويسعى فيه ويسأل الله تيسيره [عليه] (٥) .فالفطرة مجبولة على حب ما تحتاج إليه، ودفع ما يضرها، وأنها تستعين الله عز وجل على ذلك. هذا [هو] موجب الفطرة (٦) التي فطر [الله] (٧) عليها عباده، وإيجابها ذلك، ولهذا أمر الله العباد أن يسألوا الله أن يعينهم على فعل ما أمر.الوجه السادس: أن يقال: مثل هذا الكلام إما أن يقوله من يريد الطاعة، ويعلم أنها تنفعه، أو من لا يريدها ولا يعلم أنها تنفعه، وكلاهما يمتنع [منه] (٨) أن يقول مثل هذا الكلام. أما الأول فمن أراد الطاعة وعلم أنها تنفعه أطاع قطعا إذا (٩) لم يكن عاجزا، فإن نفس الإرادة الـجازمة ________(١) منه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٢) لفظ الجلالة ساقط من (ن) .(٣) ع، ن، م وشراب ولباس.(٤) لفظ الجلالة ساقط من (ع) ، (أ) ، (ب) .(٥) عليه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٦) ب، أ: تستعين بالله على ذلك وهذا موجب الفطرة ؛ ن، م: تستعين بالله على ذلك. هذا موجب الفطرة. والمثبت من (ع) .(٧) لفظ الجلالة ساقط من (ن) ، (م) .(٨) منه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٩) ع: فإذا.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ٦٧/٣

(٢) منهاج السنة النبوية ٦٩/٣

"بشرط، فليس في الخارج مطلق لا بشرط ولا مطلق بشرط الإطلاق، بل إنما فيه المعين المخصص، فالذي (١) يقدره الذهن مطلقا لا بشرط التقييد يوجد في الخارج بشرط التقييد.وهؤلاء اشتبه عليهم ما في الأذهان بما في الأعيان. وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبينا من غلط المنطقيين ما هو سبب الضلال في الأمور الإلهية والطبيعية كاعتقاد الأمور العقلية التي لا تكون إلا في العقل أمورا موجودة في الخارج، وغير ذلك مما ليس هذا موضع بسطه.[وهؤلاء المنطقيون الإلهيون منهم وغيرهم يقولون أيضا: إن الكليات لا تكون إلا في الأذهان لا في الأعيان، فيوجد من كلامهم في مواضع ما يظهر به خطأ كلامهم في مواضع، فإن الله فطر عباده على الصحة والسلامة **وفساد الفطرة عارض**، فقل من يوجد له (٢) كلام فاسد إلا وفي كلامه ما يبين فساد كلامه الأول ويظهر به تناقضه.] (٣) .والمقصود هنا التنبيه على توحيد هؤلاء (٤) الفلاسفة. وهؤلاء أصابهم في لفظ الواجب ما أصاب المعتزلة في لفظ القديم، فقالوا: الواجب لا يكون إلا واحدا، فلا يكون له صفة ثبوتية، كما قال أولئك: لا يكون القديم إلا واحدا، فلا يكون له صفة ثبوتية (٥) .وبهذا وغيره ظهر الزلل في كلام متأخري المتكلمين الذين خلطوا الكلام __________(١) ن، م: والذي.(٢) أ: فيه، ب: منه.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م)(٤) ن، م: وإنما المقصود هنا التنبيه على هؤلاء.(٥) بعد كلمة " ثبوتية " يوجد في نسختي (ن) ، (م) كلام معاد.." (١)

"أنا إذا عرضنا على العقل وجود موجود لا يشار إليه ولا يقرب منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا ترفع إليه الأيدي، ونحو ذلك - **كانت الفطرة منكرة** لذلك. والعقلاء جميعهم الذين لم تتغير فطرتهم ينكرون ذلك، ولا يقر بذلك إلا من لقن أقوال النفاة وحجتهم (١) وإلا فالفطر (٢) السليمة متفقة على إنكار ذلك أعظم من إنكار خرق العادات ؛ لأن (٣) العادات يجوز انخراقها باتفاق أهل الملل وموافقة عقلاء الفلاسفة لهم على ذلك.فنقول: إن كان قول النفاة حقا مقبولا (٤) في العقل فإثبات وجود الرب على العرش من غير أن يكون جسما أقرب إلى العقل وأولى بالقبول. وإذا ثبت أنه فوق العرش، فرؤية ما هو فوق الإنسان وإن لم يكن جسما أقرب إلى العقل وأولى (٥) بالقبول. من إثبات قول النفاة. فتبين أن الرؤية على قول هؤلاء أقرب إلى العقل من قول (٦) النفاة، وإذا قدر أن هذا خلاف المعتاد، فتجويز انخراق العادة أولى من قول النفاة (٧) ، فإن قول النفاة ممتنع في فطر العقلاء لا يمكن جوازه، وأما انخراق العادة (٨) فجائز. __________(١) أ، ب: ولا يقرون

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٣٠٣

إلا (ثم بياض في النسختين) الأقول النفاة وحجتهم، ولا يقر بذلك إلا من لعن أقوال النفاة وحجتهم، والمثبت من (م) .(٢) ن، م: فالفطرة.(٣) ن، م: فإن.(٤) عبارة في العقل ساقطة من (أ) ، (ب) وفي (م) حقا موجودا في العقل.(٥) ن، م: جسما أولى.(٦) أ، ب: أقوال.(٧) ساقط من (أ) ، (ب) .(٨) أ، ب: العادات.." (١)

"كلامه، وبينت ما أشكل عليه وعلى هؤلاء في مواضع.فإن الله قد أرسل رسله بالحق، وخلق عباده على الفطرة، فمن كمل فطرته بما أرسل الله به رسله، وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه، ولم يتناقض. لكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعتهم السمعية، بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف، الذي لم يهتدوا معه إلى الحق، كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا.والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب ومن الذي ذاق هذا (١) الشراب.نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا وقال (٢) : " لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ؛ اقرأ في الإثبات (٣) : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [سورة فاطر: ١٠] ــــــــــــــــــ(١) أ، ب: من هذا، وكذا جاء النص في " درء. . . " ١/١٦٠ وذكرت هناك أنني لم أجد هذا الكلام، والكلام التالي فيما بين يدي من كتب الرازي المطبوعة أو المخطوطة، وأن ابن تيمية يذكر أن الرازي كان يتمثل بهذا الكلام في كتابه أقسام اللذات، وهذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي، وذكرت في تعليقي على " درء. . " أن ابن تيمية يذكر هذا النص كثيرا في كتبه، مثل مجموع فتاوى الرياض ٤/٧١ الفرقان بين الحق والباطل، ص ٩٧ من مجموعة الرسائل الكبرى ط. صبيح، معارج الوصول، ص ١٨٥ من المجموعة السابقة.(٢) وقال: في (ح) ، (ر) ، (ب) فقط.(٣) و، م: الآيات: وهو تحريف.." (٢)

"أنه إلهه، قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ، فلا بد أن يكون العبد عابدا لله، ولا بد أن يكون مستعينا به ؛ ولهذا كان هذا فرضا على كل مسلم أن يقوله في صلاته.وهذه الكلمة بين العبد وبين الرب، وقد روي عن (١) الحسن البصري - رحمه الله -: أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع سرها في الأربعة، وجمع سر الأربعة في القرآن، وجمع سر (٢) القرآن في الفاتحة، وجمع (٣) سر الفاتحة في

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٣٤٨

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/٢٧١

هاتين الكلمتين: [﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾] (٤) ؛ ولهذا ثناها الله [في كتابه] (٥) في غير موضع من القرآن، كقوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [سورة هود: ١٢٣] ، وقوله: ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [سورة هود: ٨٨] ، وقوله: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ [سورة الرعد: ٣٠] ، وقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا - ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [سورة الطلاق: ٢ - ٣] وأمثال ذلك.وهم يتأولون محبته عىل محبة عبادته وطاعته.فيقال لهم: فيمتنع **في الفطرة أن** يحب الإنسان طاعة مطاع وعبادته، إلا أن يكون محبا لله، وإلا فما لا يحب في نفسه (٦) لا يحب الإنسان لا

__________(١) عن: ساقطة من (ح) ، (ب) .(٢) سر: ساقطة من (و) ، (ر) .(٣) و، ح، ر، ي: وجعل.(٤) ما بين المعقوفتين في (ح) ، (ر) ، (ب) فقط.(٥) في كتابه: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .(٦) ح، ب: فما لا يحب لنفسه.." [1]

"ما سيصير إليه العبد من الأجر، لم يكن هنا حلاوة إيمان يجدها العبد في قلبه وهو في دار التكليف والامتحان، وهذا خلاف الشرع **وخلاف الفطرة التي** فطر الله عليها قلوب عباده.فقد ثبت في الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «كل مولود يولد على الفطرة» " (١) وفي صحيح مسلم عنه أنه قال: " «يقول الله تعالى: خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» " (٢) .فالله فطر عباده على الحنيفية ملة إبراهيم، وأصلها محبة الله وحده، فما من فطرة لم تفسد إلا وهي تجد فيها محبة الله تعالى، لكن قد **تفسد الفطرة إما** لكبر وغرض فاسد (٣) كما في فرعون. وإما بأن يشرك معه غيره في المحبة.كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] .وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصىن له الدين، فإن في __________(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/٣٠٧ - ٣٠٨(٢) الحديث عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه في مسلم ٤/٢١٩٧ - ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم. . . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. . الحديث " وهو - مع اختلاف في اللفظ - في: المسند (ط. الحلبي) ٤/١٦٢(٣) و: وعرض آخر.." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٣٩٤

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/٤٠٣

"وفتاويه بكفر الجمهور، وأنهم مرتدون، ودارهم دار ردة، يحكم بنجاسة مائعها، وأن من انتقل إلى قول الجمهور منهم ثم تاب لم تقبل توبته، لأن المرتد الذي يولد **على الفطرة لا** يقبل [منه] (١) الرجوع إلى الإسلام.وهذا في المرتد عن الإسلام قول لبعض السلف، وهو رواية عن الإمام أحمد. قالوا: لأن المرتد من كان كافرا فأسلم، ثم رجع إلى الكفر، بخلاف من يولد مسلما.فجعل هؤلاء هذا في سائر الأمة، فهم عندهم كفار، فمن صار منهم إلى مذهبهم كان مرتدا.وهذه الآية حجة عليهم، فإن هذه الآية خوطب بها أولا من كان مع النبي – صلى الله عليه وسلم – من المؤمنين، فقيل لهم: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ [سورة آل عمران: ٢٨] . وهذه الآية مدنية باتفاق العلماء فإن سورة آل عمران كلها مدنية، وكذلك البقرة والنساء والمائدة.ومعلوم أن المؤمنين بالمدينة على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم - لم يكن أحد منهم يكتم إيمانه ولا يظهر للكفار أنه منهم، كما يفعله الرافضة مع الجمهور.وقد اتفق المفسرون على أنها نزلت بسبب أن بعض المسلمين أراد إظهار مودة الكفار فنهوا عن ذلك. وهم لا يظهرون المودة للجمهور. وفي رواية الضحاك عن ابن عباس أن عبادة بن الصامت كان له حلفاء من
________(١) زدت منه لتستقيم العبارة.." (١)

"يعني داخل الرجل رفغه اجتمع الوسخ والدرن بين ظفره وأنملته، والأرفاغ: المغابن مثل الآباط وأصول الفخذين، وفي **حديث الفطرة («**وغسل البراجم») وهي العقد التي في ظهور الأصابع، فإن اجتمع ما تحت الأظفار ومنع وصول الماء إلى ما تحته ففيه وجهان.[مسألة الذكر بعد الوضوء]مسألة:" ثم يرفع نظره إلى السماء فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ".لما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» " رواه مسلم والترمذي. وزاد فيه " «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» وفي رواية لأبي داود " «من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع نظره إلى السماء» "، وروي أيضا أنه قال: " «سبحانك وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» ".." (٢)

"فرق بعد») متفق عليه، وذكره **في الفطرة في** حديث ابن عباس يعني بالناصية جميع الشعر.وفي شروط عمر على النصارى ألا يفرقوا نواصيهم؛ لئلا يتشبهوا بالمسلمين، وهذا إنما يتأتى فيما طال منه،

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤٢٢/٦

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ١٩٩/١

والأفضل أن يكون قدر الشعر كشعر النبي صلى الله عليه وسلم إن قصر فإلى أذنيه وإن طال فإلى منكبيه، وإن طوله أكثر من ذلك جاز، وتقصيره أفضل، وكذلك إن قصره بمقراض أو غيره، قالت عائشة: («كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ودون الجمة») رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والوفرة الشعر إلى شحمة الأذن، والجمة ما بلغ المنكبين.وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم («كان يضرب شعر منكبيه – وفي رواية – بين أذنيه وعاتقه») متفق عليه، وفي رواية: («إلى أنصاف أذنيه») رواه أحمد ومسلم، وعن سهل بن الحنظلية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: («نعم الرجل خريم الأسدي رولا طول جمته وإرسال إزاره فبلغ." (١)

"قال: هكذا كان يستجمر رسول الله صلى الله عليه وسلم»، ويستحب للرجل من الطيب ما خفي لونه؛ لما روى أبو هريرة وعمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: («خير طيب الرجل ما ظهر ريحه وخفي لونه، وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه») رواهما الترمذي وقال: حديث حسن.فصل:في **خصال الفطرة روى** أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم («خمس من الفطرة: الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار») رواه الجماعة.." (٢)

"وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: («عشر **من الفطرة قص** الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتفاض الماء يعني الاستنجاء، قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة») رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي، قال أبو داود: وقد روي عن ابن عباس نحو حديث عائشة قال: («خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق») وجميع هذه الخصال مقصودها النظافة والطهارة وإزالة ما يجمع الوسخ والدرن من الشعور والأظفار والجلد.وأما قص الشارب، فقال زيد بن أرقم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: («من لم يأخذ شاربه فليس منا») رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: («جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس») رواه أحمد ومسلم.." (٣)

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ٢٢٩/١

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ٢٣٣/١

(٣) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – م ن كتاب الطهارة والحج ٢٣٤/١

"وفي حديث الفطرة: غسل البراجم، والبراجم العقد التي في ظهور الأصابع والرواجب ما بينها، ومعناه غسل المواضع التي تتسخ ويجتمع فيها الوسخ، ويستحب أن يأخذ الظفر في كل أسبوع؛ لما روى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم: " «كان يأخذ أظفاره وشاربه في كل جمعة» " وإن تركه أكثر من ذلك فلا بأس ما لم يجاوز أربعين يوما؛ لما روى أنس قال: " «وقت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ألا نترك أكثر من أربعين ليلة» " رواه الجماعة إلا البخاري.ويستحب فيما ذكره القاضي أن يكون يوم الجمعة؛ لما روى ابن بطة بإسناده عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: " من قص أظفاره يوم الجمعة أدخل في شفاء وأخرج منه داء " وقال يزيد بن مروان في." (١)

"روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: («اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعد ما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم») متفق عليه، فإن قيل: ضمن ملته سائر **خصال الفطرة وهي** غير واجبة لا سيما وقد قرن النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينها في نسق واحد، قلنا: إزالة الشعور والأظفار القصد بها إزالة ما يجتمع بسببها من العرق والوسخ والدرن، وإزالة الأوساخ ليست واجبة وكذلك ما قصدت به.وأما قلفة الذكر فالمقصود بقطعها التطهير من النجاسة التي تحتقن فيها، ونجاسة البول تجب إزالتها وعامة عذاب القبر منها، فلذلك وجب إزالة ما يوجب احتقانها واجتماعها، يؤيد ذلك أن المقطوع هنا من أصل الخلقة، وكذلك يحشر الخلق يوم القيامة غرلا، فلولا أن إزالتها من الواجبات لما تكلف قطعه بخلاف الشعر والظفر؛ ولأن البول المحتقن في القلفة نجاسة شرع زوالها، فكان واجبا كسائر النجاسات.وكذلك قال ابن عباس: " الأقلف لا يقبل الله له صلاة ولا تؤكل ذبيحته وتقبل شهادته " وأما المرأة ففيها روايتان، إحداهما: أن خفضها." (٢)

"عليه السلام: "من لم يصل فهو كافر" رواه البخاري في تاريخه وذكر ابن عبد البر مثله عن أبي الدرداء وابن عباس وجابر وقال عبد الله بن مسعود: "من ترك الصلاة فهو كافر" وفي رواية عنه في إضاعة الصلاة قال: "هو إضاعة مواقيتها ولو تركوها لكانوا كفارا" وقال أبو الدرداء: "لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له" رواهما البخاري وهبة الله الطبري وغيرهما ورأى حذيفة رجلا يصلي وهو لا يتم ركوعه ولا سجوده فقال لما قضى صلاته: "ما صليت ولو مت مت على **غير الفطرة التي** فطر الله عليها

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ٢٤١/١

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ٢٤٤/١

محمدا صلى الله عليه وسلم" رواه البخاري.وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال له طبيب حين وقع في عينه الماء استلق سبعة أيام لا تصل قال ابن عباس: "من ترك الصلاة كفر" رواه النجاد وقال عبد الله بن شقيق: "كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة" رواه الترمذي وقال الحسن: بلغني." (١)

"بحضرته ركعتين بين الآذانين ولو لم يجز تأخيرها عن أول الوقت لم يجز شيء من ذلك ولأنها إحدى الصلوات الخمس فاتسع وقتها كغيرها ولأنها تجمع إلى ما بعدها فاتصل وقتها الذي يليها كالظهر فإن جواز الجمع يجعل الوقتين وقتا واحدا والصلاتين كالصلاة الواحدة والصلاة الواحدة لا يكون لها وقتان متباينان وعكسه الفجر والعصر والعشاء لما لم يجز تأخيرها عمدا إلى وقت التي تليها لم لم تجمع معها.فإن قيل هذا معارض بحديث جبريل فإنه صلى المغرب في اليومين لوقت واحد حين غربت الشمس وذلك يقتضي أنه يجب المبادرة إليها حين الغروب وروى أبو أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بصلاة المغرب قبل طلوع النجم" وعن مرثد بن عبد الله الزني قال: قدم علينا أبو أيوب غازيا وعقبة بن عامر يومئذ على مصر فأخر المغرب فقام إليه أبو أيوب فقال: ما هذه الصلاة يا عقبة قال شغلنا قال: أما والله ما بي إلا أن يظن الناس أنك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع هذا أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال أمتي بخير أو **على الفطرة ما** لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم" رواهما احمد.." (٢)

"الفاسدة. ثم قال: (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) (١) . وهذا مثل الجهل البسيط.وأهل الضلال يذكرون المحبة وشراب الحب ونحو ذلك، وكثيرا ما يمثلون ذلك بشراب الخمر دون غيرها من الأشربة، ويذكرون أوعية الخمر كالدن والكأس ونحو ذلك، ومواضعها كالحان أو دير الرهبان. والخمر توجب الغي، ولما عرض على النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة المعراج اللبن والخمر أخذ اللبن، فقيل له: "أصبت الفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك" (٢) .وكلما كان القوم أعظم عنتا وضلالا مثلوا بما هو أقبح من شرب الخمر، فإن شربها وإن كان قبيحا فهو في الحانات مواضع الفحش أقبح، وفي مواضع الكفر كديور الرهبان أقبح وأقبح. ويذكرون السكر من شراب المحبة، كالسكر الذي يعتري من شرب الخمر، كقول بعضهم (٣)

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ص/٧٦

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ص/١٧١

:شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرموهذا الحب والشرب من عبادة الشيطان، لا من عبادة الرحمن.والتشبيه بالخمر يبين أن ذلك من عبادة الشيطان الذي قال الله فيه: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن______________(١) الآية ٤٠ منها.(٢) أخرجه البخاري (٥٦٠٣،٥٥٧٦،٤٧٠٩،٣٤٣٧،٣٣٩٤) ومسلم (١٦٨) من حديث أبي هريرة.(٣) هو ابن الفارض، انظر ديوانه (ص١٤٠) .." (١)

"وهذا نص قد خالف القياس.وقولهم: "القياس أن الزرع لزارعه" ليس معهم بذلك نص ولا نظير، بل القياس (١) أن الزرع إما أن يكون بينهما كالمزارعة، أو يكون لرب الأرض، لأن الزرع في الأرض كالحمل في البطن، وإلقاء البذر كإلقاء المني، ولو وطيء ذكر أنثى كان الحمل لمالك الأنثى دون مالك الذكر، وهذا اختيار ابن عقيل وغيره. لكن المني لا يقوم، بخلاف الزرع، فلهذا جعل له نفقته، فإن الزرع عامته في الأرض، في ترابها ومائها وهوائها وشمسها، كما أن الحمل في البطن عامته في الأم، وماء الأب قليل، كما أن الحب قليل./وكذلك الشجر إذا لقح أنثاه بذكر فإن الثمر لصاحب الأنثى، لا لصاحب اللقاح، والحب كاللقاح.وقول أحمد: "عليه نفقته" يقتضي مثل البذر، ويقتضي أجرة عمله وعمل فدانه (٢) . فقوله: "ليس هذا شيئا يوافق القياس" كقوله في العامل المخالف: "ثم استحسنت أن يعطيه الأجرة"، فكان قياسه على ما يراه في اىغاصب أن لا يكون له أجرة عمله وعمل فدانه، فهو______________(١) قال المؤلف في مجموع الفتاوى ١٢٤/٢٩: "بعض من أخذ به يرى أنه خلاف القياس، وأنه من صور الاستحسان، وهذا لما انعقد في نفسه من القياس المتقدم، وهو أن الزرع تبع للبذر، والشجر تبع للنوى. وما جاءت به السنة هو القياس الصحيح الذي تدل عليه الفطرة". ثم ذكر نحو ما ذكر هنا.(٢) الفدان هنا بمعنى المحراث.." (٢)

"قد بين كلامه بكلامه، فلا يكون كلام الله ورسوله محتاجا في البيان إلى ما يحدثه المحدثون.المسلك الثالث: أن يسلموا أن كل تأويل قام عليه دليل سمعي أو عقلي فإنه يجب قبوله، لكن يطالبون منازعيهم بالدلائل القطعية فيما إذا [كانت] حاجة إلى التأويل، ويثبتون أن ذلك لم يخالف دليلا قطعيا، لا عقليا ولا سمعيا، بل يبين أن العقل الصريح يقرر ما أثبته السمع، وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أصلا، كما يبين أن ما دل عليه القرآن من أن الله مباين لمخلوقاته (١) قد دل عليه العقل،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ١٣٥/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٢٢٠/٢

وأن العقل يثبت مباينته للمخلوقات، والسمع زاد على ذلك وأثبت الاستواء على العرش، وذلك لا يعلم بالعقل، فالسمع أثبت ما علم العقل وزاد عليه وفضله، لأن الرسل بعثت **بتكميل الفطرة وتقريرها**، لا **بتحويل الفطرة وتغييرها**. والله أعلم.(تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه محمد (٢) وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا، بتاريخ خامس شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمئة) .ـــــــــــــــ(١) بعده في الأصل: "اذ هو بدو العلم"، وهي عبارة غامضة، والسياق واضح بدونها.(٢) كذا في الأصل بتكرار اسم النبي – صلى الله عليه وسلم –.." (١)

"وأما أهل النفي والجحود فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج عنه، ولا مباين له ولا حال فيه، ولا فوق العالم ولا فيه، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب إليه شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى لشيء ولا يراه أحد، ونحو ذلك.وهذا قول متكلمة الجهمية، كما أن الأول قول عباد الجهمية. فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء، وكلاهما مرجعهم إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون.وقد علم أن الله كان قبل أن يخلق السماوات والأرض، ثم خلقها، فإما أن يكون دخل فيهما، وهذا حلول باطل وإما أن يكونا دخلا فيه، وهو أبطل وأبطل؛ وإما أن يكون بائنا عنهما لم يدخل فيهما ولم يدخلا فيه، وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة.ولأهل الحلول والتعطيل في هذا الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما فطر الله عليه عباده، وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة. فإن هذه الأدلة كلها متفقة على أن الله فوق مخلوقاته عال عليها، قد فطر الله على ذلك العجائز والأعراب والصبيان في الكتاب، كما فطرهم على الإقرار بالخالق. وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح (١) : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ "يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) .ـــــــــــــــ(١) البخاري (١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٨٥، ٤٧٧٥، ٦٥٩٩) ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة.." (٢)

"وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز: عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب، عليك بما فطره الله عليه. فإن الله فطر عباده على الحق، والرسل بعثوا **بتكميل الفطرة وتقريرها**، لا **بتحويل الفطرة وتغييرها**.وأما

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ١٨٠/٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٢٠٤/٣

أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية فيريدون أن يغيروا فطرة الله، ويوردون على الناس شبهات بكلمات مشتبهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها، ولا يحسن أن يجيبهم. وقد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع.وأصل ضلالهم تكلمهم بكلمات مجملة لا أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين، كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك، فمن كان عارفا بحل شبهاتهم بينها، ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم، ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة، كما قال تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) (١) . ومن تكلم في الله وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل.وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه، فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وأبي حنيفة من الاعتقادات ما لم يقولوه، ويقولون لمن اتبعهم: هذا اعتقاد الإمام الفلاني، فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كذبهم في ذلك، كما يتبين كذبهم فيما ينقلونه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في كثير من البدع والأقوال الباطلة.ومنهم من إذا طولب بتحقيق نقله يقول: هذا القول قاله العقلاء، والإمام الفلاني لا يخالف العقلاء. ويكون أولئك العقلاء طائفة من__________(١) سورة الأنعام: ٦٨.." [١]

"وهذا المعنى يفهمه من الكلام كل أحد صحيح الفطرة، لكن لما وقع في بعض القواعد اللفظية والعقلية نوع توسع -إما في التعبير وإما في الفهم- اقتضى ذلك خللا إذا بنى على تلك القواعد المحتاجة إلى تتميم، فإذا كان للإنسان فهم صحيح رد الأشياء إلى أصولها، وقرر النظر على معقولها، وبين حكم تلك القواعد وما وقع فيها من تجوز أو توسع، فإن الإحاطة في الحدود والضوابط غير تحرير (١) .ومنشأ الإشكال أخذ كلام بعض النحاة مسلما أن المنفي بعد "لو" مثبت، والمثبت بعدها منفي، أو أن جواب "لو" منتف أبدا، وجواب "لولا" ثابت أبدا، وأن "لو" حرف يمتنع به الشيء لامتناع غيره، و"لولا" حرف يدل على امتناع الشيء لوجود غيره مطلقا. فإن هذه العبارات إذا قرن بها "غالبا" كان الأمر قريبا، وأما أن يدعى أن هذا مقتضى الحرف دائما فليس كذلك، بل الأمر كما ذكرناه من أن "لو" حرف شرط تدل على انتفاء الشرط، فإن كان الشرط ثبوتيا فهي "لو" محضة، وإن كان الشرط عدميا مثل "لولا" و"لو لم" دلت على انتفاء هذا العدم بثبوت نقيضه، فيقتضي أن هذا الشرط العدمي مستلزم لجزائه، إن وجودا وإن عدما، وأن العدم منتف. وإذا كان عدم شيء سببا في أمر فقد يكون وجوده سببا في عدمه، وقد يكون وجوده أيضا سببا في وجوده، بأن يكون الشيء لازما لوجود الملزوم ولعدمه، والحكم ثابت مع العلة المعينة، ومع

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٣/٢٠٥

انتفائها لوجود علة أخرى.وإذا عرفت أن مفهومها اللازم لها إنما هو انتفاء الشرط، وأن____________(١) كذا في الأصل.." (١)

"سنين أو قريب منها أو أكثر منها مناظرة في الصفات والكلام على مذهب أهل التأويل فيها، التمس مني بعد ذلك بعض الأصحاب حكايتها، فكتبتها إليه، مع أن الكتابة لابد فيها من نوع زيادة غير متعمدة ونقصان، لكن المنقوص كثير، إذ الخطاب يحتمل من البسط ما لا يحتمله الكتاب، ومن الورع أن تنقص من الحكاية ولا تزيد فيها.وتلك المناظرة -مع ما اشتملت عليه من القواعد المقررة والأصول المحررة- لم تخرج مخرج تصنيف، وإن كان لا غرو في جعلها تصنيفا.وصورة ما كاتبت به الطالب: فإن الله سبحانه وتعالى خلق عباده على الفطرة، وكمل فطرتهم بالنبوة، واصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، ليعلموا الأمم ما لم يكونوا يعلمونه، كما قال سبحانه وتعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١)) (١) .ولم يبعث رسله بغير فطرته التي فطر عباده عليها، ولا بإفساد عقولهم التي بها ينالون علم ما أنزله عليهم، بل بعث الرسل بتعليم ما تقصر عقولهم عن دركه، لا ما تقضي عقولهم بإحالته، وأمرهم بتقرير الفطر لا بتغييرها. ولهذا قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١٩٩)) (٢) ، وقال في صفة المستحقين الرحمة: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة____________(١) سورة البقرة: ١٥١.(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.." (٢)

"والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) (١) . وجعل حجته التي يستحق العذاب تاركها رسله المنذرين، دون **مجرد الفطرة والعقل**، كما قال سبحانه وتعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)) (٢) .فأخبر أنه أرسل الرسل لئلا يبقى لأحد حجة، فعلم أن الحجة قامت على أهل الأرض بالرسل، وأنه لم يبق لأحد بعدهم.و"الحجة" اسم لما يحتج به، سواء كانت بينة أو شبهة، وإن كان قد اصطلح كثير من المتأخرين قصر هذا اللفظ على البينات دون الشبهات. فإن الأول هو لغة القرآن ولغة العرب، كما قال سبحانه: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) (٣) ، وقال تعالى: (لا حجة بيننا وبينكم) (٤) . وهي اسم لما يقصده المحاج ويؤمه في

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٣١٩/٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٤٥/٥

حجاجه، ومثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين" (٥) .وقال سبحانه وتعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤)__________(١) سورة الأعراف: ١٥٧.(٢) سورة النساء: ١٦٣–١٦٥.(٣) سورة البقرة: ١٥٠.(٤) سورة الشورى: ١٥.(٥) أخرجه مسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود.." (١)

"لم يجد أحدا متمسكا بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له إلا من كان متبعا للأنبياء جملة وتفصيلا، ومن أعرض عن الأنبياء فلابد أن يشرك، حتى المنافقين من هذه الأمة لا يجد من أعرض عن اتباع حقيقة الدين في الباطن إلا ولابد أن يشرك، إلا ما شاء الله. وأن اتباع الوحي لابد فيه من فطرة بها يعقل ويفقه، وأن الهدى متوقف على **صلاح الفطرة والشرعة**، فلذلك عمد الشيطان من بني آدم، فاجتالهم تارة عن الفطرة، وزين لهم تارة تحريف الشرعة، وغرهم **عن الفطرة الصحيحة** السليمة بالقياس الفاسد الذي قد يسمونه معقولا وإن لم يكن، وعن الوحي المنزل بالتحريف الذي يسمونه تأويلا وإن كان فاسدا.وذلك أن العلوم لبني آدم نوعان:نوع يختص الله به من يشاء من عباده، كما يوحيه إلى الأنبياء. ونوع مشترك، ينال بالتعاطي، كالعلوم النظرية الحساب ونحوه.وكل واحد من المختص والمشترك منه ما يحصل في القلب بواسطة دليل، ومنه ما يحصل لا بواسطة دليل، كالعلوم المشتركة التي لا تقف على دليل كالبديهية والحسية، والتي تفتقر إلى دليل هي النظرية. والمختصة التي تقف على دليل قد يكون دليلها أيضا مختصا، وقد لا يكون مختصا، وإنما درك العلم به هو المختص.وأما المختصة التي لا تقف على دليل فهو ما يوحيه الله إلى قلب من يشاء من عباده بلا دليل أصلا، بل تكون للخاصة بمنزلة البديهية للعامة.." (٢)

"فتمام الدين بالفطرة وتقديرها، لا بتحويلها وتغييرها، فإن كل مولود يولد على الفطرة، والله خلق عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحل الله لهم، وأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا. هكذا أخبرنا الله فيما روى عنه رسوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (١) .فهم بفطرتهم يحبون الله وحده ويحبون تناول ما يحتاجون إليه من الطيبات، والمحبة تتبع الشهود والإحساس، فهذا الذي في فطرهم من الحس والحركة إلى عبادة خالقهم مما يعينهم عليها من طيبات الرزق، هو وجه الحسن الثابت بالأفعال الحسنة: مأمورها ومباحها، فإن ذلك كله حسن، لما فيه من هذه الملاءمة المناسبة والمحبة التي فطروا

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٤٦/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٥٦/٥

عليها، فما كان من ذلك مشهودا في عالم الشهادة أدرك بالشهود والإحساس، وما كان غيبا أدرك بالسمع الذي جاء به المرسلون.والقلب يعقل هذا المشهود وهذا المسموع، فلابد من أن يعقل ما أمر الله به وأخبر، كما لابد أن يعقل ما شهدنا وحسسنا، فيعقل الشهادة والغيب، بمعنى ضبط العلم بجريان ذلك على وجه كلي ثابت في النفس.لكن زعم أولئك أن العقل يدرك من حسن الفعل وقبحه ما فيه ملاءمة باطل، كما أن زعم أولئك أن الشرع يأتي بحسن أو قبح لا______________(١) برقم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار المجاشعي.." (١)

"وفي الصحيحين (١) عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن منع سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش".فعبد الله الذي هو عبده لابد أن يكون الله أحب إليه مما سواه، فإن الذين جعلوا لله أندادا يحبونهم كحب الله مشركون لا مؤمنون، والذين آمنوا أشد حبا لله، ولابد أن يكون الله أخوف عندهم مما سواه، ومن كان كذلك صرف عنه السوء والفحشاء كما صرف عن يوسف.بخلاف المشركين الذين جعلوا لله أندادا يحبونهم كحب الله، فهؤلاء ليسوا عباده، و (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٢) ، فالمشرك به لا يحصل له ما يقر عينه، ويغني قلبه عن الأنداد، بل هذا لا يحصل إلا بعبادة الله وحده. فإن الله سبحانه خلق عباده حنفاء؛ وللسلف في "الحنيف" عبارات، قيل: المستقيم، كقول محمد بن كعب القرظي. والمتبع، كقول مجاهد. والمخلص، كقول عطاء. وأما تفسيره بالمائل فهذا من قول بعض متأخري أهل اللغة، وهو مبسوط في موضع آخر (٣) .وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (٤) : "كل مولود يولد على الفطرة". وفي رواية (٥) :______________(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧) عن أبي هريرة. ولم أجده عند مسلم.(٢) سورة الأنبياء: ٢٢.(٣) انظر "فصل في معنى الحنيف" ضمن هذه المجموعة.(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة.(٥) رواها ابن حبان في صحيحه (٣٤١/١) عن الأسود بن سريع.." (٢)

"قدر أن من المخلوقات ما يحب لنفسه، وذلك مستلزم لمحبته محبوبه الذي هو أكمل منه، كان الاكمل محبوبا مرادا بطريق اللزوم والقصد الثاني، وكان الأنقص محبوبا مرادا بطريق الأصالة والقصد الأول. ومعلوم أن هذا فساد ينافي الصلاح، فإن الحب والإرادة إن لم يتعلق بالأشياء على ما تستحقه الأشياء، لزم

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ١٩٤/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ٢٥٢/٥

حال الحب الفاسد.وأيضا فالفطرة السليمة تنافي ذلك، ولا يقع مثل هذا إلا عند **فساد الفطرة وتغيرها**. وإلا فمن كان تلذذه بالمآكل الرديئة دون تلذذه بالمآكل التي هي أطيب منها، دل على نوع فساد فيه، وذلك يستلزم الفساد، كما يحصل للمريض من تلذذه بالمآكل الرديئة الضارة دون الجيدة النافعة.وكذلك القلوب فطرت على الصحة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "كل مولود يولد على الفطرة" (١) ، فهي مع السلامة لا تطمئن إلا بذكر الله، ولا تسكن إلا إليه، ولا تتأله إلا إياه، وافتقارها إلى معرفته وذكره وعبادته لا يشبهه شيء من الأشياء. فماذا قلنا: كافتقار الجائع إلى الطعام، والعطشان إلى الماء، والمغتلم إلى الجماع، كان ذلك كله تمثيلا ناقصا.وكما أن هذه المفتقرات إلى هذه الأمور تفسد إذا لم يحصل ما يصلحها، ففساد النفوس إذا لم تعرف الله وتحبه وتعبده أعظم بكثير كثير، وهذا حال كل من في السموات والأرض من الملائكة والجن_______________(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.." (١)

"وقوله: (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين (٣٨) ما خلقناهما إلا بالحق) (١) ، وقوله: (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥)) (٢) .وإن كان قوله: (بالحق) أي بقوله الحق، فهذا إشارة إلى شيء من السبب الفاعل، والآية أعم من هذا، فإن الباء باء السبب، والسبب يتناول الفاعل والغاية، فإن الغاية سبب فاعل للسبب الفاعل، ولهذا يقال: جئت بسبب زيد، وبسبب تخليص هذا المال، وبسبب دفع العدو، ونحو ذلك.والحق يعم الحق المقصود والحق الموجود، فالحق المقصود هو الغاية، وهو نقيض الباطل الذي في قوله – صلى الله عليه وسلم –:"كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل، إلا رميه بقوسه، وملاعبته امرأته، وتأديبه فرسه، فإنهن من الحق" (٣) . وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع.ويتبين أن النظر والاعتبار قد يعلم به المعاد، كما يعلم به مبدأ العباد، كما علم بالنظر والاعتبار ابتداء خلق العباد، **بل الفطرة تقضي** بذلك كما تقضي بالابتداء، وأن الذين أنكروا هذا من متكلمة أهل الإثبات، وقالوا لا نعلم ذلك إلا بالسمع، فذلك كقولهم: لا نعلم_______________(١) سورة الدخان: ٣٨، ٣٩.(٢) سورة الحجر: ٨٥.(٣) أخرجه أحمد (٤/١٤٤، ١٤٨) والدارمي (٣٤١٥) والترمذي (١٦٣٧) وابن ماجه (٢٨١١) من حديث عقبة بن عامر. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.." (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ١٢١/٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ١٦١/٦

"وما لم يشأ لم يكن. وهو سبحانه فعال لما يشاء، (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) (١) ، (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) (٢) ، وقال تعالى: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) (٣) . وهذا كثير في الكتاب والسنة وعلى اتفاق الملل **وأهل الفطرة السليمة**، لم يخالف فيه إلا القدرية من جميع الطوائف الذين يزعمون: قد يريد ما لا يكون، ولا يفرقون بين الإرادة الكونية والإرادة الدينية. فإرادته سبحانه ومشيئته هي السبب والعلة الكاملة التامة وجودها، ومحبوبه ومرضيه هي الحكمة والغاية التامة الكاملة.هذا في العلة السببية، وأما الغائية فهو كذلك أيضا، غالب التام منها مركب، وما ثم ما هو العلة الغائية على الإطلاق إلا محبوب الله ومرضيه، وإن كان الحب والرضا يستلزم ... (٤) ، فإن عبادته وطاعته وطاعة رسله هي غاية الأعمال في الدنيا، والتلذذ بالنظر إليه هو غاية المطلوب في الاخرة. وأما ما في حق الرب وأمره فإن محبوبه ومرضيه هو الغاية المرادة من ذلك كله، وإن كان من الأسباب والوسائل ما هو مراد غير محبوب ولا مرضى، فإن الشيء المحبوب المشتهى قد__________(١) سورة يونس: ١٠٧.(٢) سورة الزمر: ٣٨.(٣) سورة الكهف: ٣٩.(٤) هنا بياض في الأصل بقدر كلمتين.." [١]

"سلف الأمة **والسالمو الفطرة من** أهل الملة. قال الله تعالى: (وهو الذي يرسل الرياح) إلى قوله: (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) (١) ، وقال تعالى: (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) (٢) ، وقال: (فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) (٣) ، وقال تعالى: (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩)) (٤) ، وقال تعالى: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) (٥) ، وقال تعالى: (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) (٦) . وهذا كثير في الكتاب والسنة. فمن قال: لا يقال: إن الله يفعل بها، وإنما يفعل عندها لا بها، فقد خالف الكتاب والسنة وفطر العقلاء.

فإن قلت: قد ذكرت أنه ليس في الوجود علة تامة وحدها إلا مشيئة الله، فكيف تصنع بالإحراق والإغراق والإزهاق والتكسير والتعليم ونحو هذه الأفعال التي لها أفعال مطاوعة، فإن الكسر مستلزم للانكسار، والإحراق مستلزم للاحتر اق، والإزهاق مستل‍زم للزهوق، ونحو ذلك.

قلت: الإحراق ونحوه إما أن يعنى به فعل المحرق فقط، أويعنى

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٦/٢٠٨

(١) سورة الأعراف: ٥٧.

(٢) سورة البقرة: ١٦٤.

(٣) سورة النمل: ٦٠.

(٤) سورة ق: ٩.

(٥) سورة المائدة: ١٦.

(٦) سورة البقرة: ٢٦.." [١]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ٦/٢١١